

الجزء الثالث أنا قهقرا

吾輩は猫である

تصويبه صوسيكي

夏目 漱石

ترجمة: أ.د. ماهر الشربيني

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الرواية المحبوبة عالميا - ترجمت لأكثر من ٢٠ لغة - للكاتب الياباني العبقري

Japan Quarterly

المحرسة

نتصوميه صوسيكى

أنا قط

(الجزء الثالث)

ترجمها عن اليابانية
أ.د. ماهر الشربيني

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

الطبعة الأولى 2020

عنوان الكتاب: أنا قط ج3 吾輩は猫である

المؤلف: نتصوميه صوسيكي 夏目 漱石

ترجمة: أ.د. ماهر الشربيني

مصصح اللغة : محمد حمدي أبو السعود

مركز
المحرسة

للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٥٢٣٢

الترقيم الدولي: 1-801-313-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محفوظة لمركز المحرسة

2020

JAPAN FOUNDATION 

الترجمة والنشر بمساعدة مؤسسة اليابان بالقاهرة



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

نتصوميه صوسيكي

أنا قط / نتصوميه صوسيكي؛ ترجمة ماهر الشربيني.-

ط1. القاهرة: المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2020

م ج 3؛ 430 ص؛ 13.5×19.5 سم.

تدمك 1-801-313-977-978

1 - القصص اليابانية

أ- الشربيني، ماهر (مترجم)

ب- العنوان

895.63

رقم الإيداع ٢٠٢٠/٥٢٣٢

إهداء

إلى عزيزى القارئ العربى فى كل مكان من الخليج إلى المحيط
أهدى إليك هذا العمل الأدبى المهم
متمنياً أن يحوز إعجابك.

أ.د. ماهر الشربيني

الفصل الثامن

عندما تحدثت سابقاً عن رياضة السير فوق السور، كنت قد تحدثت قليلاً عن سور الخيزران الذي يحيط بحديقة منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، وخارج ذلك السور مباشرةً منزل آخر، ولا يجب أن تعتقدوا أنه منزل الجار صاحب العربة والقط "أسود"، إنه منزل رخيص الإيجار ولكنه منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، ويوجد سور بسيط يحيط بحدود أرض منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، وإن كان سوراً بسيطاً فإنه يمنع الجار هو وعائلة صاحب العربة أن تختلط بعائلة سيدي الأستاذ "عطسة"، لأنهم ليسوا على المستوى الاجتماعي للأستاذ "عطسة".

وتوجد خارج سور حديقة منزل السيد "عطسة" أرض فضاء نحو أحد عشر مترًا، في نهايتها تصطف خمس أو ست أشجار سرو كبيرة، وإذا نظرت من شرفة سيدي الأستاذ "عطسة" إلى منزل صاحب القط "أسود" سترى الغابة، فتشعر بأن من يعيش في منزلنا هذا عاطل يحب العزلة، ويعيش وحيدًا مع قط مجهول الاسم اتخذه صديقًا له، وبما أن أشجار السرو هذه ليست لها أفرع، ستشاهد منزل صاحب العربة بوضوح خلف تلك الأشجار، وقد أطلق صاحب العربة على منزله اسم "قصر طيور الكركي"، اسم يوحي بالعظمة رغم أنه منزل رخيص وسطحه متهالك، وطبيعي ألا تتخيل أن أستاذًا يعيش في منطقة شعبية جدًّا مثل هذه، فطريقته في التفكير صعبة، وهذا يجعلني أشعر بالإرهاق الشديد كي أعرف كيف يفكر.

وإذا كان اسم منزل صاحب القط "أسود" هو "قصر طيور الكركي"، فمنطقي أن نطلق على منزل السيد "عطسة" اسم "كهف التنين النائم"، أي "كهف الموهبة المدفونة"، وبما أنه لا ضرائب تُفرض على إطلاق الأسماء، فمن حق كل شخص أن يطلق على منزله ما شاء من أسماء، وأما السور الفاصل بين الأرض الفضاء التابعة لمنزل سيدي الأستاذ "عطسة" ومنزل صاحب القط "أسود" من الشرق إلى الغرب، فطوله نحو عشرة أمتار، ينحني إلى الناحية الشمالية حيث يوجد كهف الموهبة المدفونة، ولكهف الموهبة المدفونة جهتان تطلان على الناحية الشمالية. وفي الأصل فإن وجود أرض فضاء أمام منزل مدعاةً لافتخار صاحب ذلك المنزل، ولكن الأرض الفضاء -وخاصةً

الموجودة في الناحية الشمالية أمام "كهف الموهبة المدفونة" - مصدر قلق لسيد "كهف الموهبة المدفونة"، وكذلك لي أنا القط المعجزة قاطن ذلك الكهف.

وتحتل أشجار السرو الناحية الجنوبية، أما الجهة الشمالية فتصطف فيها نحو ثمانى أشجار باولونيا، في مساحة تزيد عن ثلاثة أمتار، وبما أن خشب الباولونيا يستخدم في صناعة القباقيب، فإذا بيعت تلك الأشجار إلى صانع القباقيب فسوف تدر مالاً كثيراً، ولكن سيدي الأستاذ "عطسة" يستأجر المنزل الذي يعيش فيه، فلو افترضنا أنه فكر في بيعها لما استطاع، يا له من مسكين.

ومنذ عدة أيام جاء تلميذ في مدرسة سيدي الأستاذ "عطسة" فقطع فرعاً من شجرة الباولونيا دون استئذان، وذهب فصنع منه قبقاباً له، وعندما جاء المرة التالية قال مفتخراً: "لقد صنعت هذا القبقاب من فرع هذه الشجرة".

يا له من تلميذ لص ووقح! نعم، توجد أشجار باولونيا ولكنها عديمة النفع، سواء بالنسبة إلى الأستاذ "عطسة" أو عائلته أو حتى لي، ويوجد مثل قديم يقول: "حرام أن تمتلك نعمة ولا تستغلها". يعنى من الطبيعي عندما يقوم شخص بتربية أشجار باولونيا أن يستغلها في الحصول على مال، والوضع الحالى لتلك الأشجار كشخص يمتلك أوراقاً مالية ولا يستخدمها حتى تتعفن، والغنى الذى لا يفعل ذلك ليس سيدي الأستاذ "عطسة"، ولا أنا، ولكنه مالك المنزل، إن الأشجار تناديه أن يبحث عن صانع

قباقيب كى يقطعها، ولكنه يتجاهل نداءها، ويأتى فقط إلى منزل سيدى الأستاذ "عطسة" للحصول على إيجار المنزل.

وبما أننى لا أكره مالك المنزل فسوف أتوقف عن الخوض فى اغتيابه عند هذا الحد، وأعود للحديث عن الموضوع الأساسى الذى كنت شرعت فيه، ألا وهو: لماذا هذه الأرض الفضاء مصدر للإزعاج، ولكن أرجوكم ألا تخبروا سيدى الأستاذ "عطسة" بما سأقوله لكم، إنه سر بيننا هنا ويجب ألا يخرج لأحد آخر.

أول شىء يسبب لنا إزعاجًا من هذه الأرض الفضاء هو أنها ليس لها سور يحيط بها من جميع النواحي، إنها أرض مباحة لفعل كل شىء فيها، لمن يعبرها كى يختصر طريقًا طويلًا، أو يتنزه فيها، وأحيانًا تأتى من ناحيتها رياح مثيرة للأتربة تجاهنا، ولكن إن قلت إن هذه الأرض ليس لها سور فسأكون كاذبًا، فى الحقيقة لم يكن لها سور، وبالتالى يجب أن أبدأ الحديث من الماضى كى تفهم أسباب المشكلة، وإذا لم تفهم أسباب المشكلة فسوف تشعر بضيق مثل طبيب لا يعرف أسباب المرض كى يكتب روشتة لمريض، ولذلك سأبدأ الحديث من فترة انتقال سيدى الأستاذ "عطسة" للسكن هنا كى تفهم الحكاية.

إنه لشىء جميل فى الصيف أن يمر نسيم عليل من الأرض الفضاء تجاه منزل سيدى الأستاذ "عطسة"، بجانب عدم وجود مال فى منزله، وهذا يكفيننا الخوف من السرقة، ولذلك لا أهمية لأى سور يحيط بالمنزل لحمايته، فليس مهمًا وجود مجرى مائى حول المنزل أو سور، سواء كان من الأحجار أو من الخيزران أو

خيزران قُطِع الجزء العلوى منه على هيئة سنون مدببة، أو من الأعشاب أو من فروع الأشجار... إلخ، ولكن توجد مشكلة، ألا وهى الجيران الذين يستخدمون الجانب القريب من فضاء منزل سيدى الأستاذ "عطسة"، ولا أعرف هل أطلق عليهم البشر أم "البهائم"! وكى نحل هذه المشكلة يجب أن أوضح على قدر ما أستطيع طبيعة "الصفوة" الذين يستخدمون ذلك الجانب، ويبدو أننى تسرعت فى الحكم عليهم حين وصفتهم "بالصفوة"، ولكنهم فعلاً "صفوة"، ولكن "صفوة" اللصوص فى دنيانا هذه، ولكن لا تستطيع الشرطة القبض عليهم، لأن عددهم كبير ويتعاونون معًا كالحشرات الضارة. إن ذلك المكان مدرسة إعدادية خاصة، واسم المبنى الذى تستخدمه "قصر السحب الساقطة"، فيها ثمانئة من الباشوات التلاميذ، وفوق ذلك تُحصّل مبلغًا ماليًا، "نينين" كاملين من كل تلميذ، مقابل تعليمهم وتربيتهم على الأخلاق الحميدة. ومن يسمع اسمًا جميلًا مثل "قصر السحب الساقطة" يتصور أن تلاميذ تلك المدرسة "صفوة" فى التحلى بالفضائل والأخلاق الحميدة، ولكن ذلك بكل تأكيد خطأ. إن من يعتقد ذلك يكون قد انخدع باسم المدرسة، وهو بذلك كمن يعتقد أن من يعيش فى "قصر طيور الكركى" طيور كركى، أو أن من يعيش فى "كهف التنين النائم" تنين وليس قطعًا. فكما أن معرفة أن الأستاذ "عطسة" الحاصل على درجة الليسانس مجنون، فمعرفة أن الباشوات تلاميذ مدرسة "قصر السحب الساقطة" ليسوا "صفوة"، لأنهم لا يتحلون بأى فضائل. ومن لا يقتنع بكلامى هذا فليأتِ إلى

منزل سيدي الأستاذ "عطسة" وليقيم فيه ثلاثة أيام فقط كتجربة كي يتحقق من صدق كلامي.

كما قلت لحضراتكم سابقًا، عندما انتقل سيدي الأستاذ "عطسة" كي يسكن هنا، لم يكن هناك سور فاصل بين تلك المدرسة وحدود منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، ولذلك كان تلاميذ "قصر السحب الساقطة" يفعلون مثلما يفعل القط "الأسود" الذي يعيش في منزل سائق عربة اليد جنوب حدود منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، أي كانوا يدخلون هذه الأرض الفضاء الموجودة في الناحية الشمالية والتي توجد فوقها أشجار باولونيا، فيتجاذبون أطراف الحديث ويأكلون وجبات الطعام المحمولة، ويستلقون فوق أعشاب الخيزران.. إلخ، ثم يلقون أوراق أشجار الخيزران التي كانوا يغلفون بها الوجبات المحمولة، ويلقون بالصحف القديمة ونعالهم القديمة المصنوعة من أعواد الأرز، وبقباقيهم القديمة وكل شيء قديم فيها بالقرب من منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، ولكن سيدي الأستاذ "عطسة" الغبي كان لا ينهرهم عن فعل ذلك، ولا أعرف إذا كان لا يعرف أنهم يفعلون ذلك أو يعرف ولكن لا يأبه بذلك.

والغريب أنه كلما حصلوا على تعليم في تلك المدرسة، زادت تدريجيًا تصرفاتهم غير الأخلاقية، فقد صاروا ينتشرون في المكان كله، فبدأوا يتحركون من الناحية الشمالية إلى الناحية الجنوبية بكثرة مثل دود القز، وإذا كنتم تعتقدون أن كلمة "دود القز" كلمة غير معبرة عن الموقف فتجاهلوها، ولكن لا أجد كلمة أخرى تعبر عما أريد توضيحه، وكما ينتقل البدو من مواضع

الجفاف في الصحراء إلى حيث الماء والعشب، فإن هؤلاء تركوا مواضع أشجار الباولونيا، وجاءوا إلى حيث أشجار السرو، وأشجار السرو تقع في المنطقة الفضاء التي تواجه حجرة ضيوف منزل سيدي الأستاذ "عطسة" مباشرة، وهي داخل أرض منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، وهذا يعنى أنهم إذا كانوا فعلاً "صفوة"، لو لم يكونوا "صفوة"، لما كانوا تجرأوا وفعلوا ذلك.

وبعد عدة أيام تجرأوا أكثر ثم أكثر، بل صاروا في منتهى الجرأة، وهذا يعنى أنه لا يوجد رعب أكثر من رعب نتائج التعليم السيئ، فلم يكتفوا بالجلوس فقط أمام حجرة الضيوف، بل وصل الأمر إلى أن يغنوا أغنيات، وإن كنت لا أتذكرها، لكنها لم تكن شعراً غنائياً تقليدياً كالذى نغنيه دائماً، بل كانت أغانٍ شعبية تسبب الضجيج، ولقد اندهش سيدي الأستاذ "عطسة" من نوعية تلك الأغاني، واندهشت أنا أيضاً، لدرجة أننا أخذنا ننصت إليها من فرط دهشتنا كي نفهم ماذا يقولون، ولقد شعرت بالدهشة والضييق معاً في الوقت نفسه عندما سمعت تلك الأغاني، ولكن، كما تعلمون أعزائي القراء، هناك فرق بين الشعور بالدهشة والشعور بالضييق، وكل من "الدهشة" و"الضييق" يحملان معنيين عكسين، ولكنى شعرت بالدهشة لأنها أغانٍ شعبية لم نعتد سماعها، وبالضييق لما تسببه من ضجيج لنا، وعندما أتذكر الآن أغانيهم هذه أشعر بأنه شيء مؤسف أن أشعر بالدهشة والضييق في الوقت ذاته، وأكد أن سيدي الأستاذ "عطسة" شعر بما شعرت به. وعلى العموم عندما كانوا يغنون، قفز سيدي الأستاذ "عطسة" فجأة

من مكتبته وذهب جريًا إليهم وطردهم ونهرهم بشدة قائلاً:
"لا يحق لكم الدخول هنا، اخرجوا فورًا من هنا، اخرجوا، اخرجوا".

ورغم أن هؤلاء الباشوات التلاميذ قد حصلوا على قدر من العلم، فإنهم لا يستطيعون الاقتناع بما يقوله سيدي الأستاذ "عطسة" لهم، فعندما يطردهم من أمام حجرة الضيوف يعودون مرة أخرى فورًا، ثم يغنون أغانيهم الشعبية التي تسبب ضوضاء، ويتحدثون بصوت عالٍ، ويستخدمون ألفاظًا مبتذلة في أحاديثهم، تلك الألفاظ كانت تُستخدم قديمًا وكان يستخدمها الخدم والحمالون والمتسولون. وقد فسر أحد الأشخاص استخدام ألفاظ مبتذلة بأنها ظاهرة جديدة انتشرت بين تلاميذ المدارس بعد دخول القرن العشرين، مثل ظاهرة ممارسة الرياضة التي كان يحتقرها العامة قديمًا، ولكن في القرن العشرين صار الجميع يحبونها ويمارسونها.

وذات مرة إذا بسيدي الأستاذ "عطسة" يقفز فجأة خارجًا من مكتبته المطلية على المنطقة الفضاء إلى هؤلاء الباشوات التلاميذ الموجودين في تلك المنطقة الفضاء، ويمسك بأكثرهم تفوهًا بالكلمات البذيئة ويقول له:

"لماذا دخلت هنا، وكيف تجرؤ على استخدام ألفاظ بذيئة مثل هذه!".

فيرد التلميذ بطريقة وقحة: "كنت أعتقد أن هذا المكان حديقة نباتات تابعة لمدرستنا".

فلقنه سيدي الأستاذ درسا في الأخلاق يفيدته في مستقبله ثم تركه، ولكنه أمر غريب أن يتركه، وعلى العموم فإن سيدي الأستاذ "عطسة" أمسكه من كم قميصه وعنقه، وقد اكتفى بذلك معتقداً أنه رادع عن فعل ذلك مرة أخرى، ولكن في الواقع ما فعله سيدي الأستاذ لم يؤدِّ إلى تغيير سلوكهم، فلقد فشل في تغيير سلوكهم كما يفشل دائماً في كل شيء.

وبعد ذلك دخلوا من مدرستهم المنطقة الفضاء الموجودة في الناحية الشمالية، التي تدخل أيضاً في حدود منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، فساروا في منتصفها ثم خرجوا من البوابة الرئيسة لمنزل سيدي الأستاذ "عطسة"، ولكن عند خروجهم من البوابة الرئيسة جذبوا الباب بشدة كي يفتحوه، فسمعنا الصوت واعتقدنا أنهم ضيوف أتوا إلينا، ولكننا سمعنا أصوات ضحكات تأتي من خارج حدود الناحية الشمالية التي توجد بداخلها أشجار الباولونيا، ويوجد سور في الناحية الشمالية يفصل بين حدود منزل سيدي الأستاذ عطسة وشارع خارجه، ف شعرنا بأن الأمر زاد سوءاً وصار خطيراً، فدخل سيدي الأستاذ "عطسة" المسكين مكتبته وكتب خطاباً بأدب شديد إلى مدير مدرسة هؤلاء التلاميذ يرجوه حل تلك المشكلة، فرد عليه المدير بأدب قائلاً: "سوف نقيم سوراً بيننا وبينك يمنع دخول التلاميذ حدود أرض منزلك، انتظر قليلاً إلى أن نقيم السور".

وبعد عدة أيام جاء ثلاثة عمال فأقاموا سوراً ارتفاعه متر بين منزل سيدي الأستاذ "عطسة" والمدرسة، ف شعر سيدي الأستاذ "عطسة" بالراحة والسعادة كأن المشكلة حُلَّت، ولكن

اتضح أنه كان أبله، لأن الباشوات التلاميذ لا يغيرون سلوكياتهم بشيء بسيط مثل السور.

وعلى نحو عام، إن إثارة شخص آخر أمر مشوق، فأنا مثلاً أحياناً أتعمد إثارة بنات سيدي الأستاذ "عطسة" بهدف جذبهن للعب معي، وطبيعي أن يشعر الباشوات تلاميذ تلك المدرسة بالإثارة في استفزاز سيدي الأستاذ الغبي "عطسة"، ومؤكد أن مَنْ يشعر بالضيق من ذلك هو سيدي الأستاذ "عطسة" فقط.

وعندما نُحلّل عملية "إثارة شخص" من الناحية النفسية سنجد عاملين مهمين يتحكمان في تلك العملية، أولاً: يجب على الشخص الذي يُثار ألا يقوم بأي رد فعل، وثانياً: يجب على من يُثير أن يكون أكثر قوة أو عددًا ممن يُثار.

ومنذ عدة أيام ذهب سيدي الأستاذ "عطسة" إلى حديقة الحيوان، وعندما عاد أخذ يتحدث عن شيء واحد باستفاضة واندهاش، وذلك الشيء كان مشاجرة بين جمل وجرو، فلقد أخذ الجرو يدور حول الجمل بسرعة كالرياح وينبح، ولكن الجمل لم يعره انتباهاً، بل رفع رأسه إلى أعلى في شموخ دون حركة، ومهما نبح الجرو فإن الجمل لا يعيره انتباهاً، إلى أن وجد الجرو أنه لا فائدة من إثارة الجمل، فتوقف عن إثارته وتركه لحاله، ولقد ضحك سيدي الأستاذ "عطسة" على رد فعل الجمل وقال عنه: "إنه عديم الإحساس".

وهذا مثال مناسب لتوضيح عملية "إثارة شخص"، فمهما كان الشخص المُثير ممتازاً، فلن يحدث شيء إذا تصرف الشخص المراد إثارته كما تصرف الجمل، ولكن إذا كان الشخص المراد

إثارته قويًا للغاية كالأسد أو النمر فلن تتم الإثارة، بل سيتم تقطيع ذلك المثير إربًا في الحال، ولكن إذا حاولت إثارة شخص، وحتى لو ثار في داخله ولكنه لم يفعل أى شيء، فهنا سيشعر الشخص المثير بالأمان وستكون الإثارة شيئًا ممتعًا جدًا له.

وقد يسأل البعض لماذا "الإثارة" أمر مشوق؟ فأقول: لأسباب كثيرة، أولاً: مناسبة لشغل وقت الفراغ، فعندما تشعر بالملل تميل لفعل أى شيء ولو حتى عدَّ شَعْرَ شاربك، وقيل إنه كان هناك قديمًا شخص دخل السجن، ف شعر بملل شديد من وجوده طوال الوقت في زنزانه دون فعل شيء، فظل يرسم مثلثات على جدار الزنزانه طوال اليوم كي يمر الوقت ويعيش، وهذا يعنى أنه لا يوجد في هذه الدنيا أصعب على الإنسان من الشعور بالملل، فإذا لم يكن هناك شيء يُبقى الإنسان منتبهًا نشيطًا فلن يستطيع العيش، و"الإثارة" نوع من وسائل اللهو التى تؤدى إلى النشاط وقتل الملل، والإثارة تؤدى إلى إغضاب الشخص المراد إثارته أو ضيقه أو إضعاف قوته، وإذا لم تؤدَّ إلى أى من هذا فلن تكون إثارة، ولذلك فمنذ القدم كان من ينغمس بشدة في إثارة الناس هو من يملك وقت فراغ طويلًا، مثل الإقطاعيين الذين كانوا يملكون أراضى كثيرة، أما الآن فمن يقوم بالإثارة شخص يواسى نفسه، أو طفل غير ناضج العقل لا يستغل الوقت في تفكير مفيد أو في عمل مفيد.

وثانيًا: الإثارة أسهل طريقة لإثبات تفوقنا على الآخرين، فلا شك أن القتل أو الإصابة الجسدية أو خداع الآخرين طرق أخرى كي نثبت بها تفوقنا على الآخرين، ولكن تلك الطرق تكون في

حالة إذا كان هدفنا إثبات تفوقنا على الآخرين بالقتل أو الإصابة الجسدية أو الخداع، وتكون نتيجة غضب لا أكثر، ولكن إذا كان هدفنا أن نوضح تفوقنا على الآخرين وفي الوقت نفسه ألا نوذّهم جسدياً، فإن "الإثارة" تكون أفضل وسيلة لفعل ذلك. وإذا لم تؤذ الآخرين نفسياً ولو حتى قليلاً فلن تشعر داخل نفسك بأنك متفوق على الآخرين، ولن يتحول شعورك بتفوقك على الآخرين إلى حقيقة واقعة، والإنسان يحب أن يسمع كلمات الإعجاب من الآخرين، حتى بالنسبة إلى التصرفات التي لا يجب أن يسمع عنها كلمات إعجاب، يحب أن يسمع عنها كلمات إعجاب، ولذلك لا يشعر الإنسان بالراحة إلا إذا حوّل فكره إلى واقع ملموس أمام الآخرين، وخاصة مجانين العظمة الذين يشعرون بنقص عن الآخرين، لا يتوانون عن انتهاز أى فرصة كي يثبتوا للآخرين أنهم متفوقون عليهم، إنهم مثل لاعبي الجودو الذين يلقون بالأشخاص على الأرض بعيداً، فلاعب الجودو غير سوى النفسية يريد أن يقابل لاعباً آخر أضعف منه كي يلقيه على الأرض بسهولة، ومجانين العظمة مثل هؤلاء يفكرون بطريقة خطيرة، ويسIRON هنا وهناك بهدف البحث عن ضعيف يثبتون من خلاله أنهم متفوقون على الآخرين.

وتوجد أسباب أخرى كثيرة للإثارة سيطول الحديث عنها، ولذلك لن أتعرض لها، وإذا أردت أن تعرفها فشرفى بالحضور وفى يدك صندوق سمك "بينيت"، وسأحكيها لك بالتفصيل.

وبناءً على ما سبق من شرح أستطيع استنتاج أن أنسب من تستطيع إثارتهم قرد حديقة الحيوان وسيدى الأستاذ "عطسة"،

وشيء مؤسف أن أعقد تشبيهاً بين قرد حديقة الحيوان وسيدى الأستاذ "عطسة"، وإن كان المؤسف ليس تشبيه سيدى الأستاذ "عطسة"، ولكن تشبيه القرد بسيدى الأستاذ "عطسة"، عموماً لا حيلة باليد بما أنهما متشابهان جداً، وكما تعلمون يا حضرات السادة فإن قرد الحديقة مقيد، فهو محبوس في قفص حديدي، وبالتالي مهما غضب وكشر عن أنيابه وصاح فلن يرتعب أحد منه، وإن لم يكن سيدى الأستاذ "عطسة" محبوباً في قفص حديدي، فهو مقيد كذلك بالراتب، مهما أثرته لا خوف منه، لن يثور ويضرب التلاميذ ثم يستقيل، فلو كانت عنده نية للاستقالة لما عمل أستاذاً منذ البداية، ولا تسترّ على التلاميذ.

و"عطسة" أستاذ، ليس أستاذاً في مدرسة "قصر السحب الساقط"، ولكن مما لا شك فيه أنه أستاذ، إنه مناسب جداً كي يثيره التلاميذ، ولن يكلفهم الأمر شيئاً، أما هو، فمسكين لا حول له ولا قوة.

وتلاميذ مدرسة "قصر السحب الساقطة" أطفال، يشعرون بالزهو من أنهم يستطيعون إثارة الآخرين، نتيجة للتعليم السيئ الذى جعلهم يعتقدون أن من حقهم فعل ذلك، بل الأدهى من ذلك أن بعضهم يشعر بضيق شديد إذا لم يعرف كيف يستخدم عقله وجسده استخداماً كاملاً كي يثير أحداً في أثناء الراحة بين الحصص.

وبناءً عليه يتضح جلياً أن سيدى الأستاذ "عطسة" هو الذى يتسبب في إثارة نفسه، وبالتالي طبيعى أن يثيره التلاميذ، وأى

شخص سيري أن يحاول التلاميذ إثارته شيئاً طبيعياً، وأنه إذا ثار يكون غيباً جداً، وسوف أحدثكم عن كيف قام التلاميذ بإثارته، وماذا كان رد فعله تجاه ذلك.

أعتقد أنكم تتذكرون الحديث عن إقامة سور على الضلع الرابع القريب من حجرة ضيوف منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، كي يفصل بين المدرسة وحدود أرض منزل سيدي الأستاذ عطسة، لقد أقاموا سوراً بسيطاً مكوناً من خيزران موضوع بطريقة رأسية وأفقية ليسمح بمرور الهواء، ومثلي يستطيع الدخول من بين فتحاته والخروج بسهولة، وبالتالي سواء أقاموه أم لا فلا فارق معي، ولكن ليس معنى هذا أن مدير مدرسة "قصر السحب الساقطة" قد أقام سوراً بفتحات من أجل ألا يكون عائقاً لي في الدخول والخروج، بل أقامه هكذا كي يصير مانعاً من دخول تلاميذه -الذين هو مسئول عن تربيتهم- حدود أرض منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، فعلاً يستطيع السور السماح بمرور الهواء من بين فتحاته مهما كان الهواء قوياً، ولكن لا يسمح بمرور البشر من أي فتحة بين فتحاته، حتى الساحر الصيني المشهور السيد "تسنج شى تسون" لا يستطيع المرور من أي فتحة من فتحات ذلك السور، فمساحة الفتحة ١٣ سنتيمتراً مربعاً، فالسور مقام بطريقة ممتازة لا تسمح للبشر مطلقاً بالمرور من خلال أي فتحة من فتحاته، وعليه فإن سيدي الأستاذ "عطسة" عندما شاهد السور شعر بالراحة والسعادة وأحس بأن المشكلة انتهت.

إذًا فقد توصل سيدي الأستاذ "عطسة" إلى استنتاج أن السور حل المشكلة، ولكن كانت هناك "ثغرة" كبيرة في استنتاجه هذا، وهذه "الثغرة" أكبر من "ثغور" ذلك السور، لدرجة أن سمكة ضخمة تستطيع المرور من خلال أي "ثغرة" من "ثغور" ذلك السور.

لقد توصل إلى ذلك الاستنتاج، لأنه افترض أن "السور شيء لا يمكن تسلقه"، لقد افترض أن تلاميذ المدرسة عندما يشاهدون سورًا، حتى لو كان مقامًا بطريقة بسيطة ويحتوى على فتحات، لن يفكروا في تخطيه بأى طريقة.

واعتقد سيدي الأستاذ "عطسة" أنه حتى لو كان ممكنًا تخطى السور بالمرور من أى فتحة من فتحاته فلن تكون هناك مشكلة، لأن من يستطيع المرور من خلال أى فتحة من فتحات السور سيكون طفلًا صغيرًا جدًّا، ولكن طبيعى ألا يفتن الطفل الصغير إلى ذلك، وعليه فليس هناك تخوف من أن يمر أحد من خلال أى فتحة من فتحات السور.

نعم استنتاجه صحيح، إذا كانوا ليسوا قططًا، طبعًا لن يستطيعوا المرور من خلال أى فتحة من فتحات السور حتى لو أرادوا ذلك، لكن تسلقه أو القفز من فوقه ليس مشكلة على الإطلاق، بل على العكس يبدو رياضة مشوقة.

وما حدث منذ بداية اليوم التالى لإقامة السور مثل ما كان يحدث قبل إقامته، فكانوا يقفزون من فوق السور إلى الناحية الشمالية حيث المنطقة الفضاء التابعة لحدود منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، ولكنهم كانوا يتجنبون الذهاب إلى

المنطقة التي أمام حجرة الضيوف، وكانوا يتحركون في مساحة لا يستطيع سيدي الأستاذ "عطسة" الإمساك بهم فيها، فقد اختاروا المنطقة الفضاء الشمالية، فهي خلف منزل سيدي الأستاذ عطسة، وهي بذلك بعيدة عن مكان وجوده، فإذا حاول الجرى وراءهم كي يمسخهم، كان لديهم وقت للجرى والخروج من حدود منزله، بجانب أنه لم يكن يستطيع معرفة ما يفعلونه عندما يكون موجوداً في مكتبته الموجودة في الجناح الشرقى للمنزل، لأن الجناح الشرقى يطل على المنطقة الفضاء الجنوبية، وهم خلف المنزل حيث المنطقة الفضاء الشمالية، وكي يشاهد ما يفعلونه في منطقة الفضاء الموجودة في الناحية الشمالية، فليس أمامه إلا أن يفتح باباً خشبياً ويخرج ويدور إلى اليسار في اتجاه عكسى، أو يذهب إلى مؤخرة المنزل حيث المرحاض، فينظر من نافذة المرحاض المطلّة على المنطقة الفضاء الشمالية.

وعندما ينظر من النافذة فإنه يستطيع أن يكتشف أين هم وماذا يفعلون، ولكن رغم ذلك لا يستطيع الإمساك بهم، بل فقط يصيح غضباً ويعنفهم من النافذة وهو داخل المنزل. ولو حاول الخروج من الباب والدوران في اتجاه عكسى كي يمسخهم، فإنهم يسمعون أصوات قدميه يجرى على الأرض الخشبية للمنزل، فيهربون بسرعة قبل أن يصل إليهم، فيكون مثل صائد حيوانات يركب قارباً لصيد عجل البحر في وسط النهار إذ يراه عجل البحر بسهولة، فيفشل بامتياز في اصطياده.

ونستطيع أن نقول إن نقطة ضعف سيدي الأستاذ "عطسة" هي أنه عندما يكون موجوداً في مكتبته يسمع أصوات أعدائه ولكن لا يستطيع رؤيتهم، ولكن عندما يكون أمام نافذة المرحاض يستطيع رؤيتهم ولكن لا يستطيع الوصول إليهم، وقد كانت إستراتيجية أعدائه في استغلال نقطة ضعفه كما يلي:

يتجسسون عليه، وعندما يعرفون أنه عاكف في مكتبته يصيحون بصوت عالٍ، ويقولون ما يضايقه ولكن بما لا يمكّنه من تحديد مصدر الصوت بوضوح، لا يستطيع تحديد إذا كان الصوت يأتي من داخل حديقة المنزل، أى من الاتجاه الجنوبي، أو من الناحية الأخرى أى الناحية الشمالية، فإذا خرج ليقبض عليهم، إذا كانوا في الناحية الجنوبية حيث الحديقة فإنهم يهربون بسرعة إلى حدود مدرستهم، وإذا كانوا في الناحية الشمالية فإنهم يهرعون بسرعة إلى خارجها، ويتجاهلونهم كأنهم لم يفعلوا أى شيء.

وللعلم لقد استخدمت كثيراً كلمة "المرحاض"، وأعلم أنها توحى بمكان رائحته كريهة، وأنا بالطبع لا أشعر بالفخر أن أستخدم هذه الكلمة، بل إننى أشعر بالضيق أيضاً بسبب استخدامها، ولكنى مضطر إلى استخدامها لوصف المعركة بين سيدي الأستاذ "عطسة" وهؤلاء التلاميذ، وعلى كل حال نعود إلى موضوعنا وأقول: عندما يشاهد الباشوات التلاميذ سيدي الأستاذ "عطسة" يذهب إلى المرحاض، يلتفون ويذهبون ناحية أشجار الباولونيا خصوصاً كي يراهم، فيغضب ويصيح بصوت عالٍ

يصل بقوة إلى مسامع جميع الجيران المحيطين بمنزله، وحينئذٍ ينسحب أعداؤه بسرعة إلى حيز ممتلكاتهم.

واستخدام إستراتيجية الحرب هذه أدى إلى معاناة سيدي الأستاذ "عطسة" بشدة، فعندما كان يتصور أن أعداءه داخل حدود منزله فيخرج حاملاً عصا، يجد المكان في حالة سكون تام ولا يجد أحداً منهم فيه، وعندما يتصور أنه لا أحد في داخل حدود منزله، فيفتح الشرفة ويطل منها يشاهد على الأقل واحداً أو اثنين من الأعداء، فكان يذهب إلى الناحية الشمالية حيث المنطقة الخلفية للمنزل، ثم يعود إلى داخل المنزل ويفتح نافذة، أو يفتح نافذة دور المياه أولاً ثم يذهب إلى المنطقة الخلفية للمنزل، وكان يكرر تصرفاته هذه كما أكرر كلامي هذا، وصار مشغولاً بفعل هذا ما جعله مرهقاً، لدرجة أن ذلك رفع دمه إلى أعلى ولم نعد نعلم هل عمله الأساسي هو التدريس أو حرب أعدائه، وعندما وصل الوضع إلى نوبة غضب بسبب ارتفاع عكسي حاد في الدم وقعت الحادثة التالية.

والارتفاع العكسي للدم، كما هو واضح، يعنى سير الدم في اتجاه عكسي إلى أعلى، ولا يختلف رأى الطبيب السويسري باراسيلسوس (١٥٠٠م)، أو رأى "جلين" طبيب إمبراطور روما (١٧٠م)، أو الطبيب الصينى المشهور "هِنْجَاكُو (٢٥٠ق.م)" عن أن ذلك يحدث، ولكن تختلف الآراء عن إلى أين يرتفع بدقة، وما المصاحب مع ارتفاع الدم بدقة.

ويُذكر في الأساطير الأوروبية القديمة أن هناك أربعة أنواع لدوران السوائل داخل الجسم.

أولاً: نوع يُقال عنه "سائل الغضب"، وهو السائل الذى يسير بطريقة عكسية إلى أعلى ويؤدى إلى الغضب.

ثانياً: نوع يُطلق عليه سائل البطء: ويشير إلى بطء رد الفعل العصبى مع سير السائل فى اتجاه عكسى إلى أعلى.

ثالثاً: نوع يُطلق عليه سائل التفاؤل: وهو السائل الذى يجعل الإنسان متفائلاً.

رابعاً وأخيراً نوع يُطلق عليه سائل الدم، وهو الذى يجعل الأطراف نشيطة.

ولكن بعد ذلك تقدمت البشرية، ومع تقدمها اختفت الأساطير التى تتحدث عن سوائل البطء والغضب والتفوق، وتبقى الحديث والبحث فقط عن سائل الدم الذى يدور فى الجسم إلى الآن كما كان من قبل.

ولذلك فإن كان هناك ما يسير عكسياً من أسفل إلى أعلى، فهو الدم فقط وليس شيئاً آخر.

ومع ذلك فإن كمية الدم الموجودة فى جسم الإنسان تختلف من شخص إلى آخر، تزيد أو تنقص على حسب طبيعة الشخص، ولكن على نحو عام نحو ١٠ لترات للفرد الواحد، ولذلك عندما تصعد كمية الدم هذه فى طريق عكسى إلى أعلى، فإن المكان الذى ترتفع إليه ينشط ويعمل بكفاءة عالية، ولكن تُصاب بقية الأماكن بنقص فى الدم وتصير باردة، وهذا يشبه المظاهرات التى حدثت عام ١٩٠٥ اعتراضاً على المعاهدة اليابانية الروسية، فقد ترك جميع أفراد الشرطة اليابانية

أكشاك الشرطة الموجودة في الشوارع وتجمعوا في أقسام الشرطة الكبيرة، فصارت "طوكيو" خالية تمامًا من الشرطة، فإن سحب جميع أفراد الشرطة من طوكيو، وتجمعهم في أقسام الشرطة الكبيرة، مثل سحب الدم من كل أماكن الجسم وتجمعه في مكان واحد، وهذا من منظور طبي يمكن أن نقول عنه "سير عكسي للشرطة".

وكي نحل مشكلة سير الدم بغزارة في طريق عكسي إلى أعلى، يجب أن نوزع الدم على جميع أجزاء الجسم كما كان يحدث سابقًا قبل سيره في طريق عكسي، وعليه يجب إنزال الدم الذي ارتفع مرة أخرى إلى أسفل، وتوجد طرق كثيرة لفعل ذلك، فلقد كان أجداد سيدي الأستاذ "عطسة" يفعلون ذلك بوضع منشفة مبتلة بالماء فوق الرأس ويضعون الأقدام بجانب موقد نار، فتبريد الرأس وتدفئة الأقدام أفضل الطرق لعلاج ذلك كما تقول موسوعة الطب الصينية المشهورة "شجنالون"، وكى يحافظ الإنسان على حياته يجب أن يضع كل يوم على رأسه منشفة مبتلة بماء.

وإذا لم يفعل ذلك فيمارس الطريقة التي يتبعها الرهبان، ألا وهى الترحال، كانوا يرحلون من مكان إلى آخر كي يدعوا إلى الدين، كأنهم كالسحاب في السماء ينتقل من مكان إلى آخر حسب الجو، أو كالماء يجرى من مكان إلى آخر حسب تضاريس الأرض، وينامون تحت شجرة أو فوق صخرة، وهم لن يناموا تحت شجرة أو فوق صخرة من أجل التحمل كنوع من العبادة، بل من أجل خفض الدماء مرة أخرى لتوزيعها

على بقية أعضاء الجسم، وهذه الطريقة اهتدى إليها الراهب الصينى "إنو" عندما كان يطحن الأرز كي يصنع فطيراً، جرّب أن تجلس فوق صخرة، ستشعر ببرودة في المؤخرة، وسوف ينخفض الدم ويذهب إلى بقية أجزاء الجسم، وهذه الطريقة مأخوذة من الطبيعة ولذلك لا يمكن الشك في صحتها.

ولقد تم اكتشاف كثير من الطرق التى تؤدى إلى خفض الدم مرة أخرى وتوزيعه إلى بقية أجزاء الجسم المختلفة، ولكنى أشعر بالأسف لعدم اكتشاف طريقة لرفع الدم إلى أعلى، وإذا قلنا إن ارتفاع الدم ضرر وليست له أى فوائد، فهذا حكم عام ومتسرع ولا ينطبق على جميع الحالات، فهناك أعمال لا تصلح إلا إذا حدث ارتفاع للدم بغزارة إلى المخ لمن يقوم بها، وإذا لم يحدث ذلك لن يستطيع ذلك الشخص القيام بعمله أبداً.

ومن بين تلك الأعمال التى تحتاج إلى ارتفاع الدم بغزارة إلى المخ قرض الشعر، فإن ارتفاع دم الشاعر مهم، كأهمية الفحم بالنسبة إلى السفينة التى تسير بالفحم، فإذا انقطع إمداد الدم بغزارة عن مخ الشاعر ولو ليوم واحد، فلن يستطيع قرض الشعر ولن يستطيع إيجاد قوت يومه ويصير دون موهبة شأنه شأن أى شخص عادى. واندفاع الدم بغزارة إلى المخ له مسمى آخر هو "الجنون"، وإذا لم يصل أشخاص مثل الشعراء إلى حالة الجنون لن يستطيعوا القيام بأعمالهم، ولكنهم لا يستطيعون قول ذلك لعامة الناس كي لا تصير سمعتهم سيئة، ولكنهم عندما يتحدثون إلى شعراء آخرين لا يقولون "الجنون"، ولكنهم اتفقوا أن يطلقوا على ذلك "حضور الوحى"، وإنها

تسمية اصطنعوها بهدف أن يتجملوا أمام الناس، ولكن في الحقيقة إنها "جنون".

يؤيد "أفلاطون" كلامهم، فقد أطلق على هذا النوع من تدفق الدم إلى المخ "جنونًا مقدسًا"، ولكن رغم ذلك فالناس يرون أن الجنون هو جنون حتى إن وُصِفَ بأنه مقدس، ولذلك لم يقتنع أحد بتلك التسمية، وأنا أعتقد أن كلمة "حضور الوحي" مثل أسماء الأدوية الجديدة التي يختارونها على أساس أنها تعجب الزبائن وإن كانت ليست لها علاقة بالمحتوى، ولكن عمومًا مناسبة، فإن تلك التسمية مفيدة للعامة وللشعراء وبقية أهل الفنون.

وكما أن ما نطلق عليه طعام "كباب الأسماك" ما هو في الواقع إلا "بطاطس جبلية"، وكما أن تمثال بوذا العظيم في الواقع أنه تمثال من خشب عَفِنَ لا يزيد سُمُّهُ عن ٦ سنتيمترات، وكما أن ما نطلق عليه "شعيرية بلحم البط" ما هو إلا "شعيرية بلحم غربان"، وكما أن ما يُقدَّم في الفنادق اليابانية ويُطلق عليه "دجاج حلة" ما هو إلا "لحم خيول حلة"، فإن ما يُطلق عليه "حضور الوحي" ما هو إلا "تدفق الدم بكثرة إلى المخ"، ولو اعتبرنا "تدفق الدم بكثرة إلى المخ" ما هو إلا "جنون مؤقت"، فإن عدم إدخال الشعراء مستشفى أمراض المجانين يرجع إلى أن جنونهم "جنون مؤقت"، جنون يحدث لوقت قصير ثم يزول.

ومع ذلك فإن جَعَلَ شخص يُصاب بالجنون المؤقت شيء صعب جدًا، بل أصعب من جَعَلَ شخص يُصاب بجنون دائم،

فإن تحويل شخص يمسك بالقلم ويضع أوراقًا أمامه ليؤلف إلى دخول حالة "جنون مؤقت" شيء مستحيل لا يستطيع فعله أى شخص مهما كان، وإذا لم يمنح الخالق للمؤلف حالة الجنون المؤقت، فيجب أن يحاول دخول هذه الحالة معتمدًا على نفسه، ولذلك يواجه العلماء منذ القدم وحتى الآن عدم قدرتهم التوصل إلى عملية تؤدي إلى دفع الدم بغزارة إلى المخ، أو سحب الدم المتجمع بغزارة في المخ وإعادة توزيعه على بقية أعضاء الجسم.

وقد قام أحد الأشخاص بتناول اثنتى عشرة ثمرة فاكهة "كاكا" غير ناضجة يوميًا كي يستحضر "وحى الإبداع"، وقد خطرت له هذه الفكرة من أن تناول "الكاكا" يؤدي إلى الإمساك، وإذا أُصيب الإنسان بإمساك سوف يندفع الدم بكثرة إلى المخ.

وشخص آخر أمسك بقارورة خمر وقفز في حمام استحمام مصنوع من الحديد ممتلئ بماء ساخن، وكان يعتقد أنه إذا احتسى الخمر داخل ماء ساخن سيندفع الدم بغزارة إلى المخ، وقد قال إنه إذا لم ينجح في ذلك، فإنه سوف يملأ حوض الاستحمام ببييد وسيقوم بتسخينه ويستحم فيه وأكد أنه سيؤدي إلى نتيجة باهرة من مرة واحدة، ولكن للأسف فقد مات قبل أن يقوم بتجربة الاستحمام، لأنه لم يكن يمتلك المال الكافي لعمل تلك التجربة.

وأخيرًا هناك شخص فكر في أن تقليد السابقين يؤدي إلى دخول حالة الوحي، ولقد فكر هذا الشخص في هذه الطريقة من نظرية "تقليد تصرفات وأفعال شخص يؤدي إلى تقمص

روحه وبالتالي التصرف مثله"، مثلاً عندما تُقلد سكيراً في تفوهه بكلام كثير تافه، تدريجيّاً تتقمص روحه فتتحدث مثله، وإذا قلدت راهباً يجلس جلسة "يوجا" منذ بداية إشعال عمود بخور حتى انتهائه، فسوف تشعر تلقائياً بأن نفسيتك تغيرت وصارت مثله، ولذلك إذا قلّدت مشاهير الماضي الذين قاموا بأعمال عظيمة، بالتأكيد سيندفع الدم إلى مُخِّك بشدة، ولقد سمعت أن الأديب الفرنسي فيكتور هوجو كان يمارس هواية الكتابة وهو مستلقٍ على يخته في البحر، فإذا ركبت سفينة ونظرت إلى السماء الزرقاء، أكيد سيتدفق الدم بغزارة إلى مخك، ولقد كان الأديب السويسري "روبرت لويس ستيفنسون" يكتب الروايات وهو مستلقٍ على بطنه، فإذا استلقيت على بطنك وأمسكت بالقلم سيندفع الدم بقوة إلى مُخِّك.

وهكذا قام كثير من الأشخاص بمحاولات كثيرة لضخ الدم بغزارة إلى المخ، ولكنهم فشلوا جميعاً في إيجاد طريقة لفعل ذلك، أولاً لم يصل أحد إلى وقتنا الحال في ضخ الدم بغزارة إلى المخ بطريقة اصطناعية، للأسف لا نستطيع فعل ذلك، ومما لا شك فيه أن ضخ دم بغزارة بطريقة اصطناعية سيحدث في القريب العاجل، وإننى أتمنى كقط أن يأتي هذا اليوم بسرعة، لأن ذلك سيكون لصالح البشرية.

وأعتقد أننى استفضت في موضوع ضخ الدم بغزارة إلى المخ، ولذلك سأترك ذلك الموضوع وأعود إلى الكلام عن الحادثة الكبرى التى نتجت عن ضخ الدم بغزارة إلى مخ سيدى الأستاذ "عطسة"، ودايماً قبل قيام حادثة كبرى تقوم عدة حوادث

صغرى، ولقد تعود المؤرخون ترك الحوادث الصغرى، ولكن ذلك يؤدي إلى فشلهم في أعمالهم، وبالنسبة إلى الأستاذ "عطسة" فقد واجه حوادث صغيرة وكثيرة أدت إلى ازدياد غضبه مرة بعد أخرى، وتلقائيًا أدت إلى وقوع الحادثة الكبرى، وإذا لم أسرد تلك الحوادث الصغيرة بالترتيب فلن تستطيعوا فهم أسباب ارتفاع دمه إلى المخ بغزارة، وإذا لم تفهموا جيدًا سوف تقولون إن ضخ دم غزير إلى رأسه كلام مبالغ فيه وإن ما حدث له شيء لا يُذكر، وتظنون إليه باحتقار، ولكن بما أنه حدث له شيء جميل وهو ضخ دم غزير ارتفع إلى مخه، فيجب أن تتوجهوا إليه بالتهنئة على ذلك، ولكن الحادثة التي سأسردها الآن، بصرف النظر إذا كانت كبرى أم صغرى، فإنها بالنسبة إلى الأستاذ "عطسة" شيء لا يدعو إلى الفخر، الحادثة في حد ذاتها حادثة مشينة ولكن ما أريد توضيحه هو أن ضخ دم غزير إلى مخ سيدى الأستاذ "عطسة" حقيقى، وعليه لا مجال لأحد أن يقلل من قدر سيدى الأستاذ "عطسة"، صحيح أن سيدى الأستاذ "عطسة" لا يملك قدرة معينة يتفوق بها على الآخرين حتى في حالة ضخ دم بغزارة إلى مخه، ولكن إذا لم أتوجه إليه بالتهنئة على ضخ دم بغزارة إلى مخه، فيصعب على أن أجد فيه شيئًا جيدًا آخر أتوجه بالتهنئة إليه عليه ويصل إلى مستوى أن أكتب عنه، ومهما "عصرت مخى" لن أجد.

منذ عدة أيام تجمع جيش من أعداء سيدى الأستاذ "عطسة" أمام "قصر السحب الساقطة"، وأخذوا يضربون شيئًا مثل القنابل اليدوية، وكان ذلك في وقت الراحة بين الحصص،

وبعد انتهاء المدرسة أخذوا يفعلون ذلك بكثرة وهم يتجهون نحو المنطقة الفضاء الموجودة في الناحية الشمالية للمنزل، فسقط ما ضربوه على تلك المنطقة وملأها، والأشياء التي مثل القنابل اليدوية هي ما أطلق الناس بعد ذلك عليها "كرات"، وكانوا يسكون بعضى مثل "يد الهون" ولكنها كبيرة ويضربون بها الكرات نحو هدف معين ليصيبوه.

ورغم أن تلك الكرات كانت تُضرب من ملعب المدرسة، فإن سيدي الأستاذ "عطسة" كان مرابطاً في مكتبته، وبالطبع لم تكن تسقط عليه، ولذلك لم يأبه بما يحدث في المدرسة، وبالطبع الأعداء يعلمون جيداً أن الكرات لن تصيبه إصابة مباشرة، ولكن تلك كانت خطتهم، كما أن البحرية اليابانية في عام ١٩٠٤ هاجمت الجيش الروسى في بورت آرثر بالصين وأصابته إصابة مباشرة أدت إلى نتائج ناجحة جداً، فإنه طبيعى أن سقوط الكرات في حيز منزل سيدي الأستاذ "عطسة" سوف يؤدي إلى نتائج ناجحة جداً، ومع كل ضربة مضرب يرتفع صياح تشجيع عالٍ من الجميع في الوقت نفسه، كأنه استعراض قوة أو تهديد، فشر سيدي الأستاذ "عطسة" بالخوف، وذلك الخوف أدى إلى انكماش الأوعية التي تحمل الدم إلى أطرافه، ثم شعر بالضييق الشديد ما جعل الدم يندفع بغزارة إلى مخه، ولذلك نستطيع القول إن خطة العدو نجحت بامتياز.

وقديماً في اليونان كان هناك كاتب مسرحيات تراجيىدى اسمه إسخيلوس، وكان رأسه مثل رءوس العلماء وكبار الكتاب، وأقصد بأن رأسه مثل رأس العلماء وكبار الكتاب أى أصلع،

وربما يسأل البعض لماذا يُصاب العلماء وكبار الكتاب بالصلع، فأقول أكيد أن ذلك بسبب نقص الغذاء، ونقص الغذاء يؤدي إلى نقص النشاط الذي يؤدي إلى عدم نمو الشعر، لأنهم أكثر من يستخدمون رءوسهم، وبما أن غالب العلماء وكبار الكتاب فقراء، فطبيعي أن يصابوا بمرض نقص الغذاء، ولذلك طبعي أن يكون أغلبهم صُلعاء.

وبما أن "إسخيلوس" كان كاتبًا كبيرًا مثل بقية الكتاب والمفكرين الكبار، فقد كان طبيعيًا أن يكون أصلع، وكانت صلعته تلمع بشدة مثل البرتقال الياباني، وبما أنه ليس هناك رأس يضعه الإنسان فوق رقبتة عندما يخرج من المنزل، وآخر يضعه فوق رقبتة في الأيام العادية التي لا يخرج فيها من المنزل، فأنا أقصد رأسه الأصلع، فقد حدث في أحد الأيام أن خرج نهارًا يسير ذهابًا وإيابًا، وكانت أشعة الشمس تسقط على رأسه، وأخذ يهز رأسه يمينًا ويسارًا وهو يسير، وكان تصرفه هذا بداية الخطأ، بمعنى أن صلعته تعرضت لأشعة الشمس، وهذا جعلها تُرى من بعيد شيئًا لامعًا جدًا، وكما أن الأشجار العالية تُهاجم من قبل الرياح، فكان طبيعيًا أن يحدث شيء ما لصلعته اللامعة، وفي تلك اللحظة كان هناك نسر يحلق فوق رأس "إسخيلوس" وكان ممسكًا بسلحفاة حية بين مخالبه.

ومما لا شك فيه أن لحم السلاحف لذيذ، والسلاحف محمية بغطاء صلب منذ العصر الإغريقي، ولكن الإغريق لم يفكروا في كيفية التخلص من ذلك الغطاء الصلب، ولذلك تركوها هكذا وبالتالي لم يكتشفوا لذادة تناول لحمها، والآن يوجد نوع من

الأطعمة يسمى "جمبرى مشوى"، ولكن ما زلنا لا نجد طعامًا اسمه "سلاحف مشوية"، وبالطبع وقت الإغريق لم تكن هناك "سلاحف مشوية"، وبالنسبة إلى النسر، فقد شعر بالتعب من الإمساك بالسحفاة، وفي الوقت نفسه شاهد تحته شيئًا يتلأأ لمعانًا، فشرع بأنه وجد الحل لمشكلة التعب من الإمساك بالسحفاة، فاعتقد أنه إذا ترك السحفاة تسقط على ذلك المكان الذى يتلأأ لمعانًا، سوف يتحطم الغطاء الذى يحمى السحفاة، ثم ينزل بعد ذلك كي يأخذ لحم السحفاة ويأكله، فترك السحفاة تسقط فوق رأس ذلك الكاتب، دون أن يودعها حتى بكلمة واحدة، ولكن للأسف صلعة الكاتب كانت لينة مقارنةً بغطاء السحفاة، فحطمت صلعة الكاتب وكانت هذه هى النهاية الحزينة للكاتب المشهور "إسخيلوس".

وما لم أستطع فهمه جيدًا فى هذه الواقعة هو وجهة نظر النسر، فهل كان يعلم أن الرأس الذى سوف يُسقط فوقه السحفاة رأس الكاتب! أو اعتقد أن ما رآه كان صخرة صلعاء، أى لا يوجد فوقها عُشْب أخضر، فأسقط فوقها السحفاة خطأ! وفى حين كنت أحاول حل ذلك اللغز، فكرت فى إمكانية مقارنة أعداء سيدي الأستاذ "عطسة" بذلك النسر من عدمه، فوجدت أن رأس سيدي الأستاذ "عطسة" ليس أصلع ولا يتلأأ لمعانًا مثل هؤلاء العلماء والكتاب خالدى الذكر. كان سيدي الأستاذ "عطسة" يقبع فى حجرة صغيرة أطلق عليها اسم "مكتبة"، ولكن بما أنه دائماً ينام واضعًا وجهه فوق كتب صعبة، فلا مفر إلا أن نعتبره فى مصاف الباحثين، أما بالنسبة إلى كون رأسه

ليس أصلع، فذلك يرجع إلى أن مستواه العلمى لم يصل بعد
كى يصلع رأسه، ولكن ربما يصلع رأسه قريبًا إذا كان قَدْرَه أن
يسقط على رأسه شيء ما، أى أن الوقت مناسب الآن كى تسقط
على رأسه كرات أعدائه، فقد جعلوا هدفهم هو إصابة رأسه،
فإذا استمروا فى ضرب الكرات تجاهه لمدة أسبوعين، فأكيد من
الخوف والقلق سوف يُصاب بسوء تغذية، وسوف يصلع رأسه
ويصبح لامعًا مثل البرتقال اليابانى أو غلاية الماء أو الإناء النحاسى،
وإذا استمر ضربهم الكرات مدة أسبوعين آخرين، فأكيد سوف
تصير صلعته مثل البرتقال "المهروس"، أو غلاية الماء "المخرومة"،
أو الإناء النحاسى "المشروخ"، وإن كنا لا نتفاءل بحدوث نتيجة
جيدة بضرهم الكرات تجاهه حتى لو اصلع رأسه، ولذلك على
الأقل نستطيع أن نقول إن الذى سوف يعانى من تلك الكرات
هو سيدى الأستاذ "عطسة" فقط.

فى أحد الأيام كنت أنام وقت الظهيرة كما اعتدت أن أفعل، وإذا
بى أشاهد حلمًا أننى صرت نمرًا، فقد كنت أقول للأستاذ "عطسة":
"أحضِر لى دجاجًا".

فكان يجيب:

"سمعًا وطاعة".

ثم يهرول خائفًا فيحضر لى الدجاج، وحينئذٍ جاء البروفيسور
الفشار، فقلت له:

"أريد أن آكل إوزًا، اذهب اطلب لى من المطعم أن يطهو لى
إوزًا حَلَة".

فرد كالعادة بكلام كذب قائلاً:

"إن فطيرة مخبوزة بالملح مع مخللات اللفت تعطى طعام الإوز".
فتحت فمى عن آخره وصحت غضبًا، فارتعد وشحب وجهه وقال لى:

"وجبة الإوز حلة انتهت من مطعم السيد ياماشطا، فما رأيك أن تطلب شيئًا آخر؟"
فقلت:

"سوف أتحمل وأكل بدلاً من ذلك لحمًا بقرِيًّا، فاذهب بسرعة إلى سوق نيشى كاوا وابتع لحم فخذة بقرِيًّا وارجع بسرعة، وإن لم تنفذ أمرى بسرعة سوف أكلك".

فأخذ البروفيسور "الفشار" ذيله فى أسنانه وجرى مسرعًا كي يحضر اللحم البقرى، وبما أن جسمى زاد زيادة كبيرة فجأة، فقررت أن أستلقى فى الشرفة إلى أن يعود البروفيسور، ولكنى سمعت فجأة أصواتًا عالية داخل المنزل، فأفقت من حلمى وعاد إلى وعيى، وللأسف لم أستطع أكل اللحم.

وإذا بسيدى الأستاذ "عطسة" الذى كان يسجد لى من شدة الرعب، يخرج من المرحاض مندفعًا بسرعة ويركلنى بشدة فى جانب بطنى، فاندعشت مما فعل، ولكنه فى الحال علق قبقاب الحديقة فى قدميه وخرج من الباب الخشبى والتف إلى خلف المنزل، ثم طار جريًا فى اتجاه المدرسة، وحينئذ انكشيت أنا من نمر إلى قط فشعرت بالضيق وأن شيئًا غريبًا حدث لى، نسيت فورًا أننى نمر عندما ثار سيدى الأستاذ "عطسة"

وضربنى فى جانب بطنى، وفى الوقت نفسه تحاملت وخرجت من الباب الخلفى للمنزل رغم شعورى بألم الضربة، لأننى كنت متشوقاً لمشاهدة سيدى الأستاذ "عطسة" وهو يتشاجر مع أعدائه، أكيد سيكون مشهداً مشوقاً، ثم سمعت سيدى الأستاذ "عطسة" وهو يصيح غضباً ويقول:

"لص".

وحينئذٍ شاهدت تلميذاً قوى البنيان فى عمر الثامنة عشرة يرتدى كاب المدرسة، وكان يقفز من فوق السور نحو المدرسة، فشعرت بأن سيدى الأستاذ "عطسة" لن يلحقه، وفعلاً فإن التلميذ قفز بسرعة ناحية المدرسة، واستطاع الهروب والدخول فى حصنه الذى يحميه، ورغم أن التلميذ استطاع الهروب فإن سيدى الأستاذ "عطسة" ما زال يطارده ويصيح بصوت عالٍ:

"لص".

ولكن كى يلحق سيدى الأستاذ "عطسة" به يجب أن يقفز هو أيضاً من فوق السور، وإذا فعل ذلك سيكون هو أيضاً متهمًا باقتحام ممتلكات الغير، وكما ذكرت سابقاً فإن سيدى الأستاذ "عطسة" من النوع الذى يتدفق دمه إلى رأسه بشدة، وكان واضحاً عليه أنه ينوى مطاردة ذلك التلميذ حتى لو صار هو مقتحمًا لممتلكات الغير، فتقدم فى ملاحقة التلميذ إلى أن وصل إلى السور، وكان واضحاً عليه أنه لا يريد أن يتراجع عن المطاردة.

والآن هو يقف على الحد الفاصل بين منزله والمدرسة، وإذا تخطاه سوف يصير مقتحمًا لممتلكات الغير. وحينئذٍ ظهر قائد من قواد العدو كانت له لحية خفيفة، واقترب من السور الفاصل بين المدرسة ومنزل سيدي الأستاذ "عطسة" ودار بينهما نقاش عبر السور وكل منهما داخل حدوده، ولكنه كان نقاشًا عقيمًا كما هو واضح في ما يلي:

أستاذ المدرسة:

"ذلك التلميذ ينتمي إلى مدرستنا".

سيدي الأستاذ عطسة:

"وما الذي يجعل تلميذ مدرستكم يقتحم حديقة منزل شخص آخر؟"

أستاذ المدرسة:

"الكرة دخلت في حديقة منزلك دون قصد".

سيدي الأستاذ عطسة:

"لماذا لا يستأذن في أن يدخل الحديقة قبل الدخول؟"

أستاذ المدرسة:

"سوف أنبهه إلى استئذائك قبل الدخول".

سيدي الأستاذ عطسة:

"إن استأذن لن تكون هناك مشكلة".

توقعت معركة شرسة بين تنين محلق وممر متوحش، ولكنى فوجئت كالعادة بنقاش لطيف انتهى بسرعة وبسلاسة دون أدنى صراع.

فسيدي الأستاذ "عطسة" عندما يغضب بشدة يبدو عليه أنه ينوى القيام بعمل بطولى، ولكن عندما يحين وقت التنفيذ لا يفعل شيئاً. إنه مثلى، كنت أحلم أنني ممر ولكن فجأة عدت إلى كوني قطعاً عندما استيقظت من حلمي، وهذه كانت الحادثة الصغيرة التي ذكرت لكم سابقاً أنني سوف أقصها عليكم، وبعد أن قصتها عليكم سوف أعود إلى مساري الأساسي وأحكي لكم الحادثة الكبرى.

دخل سيدي الأستاذ "عطسة" حجرة المعيشة واستلقى على بطنه، وبدا عليه أنه يفكر في شيء ما، أكيد أنه يفكر في خطة دفاعية لصد العدو في حالة هجومهم على ممتلكاته، وكانت مدرسة "قصر السحب الساقطة" في وقت الححص، وبالتالي كان ملعب المدرسة هادئاً على غير العادة، وكان هناك أستاذ ما يتحدث في أحد الفصول عن السلوكيات ووجوب احترام الآخرين، وكان صوته يصل إلينا بوضوح، وكان يتحدث حديثاً جميلاً وبصوت قوى، وعندما أنصت إليه جيداً، اتضح لي أنه صوت القائد الذي كان يقف أمس على الحدود الفاصلة بين المنزل والمدرسة ويتحدث مع سيدي الأستاذ "عطسة".

وكان يقول:

"احترام الآخرين أمر مهم جداً، وإذا ذهبتم إلى الدول الأوروبية مثل فرنسا وألمانيا وإنجلترا، ستجدونهم جميعاً

يحترمون الآخرين، وحتى الشخص العادي جداً يحترم الآخرين، وأنا أشعر بالحزن أن اليابان لم تصل إلى مستوى الدول الأوروبية بالنسبة إلى ذلك.

وربما يعتقد البعض أن فكرة احترام الآخرين فكرة جديدة استوردناها من الدول الأوروبية، ولكن هذا خطأ، ففي تراثنا نجد من قال لنا أن نفكر في الآخرين، والتفكير في الآخرين هو نقطة الانطلاق كي نعامل الآخرين باحترام وتقدير.

وبما أنني إنسان مثل كل إنسان، فأحياناً أريد أن أغنى بصوت مرتفع دون مراعاة للآخرين، ولكنى أضع نفسي في موقف من يذاكر دروسه في الحجرة المجاورة، وأقول لنفسي لو كنت مكانه لما استطعت التركيز في قراءة الكتب والتحصيل الجيد، فأقول لنفسي بدلاً من فعل ذلك سوف أقرأ مختارات من الشعر الصيني بصوت عالٍ وبذلك أشعر بسعادة، ولكنى أقول لنفسي لو كنت في المنزل المجاور وسمعت ذلك ولمدة طويلة، سأشعر بالضيق، ولذلك أترجع عن الغناء أو قراءة الشعر بصوت عالٍ، وما أريد الوصول إليه من كلامي هذا هو أنه يجب عليكم المحافظة على الآداب العامة واحترام الآخرين، لا يجب عليكم أن تحتقروا الآخرين، يجب ألا تفعلوا ما يسبب ضرراً للآخرين".

وكان سيدي الأستاذ "عطسة" ينصت بإمعان وفي هدوء إلى تلك المحاضرة الأخلاقية، ثم ابتسم ابتسامة خفيفة، ولكن مهم أن أوضح دلالة تلك الابتسامة، ربما يعتقد البعض أن تلك الابتسامة تدل على نقد بطريقة باردة، ولكن سيدي الأستاذ

"عطسة" ليس إنساناً سيئاً إلى هذه الدرجة مطلقاً، بل هو أكثر من ذلك، هو إنسان لم يصل عقله إلى التفكير في ذلك، فالسبب الذى جعله يضحك هو أنه فقط شعر بالسعادة لما سمعه، لأن أستاذهم نهرهم بشدة عن فعل ما يضر الآخرين، ولذلك أكيد لن يفكروا أبداً في إطلاق الكرات على منزله مرة أخرى، أى سوف ينجو من تساقط تلك الكرات عليه، وبالتالي لن يصلح لمدة طويلة، فلقد ابتسم لأنه اعتقد أنه لن تكون هناك أهمية لرفع دمه إلى مخه، فمشكلته من جيرانه ستُحل، لن يضطر إلى وضع منشفة مبتلة بماء بارد على رأسه أو وضع قدميه أمام الموقد للتدفئة، أو الجلوس فوق صخرة، ولقد كان طبيعياً لشخص يعيش في القرن العشرين أن يفكر بتلقائية، مثلاً من يقترض مالاً من آخر سيعيده إليه، ولذلك سمع سيدى الأستاذ "عطسة" محاضرة الأخلاق بفطرته كإنسان وصدق أن ما قيل فيها سيتحول إلى أفعال.

وتوقف كلام أستاذ مدرسة "قصر السحب الساقطة" عن الأخلاق مع انتهاء وقت الحصة، وتوقف جميع أنشطة الفصول الأخرى في الوقت نفسه، وفجأة صرخ جميع الثامنة تلميذ الذين كانت تكتظ بهم الفصول صرخة واحدة قوية، كأنها صرخة دخول حرب، ثم قفزوا من مباني المدرسة، وكانت صرختهم كأزيز عش نحل مساحته ٣٠ سنتيمتراً عندما تضربه فيخرج منه كل ما فيه من نحل مرة واحدة بأزيز رهيب، فلقد قفزوا وهم يصيحون، وصياحهم مثل أزيز الحشرات أو نباح الكلاب، قفزوا من النوافذ والأبواب ومن جميع الفتحات

الموجودة في أي مكان، وكل منهم يفكر في الخروج قبل الآخرين، وكانت هذه لحظة بداية الحادثة الكبرى.

نبدأ بصفوف تمركز قوات النحل. وقد يقول قائل إن معركة مثل هذه طبيعي ألا يكون فيها تمركز قوات ولا يحزنون، فأقول له أنت مخطئ، عندما يفكر الياباني العادي في الحرب لا تخطر على باله إلا المعارك التي حدثت مع روسيا في الأراضي الصينية، مثل معركة "شاهو" ومعركة "موكدن" ومعركة "بور آرثر"، ويتصور أنه لا توجد معارك أخرى، وطبعًا هواة الشعر سيتخيلون أشياء مبالغًا فيها، مثل قيام أخيل بقتل هيكتور وسحب جثته والدوران بها حول قصر طروادة ثلاث دورات، أو مثل قيام البطل الصيني "زن فيه" على معبر "تشن بن" مع سيفه البالغ طوله ستة أمتار وعلى شكل ثعبان، بهزيمة جيش الملك "تساو تساو" البالغ مليون جندي. وجموح الخيال مسئولية صاحبه، له الحق أن يتخيل ما يشاء، ولكن يجب ألا يتخيل أن كل الحروب هكذا، يجب أن يعلم أنه توجد حروب من نوع آخر، ربما كانت هناك حروب غبية في أزمنة الظلام التي كانت منذ وقت سحيق، ولكن في أيام السلام التي نحيهاها الآن، وفي وسط عاصمة الإمبراطورية اليابانية العظمى، نادرًا جدًا ما تحدث أحداث بربرية، مثل حدوث شغب وحرق أكشاك الشرطة الموجودة في الشوارع، فإننا يجب أن نعد الحرب بين سيد "كهف الموهبة المدفونة" وتلاميذ مدرسة "قصر السحب الساقطة" إحدى الحروب الكبرى في مدينة طوكيو منذ إنشائها. ولقد بدأ المؤرخ الصيني "تسو شيه" عند وصف معركة "ين

لن" بوصف تمركز قوات العدو، ولقد كان وصفه رائعًا ما جعل مؤرخى الحروب الذين أتوا من بعده يتوارثون طريقته فى وصف الحروب، وهكذا صار وصف تمركز قوات العدو أولاً شيئاً سائداً بين مؤرخى الحروب، ولذلك لا أجد ما يمنعنى من وصف تمركز قوات النحل باستفاضة.

أولاً: عندما ننظر إلى تمركز النحل سوف نجد أنهم كونوا فرقة تقف فى صف أفقى خارج سور الخيزران، ويبدو أنهم يقصدون من ذلك جذب سيدى الأستاذ "عطسة" إلى عبور خط المعركة الفاصل بينهم. ودارت بينهم المحادثة التالية:

"هل تعتقد أنه سوف يستسلم؟"

"لا لن يفعل".

"إنه لم يخرج من منزله".

"أكيد لن يستسلم أبداً".

"ألم تسقط عليه الكرات؟"

"أكيد سقطت عليه".

"انبحوا".

"هاو هاو".

"هاو هاو".

"هاو هاو هاو هاو".

ثم وقفوا صفًا واحدًا كتشكيل حرب وبدأوا في إطلاق صيحات الهجوم على الخصم، وعلى اليمين قليلاً من صف تشكيل الحرب اتخذت فرقة المدفعية موقعها واستعدت للضرب، فأمسك أحد القواد مضرّبًا كبيرًا في يده في وضع استعداد للضرب، ثم وقف قائد آخر تاركًا مسافة نحو عشرة أمتار بينه وبين القائد السابق وظهره ناحية "كهف الموهبة المدفونة"، ثم وقف قائد خلفه على الخط نفسه في حالة استعداد.

ولقد سمعت من شخص ما أن هذا تدريب على كرة القاعدة (كرة البيسبول)، وليس استعدادًا لمعركة حربية، وأنا جاهل لا أعرف أي شيء عن كرة القاعدة هذه، ولقد سمعت أنها لعبة أخذتها اليابان من أمريكا، وأنها سوف تنتشر جدًا كرياضة في المدارس الإعدادية وما يعلوها، وأمريكا دولة دائمًا ما تبتكر لنا أشياء عجيبة، ولذلك ربما جيد أن يعلم اليابانيون لعبة كرة القاعدة، وإن كنت أسأت فهمهم وتصورت أنهم فرقة مدفعية، وربما أيضًا أن أمريكا ترى أن هذه اللعبة نوع من أنواع الرياضات، ولكن حتى إن كانت رياضة فقط لا غير، بما أنها ذات طبيعة تهدد الجيران بسقوط كرات داخل حيز ممتلكاتهم، فيمكن اعتبارها طريقة تعدد على الجيران.

وعندما أنظر إلى ما يحدث أمام عيني في ملعب المدرسة لن أرى غير أن تلك خطة مأكرة لاستخدام الرياضة في هجوم على سيدى الأستاذ "عطسة"، وطبعًا ممكن تفسيرها من جانبه أنها هجوم عليه، أو من جانبهم أنها رياضة، لعبة كرة القاعدة

هذه ظاهرها الخير ولكن باطنها الشر، وسوف يؤدي ذلك إلى سرور من يحبون أن يرتفع الدم بكثرة إلى رؤوسهم، ويطلقون عليه "نزول وحى الإبداع"، ولكن ربما تؤدي إلى حدوث حرب بين الجيران، وربما يقول شخص إن كرة القاعدة مجرد لعبة لا أكثر من ذلك، ولكن ما أصفه هنا طريقة استثنائية للعب كرة القاعدة، إنها طريقة مثل طريقة حرب تهدف إلى دك حصن العدو.

ومن الآن سوف أصف لكم طريقة ضربة الكرة، يمسك أحد الرماة الذين يقفون على خط مستقيم الكرة بيده اليمنى ويرميها تجاه ماسك المدرب، ولا أحد يعرف كيف تمت صناعة تلك الكرة ما عدا من لهم علاقة بذلك، ولكنها دائرية وصلبة مثل الحجر، وتمت تغطيتها بجلد وحيافته بدقة، وكما ذكرت سابقاً فإن تلك الكرة تخرج من يد الرامي فتطير ناحية الضارب الذي يقف في الناحية الأخرى ويمسك في يده بمضرب، فيحرك المضرب ويضرب الكرة في الاتجاه المعاكس، وأحياناً لا يستطيع ضربها، فتتمر بجانبه، ولكن غالباً يضربها، وعندما يصطدم المضرب بالكرة يحدث صوت عال، إنه صوت مدوّ يدل على صدام رهيب، واحتمال كبير جداً إذا حدث أن اصطدمت تلك الكرة برأس سيدي الأستاذ "عطسه" المريض بحساسية في المعدة أن تحطم رأسه، ورغم أن الرامي يرمى بقوة كبيرة جداً، فإنه يوجد بالقرب منه كثير ممن ليسوا مشتركين في اللعب وفي الوقت نفسه هم مشجعون، يصيحون بصيحات

تشجيع ويصفقون ويصرخون ويضربون على أيديهم، سواء
أضرب المضرب الكرة أم لا، ويصيحون:

"اضرب، اضرب".

"لقد ضرب الكرة".

"نتمنى أن تكون ضربة مؤثرة".

"نتمنى أن يرتعد".

"نتمنى أن يستسلم".

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط، بل تخطاه إلى أن من
بين كل ثلاث كرات كرة تسقط داخل حدود "كهف الموهبة
المدفونة"، وإذا لم تدخل كرات في حيز "كهف الموهبة المدفونة"،
فلا يتحقق الهدف من هذا الهجوم، وحاليًا تُصنع كرات كرة
القاعدة في أماكن كثيرة، ولكن تصنيعها مكلف جدًا، وحتى في
حالة استخدامها في حرب فإنه لا يمكن الحصول على إمدادات
كافية منها، فكل رامٍ يمسك في يده بوحدة أو اثنتين، ولا يمكن
ترك كل كرة بعد ضربها بالمضرب لارتفاع سعرها، ولذلك حدد
المسؤولون عن اللعبة فريقيًا يسمى "جامعو الكرات"، ويقوم
أعضاء هذا الفريق بجمع الكرات التي يضربها المضرب كي
تُستخدم مرة أخرى، فإذا سقطت في مكان سهل استرجاع
الكرات منه لن يلاقوا مشقة في استرجاعها، ولكن إذا سقطت
في منطقة أشجار أو أعشاب أو داخل حدود منزل شخص فلا
يستطيعون استرجاعها بسهولة. وبما أنهم يطلقون الكرات داخل
حدود منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، فيجب عليهم الدخول

لاسترجاعها، وأفضل طريقة لدخول حدود منزل سيدي الأستاذ "عطسة" هي القفز من فوق السور، وإذا قفزوا من فوق السور ودخلوا منزل سيدي الأستاذ "عطسة" وصاحوا، فسوف يسببون له إزعاجًا، فيتنبه لوجودهم داخل حدود منزله فيثور، وإذا لم يثر فهذا يعنى أنه رفع راية الاستسلام، ولكن واضح أن سلوكيات عدوه سوف تجعله يعانى، ما سيجعله يصلح تدريجيًا.

وطلقة الكرة التي خرجت من العدو لم تخطئ الهدف، فقد عبرت السور وأسقطت الأوراق التي على الفروع السفلى لشجرة الباولونيا، ثم اصطدمت بسور منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، فأحدثت صوتًا مدويًا.

وقانون نيوتن الأول ينص على أن:

"الجسم الساكن يظل ساكنًا، والجسم المتحرك الذى يكون بسرعة محددة أى ثابتة وفى خط مستقيم يستمر ويبقى بحركته بالسرعة والاتجاه نفسه، إن لم تؤثر قوة خارجية فيه تجبره على تغيير ذلك".

وطبقًا لهذا القانون فقط، بالتأكيد هناك قوة سوف تؤثر فى رأس سيدي الأستاذ "عطسة"، وتجعل نهايته مثل نهاية الكاتب اليونانى "إسخيلوس"، ولكن من حسن الحظ أن نيوتن لم يضع القانون الأول فقط، بل وضع القانون الثانى فى الوقت نفسه، ما جعل رأس سيدي الأستاذ "عطسة" ينجو من خطر تلك النهاية المأساوية.

وينص قانون نيوتن الثاني على:

"إذا أثرت مجموعة قوى في جسم ما، فإنها تمنحه تسارعًا يتناسب طرديًا مع محصلة تلك القوى المؤثرة، وباتجاهها نفسه، وعكسيًا مع كتلة الجسم".

وإذا سألتني أحد ما معنى هذا، سوف أقول له هذا كلام يصعب فهمه، ولكن بالتأكيد بفضل قانون نيوتن الثاني فإن اصطدمت الكرة بالسور ثم مرّت منه، ثم اصطدمت بالحائط الخشبي للحجرة فحطمته، جعلها هذا لا تحطم رأس سيدي الأستاذ "عطسة".

وبعد قليل وكما توقعت، عبر الأعداء إلى داخل حدود منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، ودارت بينهم حوارات مثل:
"هنا؟"

"لا، ابحثوا في الناحية التي على يساركم".

وهم يمسون بعصى ويضربون بها أوراق شجيرات البامبو هنا وهناك بشدة وبصوت عالٍ بحثًا عن الكرات، وكانوا يتحدثون بأصوات عالية، رغم أن الموقف لا يحتاج إلى ارتفاع الصوت، فلو دخلوا في هدوء وبحثوا عن الكرات ثم خرجوا لن يصلوا إلى مبتغاهم، طبعًا استرجاع الكرات شيء مهم، ولكن الأهم من ذلك هو إثارة سيدي الأستاذ "عطسة"، رغم أنهم كانوا يعلمون مسبقًا مكان سقوط الكرة، وسمعوا صوت ارتطامها بالسور، وعلموا مكان ارتطامها، يعنى يعلمون مكان وجودها على سطح الأرض، فإذا أرادوا أخذها في هدوء

يستطيعون ذلك بهدوء تام، وطبقًا للعالم الألماني "جوتفريد لايبنتس" الذي تحدث عن "التجانس" فقال:

"يجب وجود نظام تجانس بين الظواهر الموجودة في فضاء واحد".

وإن:

"أ، وب، وت، وث دائمًا تظهر بالترتيب نفسه".

وأيضًا:

"طبيعي أن يوجد في الماء الموجود تحت شجرة السرو سمك لوتش البركة".

وإن:

"الخفافيش تطير وقت ظهور قمر في العصارى".

وبناءً على هذا، فرمما الكرة ليس بينها وبين السور تجانس، ولكن الرماة الذين يطلقون الكرات كل يوم على منزل سيدي الأستاذ "عطسة" تعودوا رؤية منظر سقوط الكرات على منزله، فصار هناك تجانس بين أعينهم وسقوط الكرات على منزله، وكذلك فإن فريق جمع الكرات تجانس مع منظر سقوط الكرات على منزله، وعليه يستطيع من نظرة واحدة معرفة إذا كانت الكرة سقطت على منزله أم لا، وهذا يعنى بوضوح أن الهدف من إحداث ضوضاء وقت البحث عن الكرات هو خطة لإثارة سيدي الأستاذ "عطسة" كي يبدأ معركة معهم.

وبما أن الوضع تطور إلى هذا الحد، فإن سيدي الأستاذ "عطسة" السلبي الشخصية وجب عليه أن يصد الهجوم الذي حدث على منزله، ورغم أنه يجلس منذ قليل في حجرة المعيشة يتسم وهو يستمع إلى محاضرة أستاذ تلك المدرسة عن أهمية التحلى بالأخلاق، فإنه هب واقفًا، ثم قفز خارجًا إلى حديقة المنزل حيث قبض على أحد الأعداء.

وبالنسبة إلى الأستاذ "عطسة"، فإن القبض على أحد الأعداء انتصار كبير، أكيد أن ذلك بالنسبة إليه انتصار عظيم، ولكن في الحقيقة أن العدو الذي قبض عليه كان مجرد طفل في سن الرابعة عشرة، عدو ليس على مستوى سيدي الأستاذ "عطسة" الرجل الكبير ذى الشارب، ولكن رغم ذلك فقد بدا على سيدي الأستاذ "عطسة" أنه يرى ذلك الطفل صيدًا ثمينًا، ورغم أن الطفل اعتذر بأدب فإنه سحبه بعنف إلى المنطقة التي أمام الشرفة.

وأتوقف هنا قليلًا كي أشرح أمرًا مهمًا في خطة العدو، ذلك الأمر هو أن العدو لاحظ أمس أن سيدي الأستاذ "عطسة" يبدو غاضبًا، فتوقع أن يخرج اليوم كي يقبض عليهم، فإذا حدث ذلك وقبض على طالب من الصفوف العليا سوف يتسبب ذلك في مشكلة لهم، ولذلك قرروا إرسال تلميذ من الصفوف الأولى، مثلًا تلميذ في الصف الأول أو الثاني، فإذا قبض عليه، لن تكون مشكلة كبيرة، ومهما قال سيدي الأستاذ "عطسة" عن عدم التزام المدرسة بالمفروض والأخلاق والسلوكيات الحميدة، فلن يؤثر ذلك في سمعة المدرسة، بل سيكون قبض سيدي الأستاذ

"عطسة" الذي هو رجل كبير على طفل صغير عملاً مشيناً، وكان هذا هو الأمر المهم في خطة العدو، وطريقة تفكيره هي طريقة تفكير أى شخص طبيعى.

ولكن العدو نسى أن يضع في اعتباره شيئاً مهماً، ألا وهو أن سيدى الأستاذ "عطسة" إنسان غير طبيعى، فلو كان سيدى الأستاذ "عطسة" شخصاً طبيعياً يعرف المفروض من الناحية الاجتماعية، لما جرى خلفهم وحاول الإمساك بهم قبل ذلك. تدفق الدم بغزارة إلى المخ يحدث للشخص الطبيعى ويؤدى إلى أن يصير ضغط دمه أكثر من ضغط دم الشخص العادى، أى يؤدى إلى أن يصير الشخص الطبيعى غير طبيعى، وهذا يحدث للجميع سواء كان للمرأة أو الطفل أو سائق عربة اليد أو سائق الخيول دون تمييز، وهذا شىء لا يدعو إلى الزهو والتكبر، وإن شخصاً مثل سيدى الأستاذ "عطسة" عندما يقبض على طفل في الصف الأول الإعدادى كرهينة لا يجعل ذلك يدل على أنه وصل إلى مستوى الناس الطبيعيين عندما يرتفع الدم بغزارة إلى أمخاخهم.

والمسكين هو الأسير، فهو مجرد تلميذ في الصف الأول تلقى أمراً من طلاب الفرق الأعلى بأن يسترجع الكرات، وقد قبل القيام بهذا العمل الحقير مضطراً لأنه أمر، وفوق ذلك حظه سيئ لأن قائد أعدائه شخص غير طبيعى، بجانب أن دم ذلك القائد ارتفع إلى عنان السماء، وبمجرد أن عبر ذلك الطفل السور تم أسرهِ وسحبهُ إلى المنطقة الأمامية من الحديقة القريبة من المنزل، وبالطبع فإن جيش أعداء سيدى الأستاذ "عطسة" لن

يظل ساكنًا على هذا، ولن يرضى بهذا التصرف المشين في حق ذلك الأسير الذي ينتمى إليه، فقفز من فوق السور ثم دخل من الباب الخشبي إلى داخل الحديقة، وكان عدده نحو دسنة، ثم وقفوا بعضهم بجانب بعض أمام سيدي الأستاذ "عطسة"، وغالبهم لا يرتدى سترات أو صديريًا، وكل منهم يرتدى قميصًا أبيض ومشمع عن ساعديه، وكل منهم عقد ساعدًا فوق الآخر، وهناك من يضع منديلًا أبيض مصنوعًا من القطن على كتفيه، ثم لفت نظري أحدهم، لقد كان يرتدى قميصًا جميلًا أبيض اللون ومصنوعًا من قطن وحوافه سوداء، وعلى صدره كلمة تمت حياكتها بطريقة جميلة وبلون الحواف نفسه، ويبدو لي أن كلاً منهم مثل محارب بقوة ألف محارب، كل منهم مفتول العضلات ومحترق البشرة، كأنهم قرود تعيش في وسط جبال وعرة ووصلوا إلى هنا ليلة أمس، خسارة أن نضعهم في مدرسة إعدادية كي يتعلموا، لو جعلنا كلاً منهم صيادًا أو قبطان سفينة سيكون أفيد للوطن، وواضح أنهم على قلب رجل واحد، فجميعهم حفاة الأقدام ويرفعون سراويلهم لأعلى كأنهم في حال استعداد للذهاب للمساعدة في إطفاء نيران شبت في منزل الجيران، ولقد اصطفوا أمام سيدي الأستاذ "عطسة" في صمت شديد، دون حتى قول كلمة واحدة، وأما سيدي الأستاذ "عطسة" فقد كان هو أيضًا صامتًا، ومر وقت عصيب كل صامت ومتحفز للآخر.

فسألهم سيدي الأستاذ "عطسة":

"هل أنتم لصوص؟"

وكان يصرخ وهو يقول ذلك كأنه وضع (بومب) بين ضروسه وضغط عليه فانفجر وأخرج لهيبًا من أنفه، فبدأ على أنفه الصغير الغضب الشديد، وأنفه الصغير بما يبدو عليه من غضب شديد يشبه أنف الأسد الغاضب، وإذا لم يبدُ الغضب الشديد على أنف الأسد فلن نشعر بأنه مرعب جدًّا.

فقال أحد التلاميذ:

"لا لسنا لصوصًا، نحن طلاب مدرسة قصر السحب الساقطة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هذا كذب. لا يمكن لطلاب مدرسة قصر السحب الساقطة دخول حدود منزلي دون استئذاني".

التلميذ:

"ولكن كما ترى فعلى القبعات التي نرتديها شارة المدرسة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هذه قبعات مقلدة، إذا كنتم حقًا تلاميذ مدرسة قصر السحب الساقطة، لماذا تقتحمون منزلي؟"

التلميذ:

"لأن الكرة سقطت في منزلك".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ولماذا سقطت الكرة في منزلي؟"

التلميذ:

"سقطت بالصدفة. سقطت دون عمد".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هذا شيء سيئ".

التلميذ:

"سوف نأخذ حذرنا ألا نفعل ذلك من الآن فصاعدًا، وأرجوك أن تعفو عنا هذه المرة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هل تعتقد أنني سوف أعفو بسهولة عن أشخاص لا أعرف عنهم شيئًا عبروا سور منزلي ودخلوا دون استئذان؟"

التلميذ:

"ولكن نحن بالفعل تلاميذ مدرسة قصر السحب الساقطة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"إذا كنتم تلاميذ مدرسة قصر السحب الساقطة، فيلبي أي صف تنتمون؟"

التلميذ:

"الصف الثالث".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هل هذا كلام حقيقي؟"

التلميذ:

"نعم حقيقى".

فنظر سيدى الأستاذ "عطسة" إلى الخلف وصاح:

"أيتها الخادمة".

فجاءت الخادمة المولودة فى محافظة "سايطما" وفتحت الباب ودخلت وقالت:

"نعم يا سيدى".

فقال لها:

"اذهبي إلى مدرسة قصر السحب الساقطة وأحضرى أحدًا من هناك".

الخادمة:

"أحضر من؟"

سيدى الأستاذ "عطسة":

"أحضرى أى شخص".

فقالت "نعم"، ثم شعرت بأن هناك شيئًا غريبًا يحدث بينه وبين الآخرين، وأنها لا تفهم جيدًا مَنْ الشخص الذى يريده سيدها بدقة، وأن الحادثة تطورت على نحو مبالغ فيه، فتبسمت من الحيرة، فهى لا تعرف هل تقف كى تستفسر أكثر عما يريده سيدها بدقة أم تذهب لتنفيذ ما أمر به، ولكن سيدها كان وسط حرب كبيرة، وكان يحرك يده كثيرًا بعصبية،

وطبيعى أن يتوقع أن تكون خادمته تسانده في حربه، فتأخذ أوامره على محمل الجد، ولكنها على النقيض من ذلك، فقد ضحكت، ضحكت على ما طلبه منها، ما جعل دمه يغلى أكثر وأكثر.

وقال لها:

"ألا تفهمين ما أقول! أقول أحضري مدير المدرسة أو الوكيل أو الناظر".

الخادمة:

"المدير أو من؟"

وقالت ذلك لأنها لم تفهم إلا كلمة مدير المدرسة، إنها لم تفهم كلمة الوكيل ولا كلمة الناظر.

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أقول أحضري مدير المدرسة أو الوكيل أو الناظر، ألم تفهمى!"

الخادمة:

"وإذا لم أجد أحدهم، هل أحضر الساعى؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ما هذا الغباء! الساعى لن يفهم ما سأقول".

وإلى هذا الحد فهمت الخادمة أنها لن تستطيع السؤال أكثر، فاضطرت إلى أن تقول:

"نعم سوف أفعل".

ثم خرجت. بدا عليها أنها لم تفهم جيداً ما قال، فشعرت بالقلق من أن تحضر الساعى، وفجأة وعلى غير توقع دخل من البوابة الرئيسة الأستاذ الذى كان يتحدث إلى التلاميذ عن الأخلاق والسلوكيات الحميدة، وانتظر سيدى الأستاذ "عطسة" إلى أن جلس الأستاذ وبدأ فى التحدث معه فى الحال.

فقال سيدى الأستاذ "عطسة" بلغة فصحة قديمة مثل اللغة التى تُستخدم فى المسرحيات القديمة:

"منذ قليل تهجم هؤلاء على قصرنا، ويدعون أنهم تلاميذ فى مدرسة سموكم".

ثم أضاف بسخرية:

"هل حقيقى ما يدعونه؟"

فنظر ذلك الأستاذ بطريقة عادية لا تنم عن دهشة إلى الأبطال الذين يقفون أمام حديقة الأستاذ "عطسة"، ثم عاد ببصره مرة أخرى ناحية سيدى الأستاذ "عطسة" وأجاب الآتى:

" نعم، جميعهم تلاميذ مدرستى، سوف أحذرهم بشدة من تكرار فعل ذلك، لقد جعلونى أشعر بالضيق، لماذا تسلقتم سور هذا المنزل؟"

وبما أنهم تلاميذ فقد تصرفوا كتلاميذ، أى لم يرفعوا أعيونهم فى عين أستاذهم ويردوا على سؤاله، بل تكوموا فى ركن الحديقة يحتمون ببعض، كما تفعل الأغنام عند سقوط الثلوج.

"لا مفر من دخول الكرة حدود منزلي، بما أن منزلي بجانب المدرسة، طبعي أن تدخل الكرة حدود منزلي من حين إلى آخر، ولكن المشكلة في ما يسببونه لي من ضوضاء، فلو قفزوا من فوق السور واسترجعوا الكرات دون عمل ضوضاء فيمكن أن أتحمل الأمر".

"بالضبط، كما تقول، وسوف أنبههم إلى أن تكون سلوكياتهم جيدة، ولكن عددهم كبير ما يجعل تصويب سلوكياتهم أمرًا ليس يسيرًا، ولكن من الآن يجب أن أنبههم بشدة إلى تصويب سلوكياتهم".

ثم اتجه إلى التلاميذ وقال:

"إذا دخلت الكرة هنا يجب أن تدخلوا من البوابة الرئيسة للمنزل وتستأذنون في البحث عنها. أرجو أن يكون كلامي واضحًا".

ثم اتجه مرة أخرى إلى سیدی الأستاذ "عطسة" وقال:

"وكما تعلم حضرتك أن المدرسة كبيرة وتعديل سلوكيات التلاميذ عملية متعبة جدًا، وأيضًا الرياضة جزء مهم من العملية التعليمية، ولذلك لا يمكن منعهم من ممارسة رياضة كرة القاعدة، وإذا تركناهم هكذا سوف يتسببون لحضرتك في إزعاج، وأنا ألتمس من حضرتك العفو عنهم، لأنها ستكون آخر مرة، ومن الآن فصاعدًا سوف يدخلون من بوابة المنزل ويستأذنون من حضرتك".

سيدي الأستاذ "عطسة":

" نعم لو فعلوا ما تقول لن تكون هناك مشكلة، ليس عندي اعتراض على سقوط الكرات على منزلي حتى إن كانت كثيرة، ولكن المفروض أن يدخلوا من البوابة الرئيسة للمنزل ويستأذنوننا قبل البحث عن تلك الكرات، وبما أن هذا التلميذ تلميذ مدرستك، ففضل باصطحابه وأنت عائد، وأرجو أن تعفو عنى أننى سببت لك إزعاجًا باستدعائك هنا".

وهكذا وكما يحدث كل مرة، فقد بدأ سيدي الأستاذ "عطسة" الموقف بهجوم قوى كأنه تنين، وأنهاه بضعف وخضوع وهروب كأنه ثعبان، وبعد ذلك اصطحب أستاذ الأخلاق هؤلاء الشجعان وخرج من البوابة الرئيسة للمنزل متجهًا إلى المدرسة. وهكذا قد عرضت الحادثة الكبرى للأستاذ "عطسة".

ومن يضحك سخرية ويقول:

"هل هذه حادثة كبرى!"

فليضحك كيفما يشاء، فهي ليست حادثة كبرى تخص من يضحك، فلقد وصفت تلك الحادثة التي هي "كبرى" بالنسبة إلى الأستاذ "عطسة"، ولم أصف حادثة كبرى خاصة بمن يضحك، وإذا كان هناك من يقول في غيبتى:

"لقد تخيلنا أنها ستكون حادثة كبرى، فبدايتها كانت قوية، ثم فوجئنا بأن النهاية ضعيفة جدًا، كسهم انطلق بقوة فتوقعنا أن يصيب صيدًا ثمينًا، ولكنه لم يصب شيئًا".

فأقول له:

"أريدك أن تتذكر أن هذه هي سمات سيدي الأستاذ عطسة، وأن تتذكر أيضًا أن هذه السمات هي التي جعلته مادة للكتابة الساخرة".

وإذا قال أحد:

"إن سيدي الأستاذ عطسة أحمق أن ينزل بتفكيره إلى تفكير أطفال في سن الرابعة عشرة".

فأرد عليه قائلاً:

"أتفق معك أنه أحمق".

ولذلك فإن الناقد الأدبي المعروف "أوماتشي كيجتسو" يصف سيدي الأستاذ "عطسة" بأنه لم يتخطَ مرحلة الطفولة.

ولقد وصفت الحوادث الصغرى، ثم وصفت الحادثة الكبرى، وسوف أصف ما حدث من تداعيات بعد الحادثة الكبرى، ثم أتحدث بعد ذلك عن نهاية هذا الموضوع بكامله، وربما يعتقد بعض القراء أنني "فشَّار"، أكذب وأبالغ في ما أقول، ولكني لست إطلاقاً قطعاً وضيعاً إلى هذه الدرجة، كل كلمة وكل جملة أذكرها تحتوي على معنى فلسفي كبير، فقراءة كل جملة بإمعان سوف تلقى الضوء على ما قبلها وما بعدها من جمل، ولكن إذا قرأت من منطلق أنه موضوع من تفصيلات صغيرة وسخيفة ومملة، سوف يتحول الموضوع إلى موضوع صعب ولن تصل إلى فهم الفلسفة التي وراء الموضوع، ولذلك لا يجب أن تستلقى على جانبك أو تفرد رجلك وتقرأ عدة سطور مرة

واحدة بسرعة دون تركيز، ففي كل مرة كان الأديب الصينى ليو زنج يوان يقرأ كتب الأديب الصينى العملاق "هان يو"، كان يغسل يديه بماء الورد، وأنا لن أطلب منك أن تفعل مثله، ولكنى أريد منك ألا تستعير كتبى من صديق، بل على الأقل أن تشتريها.

وما سوف أسرده الآن ما أراه تدايعيات لما بعد الحادثة الكبرى، ولكن إذا اعتقدت أنه بالتأكيد سوف يكون كلامًا مملًا، وأن من الأفضل عدم قراءته، سوف تندم على ذلك، تجب قراءته بتمعن إلى نهايته.

في اليوم التالى للحادثة الكبرى كنت أريد التنزه قليلاً، فخرجت من البوابة الرئيسة، وعندما كنت على وشك الدوان من ناحية الشارع الجانبى، فوجئت بالسيد "سوزوكى" والسيد "أبو الذهب" يقفان طويلاً يتبادلان حديثًا بجدية، وكان السيد "أبو الذهب" فى طريق عودته إلى قصره والسيد "سوزوكى" كان عائداً من منزل السيد "أبو الذهب"، وتقابلا بالصدفة فوقفا يتبادلان الحديث. ولم أذهب ناحية قصر "أبو الذهب" فى الفترة الأخيرة، لأننى لا أجد ما يجذبنى فى قصره، ولكن عندما رأيتهما شعرت بالاشتياق لهما، فشعرت برغبة فى التشرف بلقائهما، وخاصة لعدم لقاء السيد "سوزوكى" لمدة طويلة، فقررت أن أذهب إلى حيث يقفان وأكون بجانبهما، وطبعاً سيدخل حديثهما أذنىَّ بطريقة طبيعية، ولكن ذلك لن يكون جريمة ارتكبتها، بل الجريمة ستكون محتوى حديثهما إذا كان سيئًا، وبما أن "أبو الذهب" يستخدم مخبرين خاصين لمعرفة حركات

وسكنات سيدى الأستاذ "عطسة"، فليس من حقه أن يغضب إذا أنصت إلى حديثه في مقابلة حدثت بالصدفة، وإذا غضب فيجب أن يعلم أن المعاملة بالمثل، وأنا لن أسمع لأننى أردت أن أسمع، بل لا أريد أن أسمع ولكن كلامهما سوف يقفز إلى داخل أذنيّ وأنا أقف بجانبهما في مكان عام مسموح لى الوقوف فيه.

قال "سوزوكى" وهو يحنى رأسه في أدب مرة تلو الأخرى:

"لقد كنت في قصر معاليك الآن، سعيد أننى قابلت معاليك قبل عودتى".

"أبو الذهب":

"شكرًا، وأنا أيضًا أردت مقابلتك، شىء جيد أن تقابلنا".

"سوزوكى":

"يسعدنى أن معاليك تريد مقابلتى. هل توجد أوامر لمعاليك؟"

"أبو الذهب":

"ليس موضوعًا ذا أهمية كبيرة، ولكنه موضوع لا يستطيع أحد القيام به ما عدا أنت".

ثم فكر قليلاً وقال:

"نعم، إنه..."

"سوزوكى":

"هل تحب أن نتقابل في وقت آخر للحديث عن ذلك؟ ما

الوقت المناسب لمعاليك كي أحضر؟"

"أبو الذهب":

"لا ليس أمراً يستدعى حضورك مرة أخرى، إنه موضوع يسير، ولذلك سوف أطلبه منك الآن".

"سوزوكي":

"تفضل اطلب كما تشاء دون تردد".

"أبو الذهب":

"بالنسبة إلى ذلك الشخص غريب الأطوار، الذي كان صديقاً قديماً لك، والذي اسمه على ما أتذكر عطسة أو شيء من هذا القبيل".

"سوزوكي":

"نعم اسمه كذلك، هل فعل ما يسبب مشكلة لمعاليتك؟"

"أبو الذهب":

"لا، لم يفعل شيئاً، ولكني ما زلت أشعر بالغضب بسبب ما فعله سابقاً تجاه ابنتي".

"سوزوكي":

"نعم، معاليك على صواب، إنه إنسان متحجر العقل جداً، ويجب عليه أن يفكر في كل شيء من خلال وضعه الاجتماعي مقارنةً بالوضع الاجتماعي للآخرين، ولكنه لا يفعل، بل يفكر في نفسه فقط كأنه الوحيد في هذه الدنيا".

"أبو الذهب":

"وبما أنه يقول إنه لا يحنى رأسه للحصول على مال ويتكلم بسوء عن رجال الأعمال، فقد قررت أن ألقنه درسًا كي يعرف من هم رجال الأعمال، ومنذ موقفه تجاه زواج ابنتي فقد قمت بعمل عدة أشياء كي يغير تفكيره ولكنه ما زال يقاوم، إنه فعلاً إنسان متحجر العقل، أنا مندهش من عقليته هذه".

"سوزوكي":

"إنه إنسان سطحي التفكير، لا يستطيع التفرقة بين ما يضره وما ينفعه، ولذلك يُظهر أنه غير محتاج إلى المال رغم حاجته الشديدة إليه، وهو هكذا منذ أن كنا طلابًا، لا يتنبه إلى ما فيه الخير لنفسه، ولا يستمع إلى النصيحة".

فضحك "أبو الذهب" ثم قال:

"فعلاً، لا يستمع إلى النصيحة، فلقد حاولت أن أغير تفكيره بطرق مختلفة ولكنها لم تفلح، ولذلك لم أجد في النهاية إلا استخدام تلاميذ المدرسة في تليين عقله".

"سوزوكي":

"هذه فكرة جهنمية، ولكن هل أتت بالنتيجة المرادة؟"

"أبو الذهب":

"يبدو أنها سببت له متاعب كثيرة، وأنه سوف يستسلم قريبًا".

"سوزوكى":

"هذا عظيم، مهما حاول لن يستطيع التغلب علينا، الكثرة تغلب الشجاعة".

"أبو الذهب":

"فعلاً لن يستطيع التغلب علينا بما أنه يحاربنا بمفرده فقط، ويبدو أنه صار ضعيفاً وعلى وشك الاستسلام، ولكن لا أعرف بدقة الحالة التى وصل إليها، ولذلك أريد أن تذهب وتستكشف الحالة التى وصل إليها الآن".

"سوزوكى":

"فهمت، هذا أمر يسير، سوف أذهب فى الحال، وبعد أن أنتهى من زيارته سوف أمر على قصر معاليك كي أخبرك بذلك، إننى مشتاق إلى أن أرى متصلب الرأى هذا ينهار ويستسلم، بالتأكيد سوف يكون منظرًا يستحق المشاهدة".

"أبو الذهب":

"حسنًا، عندما تنتهى مر علىّ، سوف أنتظرك".

فقلت لى نفسى:

"ماذا؟ خطة شريرة أخرى ضد سيدى الأستاذ "عطسة"! فعلاً رجال الأعمال لهم سطوة كبيرة، وكما يحترق الفحم ويصير رمادًا، سوف تحرق هذه الخطة دم سيدى الأستاذ عطسة، وتجعله يفور إلى رأسه سريعًا، ونتيجة لما سيعانيه من ذلك سوف يصير رأسه منطقة صلعاء وخطر، فالذبابة التى

ستقف على رأسه ستترحلق إلى هاوية سحيقة، وربما تنتهى حياته مثلما انتهت حياة الكاتب اليوناني إسخيلوس، وكل هذا بسبب سطوة رجال الأعمال، وإن كنت لا أعرف كيف تدور الأرض حول نفسها، ولكنى أعرف أن الذى يدير الدنيا هو المال، وأن الذين يعرفون قوة المال خير معرفة ويستطيعون استخدام سطوتهم فيخضعون من يشاءون هم رجال الأعمال فقط، ولأنى حتى الآن أعيش فى منزل مدعى علم ومتحجر العقل وفقير، فلم أستطع معرفة الفائدة من التعامل مع رجال الأعمال، ومع ذلك فإن سيدى الأستاذ عطسة الغبى الجاهل لن يفهم حتى ولو قليلاً ما يستطيع المال فعله، عدم فهمه هذا سوف يضعه فى موقع خطير، وربما تكون حياته التى هى أهم شيء له فى خطر"

وفكرت فى لقاء سيدى الأستاذ "عطسة" مع السيد "سوزوكى"، وتشوقت إلى معرفة ماذا سيقول للسيد "سوزوكى"، أكيد أن سيدى الأستاذ "عطسة" سوف يقول شيئاً غريباً نابغاً من شخصيته ومن الموقف وقت ذاك، ثم قلت لنفسى:

"لن أضيع الوقت وقوفاً هنا دون فعل شيء مهم".

ورغم أننى قط فإننى شعرت بالقلق الشديد على سيدى الأستاذ "عطسة"، فسرت بسرعة متخطياً السيد "سوزوكى" كي أعود قبله إلى المنزل.

وكالعادة فإن السيد "سوزوكى" يفكر ويتصرف بدهاء من أجل منفعته، فلقد تجنب التحدث عن "أبو الذهب" عندما قابل سيدى الأستاذ "عطسة"، بل ظل يتحدث عن أمور

حياتية يومية لا تجعل سيدى الأستاذ "عطسة" يثور أو يُغلق الحديث معه.

"سوزوكى": "ماذا حدث لك؟ وجهك شاحب اللون".

"عطسة": "أنا بخير ولم يحدث لى أى شىء غير عادى".

"سوزوكى": "ولكن وجهك شاحب، يجب أن تهتم بصحتك، لأن الجو سيئ، هل تنام ليلاً جيداً؟"

"عطسة": "نعم".

"سوزوكى": "إذا كان هناك ما يقلقك لا تتردد فى إخبارى بذلك، سوف أكون عوناً لك على قدر الاستطاعة".

"عطسة": "قلق! قلق من ماذا؟"

"سوزوكى": "لا أتحدث عن شىء معين، أنا أقول افتراضاً إذا كنت قلقاً، ولكن إذا لم تكن قلقاً فهذا شىء جميل، القلق أسوأ شىء على الصحة، أفضل شىء أن يحيا الإنسان حياة مرح وضحك، ولكن يبدو على وجهك الحزين الشديد".

"عطسة": "ولكن الضحك أيضاً شىء سيئ، أحياناً الضحك الكثير يؤدى إلى الوفاة".

"سوزوكى": "لا تسخر منى، المثل يقول الضحك يجلب السعادة".

"عطسة": "قديمًا كان هناك فيلسوف إغريقى اسمه خريسيبوس، هل سمعت عنه؟"

"سوزوكى": "لا، وما حكايته؟"

"عطسة": "لقد أفرط في الضحك فمات".

"سوزوكي": "شئ غريب، ولكن كان ذلك قديمًا".

"عطسة": "سواء كان قديمًا أو الآن يمكن أن يموت الإنسان من الضحك. لقد شاهد ذلك الفيلسوف حمارًا يأخذ تينًا من إناء فضة ويأكله، فاندحش وضحك من فرط الدهشة وظل يضحك طويلًا ولم يستطع التوقف عن الضحك فمات".

ضحك "سوزوكي" وقال: "ولكنى لا أقصد أن يضحك الإنسان ضحكًا متواصلًا لا يستطيع التوقف عنه، أقصد يضحك قليلًا، يضحك إلى حد مناسب، وبذلك يشعر بالفرحة".

وفي حين يتفحص السيد "سوزوكي" رد فعل سيدي الأستاذ "عطسة"، سواء وهو ساكن أو وهو يتحدث، إذا ببوابة المنزل تفتّح، فقلت لنفسى هل يكون الزائر الذى يحضر فى أى وقت يريد؟ ولكن توقعى لم يكن صحيحًا.

فقد سمعنا أحد التلاميذ يقول: "سقطت كرة عندكم، أستأذنكم فى دخول الحديقة للبحث عنها".

فردت الخادمة من المطبخ: "نعم، ادخل".

فبدا على وجه السيد "سوزوكي" التعجب وقال:

"من هذا؟"

"عطسة": "تلاميذ الجوار أسقطوا كرة فى الحديقة وجاءوا يستردونها".

"سوزوكي": "تلاميذ الجوار! هل يوجد تلاميذ بجوار منزلك؟"

"عطسة": "مدرسة اسمها قصر السحب الساقطة".

"سوزوكي": "مدرسة! فهمت الآن، أكيد أنهم يسببون لك إزعاجًا شديدًا، أليس كذلك؟"

"عطسة": "إزعاجًا فقط! بل إزعاجًا شديدًا لدرجة أننى لا أستطيع التركيز في قراءة كتبى، لو كنت وزير التعليم كنت أصدرت أمرًا بإغلاق تلك المدرسة في الحال".

ضحك "سوزوكي" ثم قال: "يبدو أنك غاضب جدًا منهم، هل يضايقونك إلى هذه الدرجة؟"

"عطسة": "يضايقوننى! طبعًا يضايقوننى طوال اليوم، من الصباح إلى المساء".

"سوزوكي": "إذا كنت تشعر بالإزعاج إلى هذه الدرجة، لماذا لا تترك هذا المنزل وتنتقل للعيش في مكان آخر بعيدًا عنهم؟"

"عطسة": "أترك هذا المنزل! أنت وقع جدًا".

"سوزوكي": "لا تغضب علىّ لأننى لست من يسبب لك الإزعاج، عمومًا هم أطفال، والأطفال أطفال، ولذلك أفضل شيء أن تتجاهل تصرفاتهم".

"عطسة": "ربما تستطيع أنت فعل ذلك لو كنت مكاني، ولكنى لا أستطيع تجاهل تصرفاتهم، ولقد استدعيت أستاذهم أمس وحدثته في ذلك".

"سوزوكي": "هذه فكرة جيدة، ولكن هل اعتذر عن إزعاجك؟"

"عطسة": "نعم".

وفي هذه اللحظة فُتِح الباب مرة أخرى وسمعنا من يقول:

"سقطت كرة في الحديقة، أستاذن في الدخول للبحث عنها".

"سوزوكي": "ليس معقولاً، إنهم يأتون كثيراً، كرات أخرى سقطت في حديقتك! أليس كذلك؟"

سيدي الأستاذ "عطسة": "نعم، لقد اتفقنا على أن يدخلوا من البوابة الرئيسة للمنزل".

"سوزوكي": "الآن فهمت سبب مجيئهم بكثرة".

سيدي الأستاذ: "ماذا فهمت؟"

"سوزوكي": "فهمت أنهم يأتون من أجل استرجاع كراتهم".

سيدي الأستاذ "عطسة": "هذه المرة هي السادسة عشرة التي يأتون فيها اليوم لاسترجاع الكرات".

"سوزوكي": "أليس شيئاً مزعجاً لك! ألا يجب أن تمنعهم من المجيء؟"

سيدي الأستاذ "عطسة": "كيف أستطيع منعهم إذا كانت كراتهم تأتي حديقتي! ما باليد حيلة".

"سوزوكي": "فعلاً ليست هناك حيلة، ولذلك لا يجب عليك أن تُعاند، عندما يتدحرج الشيء الذي له حواف تُصاب خوافه بأضرار، ولكن عندما يتدحرج الشيء الدائري، يسير بيسر دون معاناة ولا يُصاب بأضرار، عندما يتدحرج الشيء المربع الشكل تُكسر زواياه ويُصاب بالآلام، هذا كل ما يحدث له، إصابات

وآلام فقط لا غير، فأنت لا تعيش وحدك في هذه الحياة، لن تصير الحياة كما ترغب في أن تكون، ولذلك لا يجب أن تعادى صاحب المال، لأنك ستكون الخاسر، سوف تتعب عصبياً وجسمانياً ولن يمدح أحد وقوفك ضده، كما أنه لن يُصاب بضرر ولن يهتم بما يحدث لك، لأنه سوف يجلس ويستخدم الآخرين في تنفيذ ما يريد، ودائماً الغلبة للكثرة، وأنت تعلم أنك لا تستطيع مقاومته، فإذا عاندت وظللت على عنادك، فلن تستطيع التركيز في القراءة، وسوف تواجه مشكلات في عملك، وفي النهاية سوف تشعر بالإرهاق والخسارة وعدم القدرة على الاستمرار في العناد".

ثم جاء تلميذ آخر وقال: "لو سمحت، كرة سقطت في الحديقة، هل تسمح لي بالذهاب خلف المنزل كي أستردها؟" ضحك "سوزوكي" وقال: "كما ترى، جاءوا مرة أخرى".

فاحمر وجه سيدي الأستاذ "عطسة" غضباً وقال: "هذا عدم احترام".

وهنا شعر "سوزوكي" بأنه قد أنهى المهمة التي جاء من أجلها، فقال للأستاذ "عطسة" إنه سوف يأتي لزيارته مرة أخرى عندما تُتاح له الفرصة، ثم استأذن وغادر المكان. خرج "سوزوكي"، وبعده مباشرةً دخل الطبيب "أماكي".

ونادراً ما نسمع -سواء سابقاً أو الآن- عن شخص يرتفع دمه بغزارة إلى مخه فجأة يعرف أنه مريض بهذا المرض من

تلقاء نفسه، ولكن عندما تنبه سيدي الأستاذ "عطسة" إلى أن دمه يرتفع فجأة بغزارة إلى مخه كان قد تخطى المعدل الطبيعي لارتفاع الدم إلى المخ بمراحل، فلقد وصل ارتفاع دمه أمس عند الحادثة الكبرى إلى أعلى درجة ممكنة تتخيلها، ولقد تم تخطى الموقف بالمحادثات وبانسحابه من المواجهة، ولكنه عندما عاد إلى مكتبته أخذ يفكرًا ميمينًا ويسارًا ويقلب الأمر في عقله، فشعر أن ما يحدث غريب، وأن الغريب ربما تكون المدرسة أو هو شخصيًا، وشعر بأن هناك أشياء تكفى كي تجعله يشك، ولكن الذى لا شك فيه أن هناك شيئًا غريبًا في هذا الموضوع، ولقد تنبه إلى أنه صحيح أنه يسكن بجانب المدرسة ولكن غريب أن يظل في حالة إزعاج طوال العام من بدايته إلى نهايته، وبما أن ما يحدث غريب، فيجب أن يتخذ موقفًا، ولكنه لا يستطيع فعل شيء، ليس هناك ما يفعله، وأنه لا مفر إلا أن يسأل الطبيب عن دواء يتناوله كي يُوقِفَ قلقه، ويجعله يهدأ، وهكذا فكر في أن يستدعى طبيب العائلة كي يفحصه ويعطيه دواءً مهدئًا، ولا أعلم إذا كانت هذه فكرة صائبة أم خائبة، ولكن يجب أن نشهد أن تنبهه إلى أن دمه يرتفع بغزارة إلى رأسه يدل على إحساسه المرهف وذكائه الخارق، وإذا بالطبيب "أماكي" بيتسم كالعادة وهو هادئ ورزين ويقول:

"ماذا حدث لك؟"

وهذه هي المقولة المعتادة لأي طبيب، وأنا شخصيًا إذا لم أسمع هذه الجملة من أي طبيب لا أشعر بالثقة فيه.
سيدي الأستاذ "عطسة": "صحتي لا تتحسن أيها الطبيب".

الطبيب: "ماذا؟ هل فعلاً لا تشعر بتحسّن!"

سيدي الأستاذ "عطسة": "أنا مندهش أن الدواء الذي حددته لي ليس فعّالاً".

فشعر الطبيب "أماكي" بالدهشة من كلام سيدي الأستاذ "عطسة"، ولكنه كإنسان أكبر سنّاً وهادئ ورزين قال في هدوء: الطبيب: "إنه فعّال".

سيدي الأستاذ "عطسة": "لقد تناولت منه الكثير ومع ذلك مرض معدتي كما هو لا يقل أو يزول".
الطبيب: "لا هذا غير صحيح".

سيدي الأستاذ "عطسة": "غير صحيح! هل ترى أنني أتحسن قليلاً؟"

الطبيب: "لن تتحسن حالتك فوراً، التحسن يأتي تدريجياً، وعلى العموم حالتك تحسنت كثيراً عما قبل".

سيدي الأستاذ "عطسة": "أهو كذلك!"

الطبيب: "هل ما زلت تثور بشدة؟"

سيدي الأستاذ "عطسة": "نعم، أثور بشدة حتى وأنا أحلم".

الطبيب: "مارس قليلاً من الرياضة".

سيدي الأستاذ "عطسة": "كلما مارست الرياضة أثور أكثر".

فشعر الطبيب "أماكي" بأنه لا فائدة من المناقشة معه فقال:

"إذًا، دعني أفحصك".

ولم يصبر سيدي الأستاذ "عطسة" إلى انتهاء الفحص، بل صاح فجأة بصوت عالٍ:

"لقد قرأت منذ عدة أيام كتابًا عن فن التنويم المغناطيسي، وكان مكتوبًا فيه أنه باستخدام فن التنويم المغناطيسي يمكن علاج كثير من الأمراض، فهل هذا صحيح أيها الطبيب؟"

الطبيب: "نعم التنويم المغناطيسي أحد الطرق لعلاج الأمراض".

سيدي الأستاذ "عطسة": "وهل ما زال التنويم المغناطيسي يُستخدم الآن لعلاج الأمراض؟"
الطبيب: "نعم".

سيدي الأستاذ "عطسة": "هل تنويم شخص مغناطيسيًا صعب؟"

الطبيب: "لا إطلاقًا، أنا أيضًا أقوم بعمل التنويم المغناطيسي".

سيدي الأستاذ "عطسة": "أنت تقوم بعمل التنويم!"

الطبيب: "نعم، إذا كنت تريد مشاهدة ذلك، فسوف أقوم به الآن مع أي شخص، ما رأيك أن أقوم بتنويمك؟"

سيدي الأستاذ "عطسة": "هذه تبدو تجربة مشوقة، من فضلك قم بتنويمى، كنت أريد أن أفعل ذلك، ولكن أرجو ألا أظل نائمًا إلى الأبد، يجب أن توقظنى مرة أخرى".

الطبيب: "ماذا تقول! لا تخف، حسنًا سوف أبدأ بتنويمك".

واتفقا بسرعة على القيام بالتنويم، وحين وقت أن يتم تنويم سيدي الأستاذ "عطسة"، ولم يكن قد سبق لي أن شاهدت قيام أحد بتنويم الآخر، فشعرت بسعادة داخلية أن أشاهد ذلك، فوقفت في ركن حجرة الضيوف أشاهد كي أعرف نتيجة ذلك، ولقد بدأ الطبيب التنويم من عين سيدي الأستاذ، فأغلق سيدي الأستاذ عينيه استعداداً للتنويم، وبدأ الطبيب يدلك الجفن العلوي لعيني سيدي الأستاذ "عطسة" من أعلى إلى أسفل، وكرر ذلك عدة مرات، وبعد برهة سألت الطبيب سيدي الأستاذ "عطسة" قائلاً:

"وتدليك جفنيك هكذا سوف يجعلك تشعر بدوار ورغبة في النوم؟"

فقال سيدي الأستاذ "عطسة":

"نعم، أكيد سيحدث ذلك"

وبدا أن سيدي الأستاذ "عطسة" يشعر بالراحة من التدليك، فظل ساكناً لا يتفوه بكلمة واحدة، وبالطريقة نفسها ظل الطبيب "أماكي" يدلك الجفنين عدة مرات، ثم قال له:

"والآن سوف تبدأ في النوم تدريجياً".

وشعرت بالحزن لأن عيني سيدي الأستاذ "عطسة" مغلقتان وسيدي الأستاذ "عطسة" لا يستطيع الرؤية.

سيدي الأستاذ "عطسة": "هل لن تُفتح عيناى؟"

الطبيب: "نعم لن تُفتح".

وظل سيدي الأستاذ "عطسة" صامتًا وعيناه مغلقتان، فتصورت أنه قد أُصيب بالعمى، وبعد برهة قال الطبيب للأستاذ:

"إذا كنت تستطيع فتح عينيك فافتحهما، لن تستطيع فتحهما مهما حاولت".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة":

"حقًا لن أستطيع؟"

ثم فتحهما بسرعة كالمعتاد، ثم ضحك بسخرية وقال:
"لم يتم تنويمى".

فضحك الطبيب "أماكي" أيضًا وقال:

"فعلًا، لم تنم، شيء عجيب".

وفشل التنويم المغناطيسى وعاد الطبيب من حيث أتى.

ثم جاء بعد ذلك ضيف لم يسبق لى أن شاهدت شخصًا مثله يأتي إلى منزل سيدي الأستاذ "عطسة"، خاصة أن سيدي الأستاذ "عطسة" إنسان غير اجتماعى قليل الأصدقاء. أنا لا أصدق عينيّ، ضيف غريب، ولكنه أتى، وأنا لا أصفه أنه ضيف غريب لأنه غريب، ولكن لأنه له صلة بالحادثة الكبرى التى ذكرتها سالفًا، فهو مادة مهمة لا يمكن تجاهلها كي أستطيع وصف ما حدث بعد تلك الحادثة الكبرى، وأنا لا أعلم اسمه، ولكن وجهه طويل ويطيل لحية مثل لحية جدى الماعز، وهو فى سن الأربعين، وعندما شاهدته رأيته على نقيض البروفيسور

الفشار، ولذلك نويت أن أطلق عليه مؤقتًا اسم "الفيلسوف"، وقد قررت إطلاق ذلك الاسم عليه لأننى لا أعرف اسمه بعد ولأنه لا يبالغ في الكلام ولا يزهو بنفسه مثل البروفيسور "الفشار"، علاوة على ذلك عندما رأيته يتحدث مع سيدى الأستاذ "عطسة"، وجدته يتحدث كالفلاسفة، ويبدو من خلال أسلوب كلامهما الصريح أنهما كانا زميلان وقت الدراسة.

وقال سيدى الأستاذ "عطسة" للفيلسوف: "ما رأيك فى البروفيسور؟"

قال الفيلسوف:

"البروفيسور! إنه يحب الظهور، مثل طعام أسماك الزينة الذى يطفو على وجه بحيرة، فمنذ عدة أيام شاهدته يسير مع صديق له، وعندما مرا أمام منزل عائلة عالية المقام جذب صديقه من يده ودخل منزل تلك العائلة التى لا يعرفها كى يتناول شاي عندهم، إنه إنسان عديم الإحساس".

فقال سيدى الأستاذ "عطسة":

"وماذا حدث بعد ذلك؟"

"لا أعرف ماذا حدث بعد ذلك، ولكنه إنسان غريب، إنه مثل طعام الأسماك، لا عقل له، لا يفكر إطلاقًا".

ثم سأل سيدى الأستاذ "عطسة":

"ما رأيك فى سوزوكى؟"

قال الفيلسوف:

"سوزوكي! هذا يعنى أنه يأتى إلى هنا. إنه ليس الإنسان الذى يفكر فى الأخلاقيات، هو إنسان انتهازى ولثيم، يتعامل فى الحياة من مبدأ المصلحة الشخصية، يعلق على صدره ساعة ذهبية، ولكنه إنسان سطحى التفكير، ولا يستقر فى مكان، إنه إنسان سيئ، إنه دائماً يتحدث عن ليونة الشخصية ولكنه لا يفهم لا ليونة ولا أى شىء، فكما أن البروفيسور مثل طعام أسماك الزينة، فإن سوزوكي لين ليونة الشىء السيئ، مثل الچيلى، لين ويتراقص دائماً مثل الچيلى".

استمع سيدى الأستاذ "عطسة" إلى هذه التشبيهات العجيبة جداً، فشعر بالسرور وضحك بصوت عالٍ بعد انقطاع عن الضحك لمدة طويلة.

ثم سأل سيدى الأستاذ "عطسة":

"ما رأيك فى نفسك؟"

قال الفيلسوف:

"أنا! مثل البطاطا، بطاطا موجودة فى الأرض، بطاطا طويلة ومدفونة فى الطين".

الفيلسوف: "ولكنك تبدو دائماً فى حالة هدوء وسكينة وراحة نفسية، إنى أحسبك على ذلك".

سيدي الأستاذ "عطسة": "ماذا؟ أنا إنسان عادي مثل أي إنسان آخر، لا أملك ما يحسدني عليه أحد، وأحمد الإله حمدًا كثيرًا أن لا أحد يفكر في حسدي".

الفيلسوف: "وكيف أحوالك المادية، صرت تعيش في سعة، أليس كذلك؟"

سيدي الأستاذ "عطسة": "ماذا؟ أنا كما كنت سابقًا، أحيانًا يكفيني راتبى وأحيانًا لا يكفيني، ولكنى أحمد الإله أننى أستطيع تناول الطعام، لا تندهش مما أقول".

ثم أضاف:

"أنا تعيس وأصاب بحالات غضب شديد، أشعر بغضب شديد لا أستطيع تحمله، المشكلات تحاصرني من كل جانب".

الفيلسوف: "المشكلات شيء جيد، فإنها تجعلك طيب القلب، والحياة فيها كل أنواع البشر، لا تستطيع أن تأمر الناس كونوا هكذا، فيمثلون للأمر ويصبحون كما تريد، ولا تستطيع أن تتناول الأرز بيسر إذا لم تمسك أعواد الطعام كما تمسكها بقية الناس، ولكن بالنسبة إلى خبزك، فيجب أن تمسكه بالطريقة التي تناسبك، ولا تمسكه مثلما تفعل بقية الناس، وإذا اخترت حائك ملابس جيدًا، فسوف يحبك لك ملابس تناسبك، ولكن إذا اخترت حائكًا سيئًا، فليس أمامك إلا أن تتحمل ارتداء الملابس التي حاكها لك بطريقة لا تناسبك، ولكن الشيء الجميل في هذه الدنيا أن الملابس التي ترتديها وهى غير مناسبة لك، مع

مرور الوقت سوف تتشكل بشكل جسمك وتصير لائحة عليك، وتكون سعيداً لو وهبك الإله والدين مناسبين لدنيانا الحالية، وإذا لم يهبك الإله هذين الوالدين، ليس أمامك إلا أن تتحمل عدم مناسبتهما لهذه الدنيا، وأن تتحمل وتجتهد من أجل أن تجعل هذه الدنيا مناسبة لك".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة": "ولكن بالنسبة إليّ، مهما مر الزمان، لن تتغير الدنيا فتصير مناسبة لي، أنا أشعر بذلك".

الفيلسوف: "لو لبست سترة ضيقة بالقوة سوف تتمزق خيوطها، لو تشاجرت أو انتحرت سوف تُسبب إزعاجاً للآخرين، ولكن لو كنت تشعر بالملل، فهذا ليس سبباً كافياً للانتحار أو التشاجر، أنت أفضل من غيرك بكثير".

سيدي الأستاذ "عطسة": "ولكنى كل يوم أتشاجر، حتى لو لم يكن هناك من يتشاجر معي، فأنا أتشاجر".

الفيلسوف: "فهمت، تتشاجر مع نفسك، هذا شيء ممتع، أفعل ذلك على قدر المستطاع".

سيدي الأستاذ "عطسة": "ولكنى صرت منهكاً من التشاجر".

الفيلسوف: "إذا كان الوضع هكذا، فتوقف عن التشاجر".

سيدي الأستاذ "عطسة": "إنهم أمامى ولذلك لا أستطيع التوقف عن التشاجر معهم".

الضيف: "حسناً، على نحو عام ما المشكلة معهم؟"

فانطلق سيدي الأستاذ "عطسة" في سرد ما حدث له من مشكلات تفصيلاً، بدايةً بمدرسة "قصر السحب الساقطة"، ومروراً بما يضايقه من كون أنف زوجة السيد "أبو الذهب" كبيراً، وكيف يسخر منه زملاؤه في المدرسة بموضوع مثل شاي الأوباش، وكيف أن "أبو الذهب" يجند الكثير للتجسس عليه، وظل الفيلسوف يستمع بإنصات، وبعد انتهاء سيدي الأستاذ "عطسة" من حديثه قال الفيلسوف:

"بصرف النظر عما قال زميلك بنسكيه وزميلك كيشاجو، يجب أن تتجاهل ما قالوا، لا يجب أن تُنزل مقامك العالي كي تصير في مستواهما الوضع.

وهل هناك أهمية للتفكير في تصرفات التلاميذ! وهل تعتقد أن تصرفاتهم هذه يجب أن تضايقك! وهل تعتقد أنك إذا تحدثت معهم أو تشاجرت معهم ستتوقف تصرفاتهم! طبعاً لن تتوقف، وبالنسبة إلى التعامل مع مشكلة كهذه فأنا أعتقد أن تفكير اليابانيين القدامى كان رائعاً، وأنهم أفضل من الأوروبيين في التعامل مع مشكلة كهذه، فإن الأوروبيين دائماً يقولون يجب أن نتعامل مع مشكلة كهذه بطريقة إيجابية، ويؤكدون على أهمية الإيجابية في التعامل مع تلك المشكلات، وقد اقتنعت غالبية اليابانيين بطريقتهم هذه وصارت طريقتهم هذه هي السائدة في اليابان، ولكني أعتقد أن طريقتهم هذه تحوى عيوباً خطيرة، أولاً: أن الكلام عن الإيجابية لا ينتهى وأن الإيجابية ليست لها حدود ولا نهاية واضحة، توجد على الجانب الآخر أشجار السرو، وهذا يعنى كي تفكر بطريقة إيجابية يجب

أن تزيل تلك الأشجار لأنها تحجب الرؤية بالنسبة إليك عن أعدائك، والمنزل الوضيع الذى هناك ويسكنه سائق العربّة يسبب لك الضيق، ولذلك يجب أن تجبرهم على ترك منزلهم والسكن فى منزل بعيد، وسوف تشعر بالضيق من جار آخر فتصرف معه بالطريقة نفسها التى تصرفت بها مع الجارين السابقين، وهكذا لن تجد نهاية للتصرف بطريقة إيجابية، أينما ذهبت، وإن جميع الأوروبيين يتصرفون بهذه الطريقة، حتى عندما انتصر نابليون فى حروبه وكذلك الإسكندر الأكبر فى حروبه، لم يشعر أى أوروبى بالرضا من نصرهما ويكتفى بذلك، فإذاً أعتقد أنك مخطئ إذا كنت تتخيل أنه إذا لم تعجبك سلوكيات شخص ففتشاجر معه، وإذا لم تؤدّ المشاجرة إلى حل المشكلة بالكيفية التى تريدها تقيم عليه دعوى قضائية وتفوز فيها وبذلك تشعر بالرضا، يجب أن تعلم أنك لن ترضى من قلبك عن كل شيء إلى أن تموت.

وبعض الأوروبيين يقولون إن حكم الفرد سيئ، ولذلك يجب تغييره إلى حكم مؤسسات عن طريق الاقتراع، ثم بعد ذلك يقولون إن حكم المؤسسات عن طريق الاقتراع نظام سيئ، فيفكرون فى شيء آخر، والبعض يقول إن النهر صار هائجاً فننشئ فوقه معبراً، والبعض يقول إنه يشعر بأن الجبل عائق فلننشئ تحته نفقاً، والبعض يقول إن مركبات السير صارت مشكلة، فلننشئ خطوط سكة حديدية، وهكذا لا شعور بالرضا التام طوال الحياة، وهكذا لا يستطيع الإنسان فعل كل شيء بطريقة إيجابية كما يشاء، وربما تكون الحضارة الأوروبية

عملية ومتقدمة، ولكن من صنعها بشر ظلوا طوال حياتهم لا يشعرون بالرضا.

ومن خلال التفكير في الحضارة اليابانية نستطيع أن نصل إلى أن الياباني يسعى إلى تغيير نفسه فقط ولا يسعى إلى الشعور بالرضا عن طريق تغيير الآخرين، فالفارق الكبير بين تفكير الياباني وتفكير الأوروبي، أن فكر الياباني تطور إلى يومنا هذا على أنه لا يجب عمل تغيير جوهري في البيئة المحيطة به، مثلاً إذا كانت العلاقة بين الأب وابنه ليست على ما يرام، فإن الأوروبي يفعل ما يحاول به تغيير أسس هذه العلاقة، ولكن الياباني لا يفعل ذلك، بل إن الياباني يرى أنه لا يمكن تغيير أسس العلاقة بين الأب وابنه، فهي كما هي وستستمر كذلك ولا يمكن تغييرها، ولكنه يسعى إلى وسيلة يطمئن بها من خلال الأسس الثابتة لتلك العلاقة، وكذلك الحال بالنسبة إلى العلاقة بين الزوج كسيد وزوجه كمطيع، وبين رجال الساموراي (المحاربين) كطبقة أعلى ورجال التجارة كطبقة أدنى، وكذلك الحال حتى بالنسبة إلى التعامل مع الطبيعة، مثلاً إذا كان هناك جبل يحول دون الذهاب إلى دولة مجاورة، لا يفكر الياباني في إزالة هذا الجبل، بل يفكر ويصل في نهاية تفكيره إلى أنه إذا لم يذهب إلى تلك الدولة المجاورة فلن يصاب بضرر، وعليه لا يفكر في عبور الجبل ويشعر بالرضا ببقاء الوضع على ما هو عليه، وهذا التفكير جعل قلب وعقل الياباني ينموان على عدم تغيير ما يحيط به.

انظر إلى معتنقى مذهب زن ومعتنقى مذهب كونفوشيوس، لقد تعاملوا مع هذه المشكلة بطريقة حكيمة، فهم يقولون إنك مهما صرت عظيمًا لن تستطيع تسيير الدنيا كيفما تشاء، لا تستطيع أن تغير الشمس من أن تغرب ناحية الغرب، ولا أن تغير سير مياه نهر كامو جاوا الجبلى إلى أن يسير في عكس الاتجاه، ولكن فقط ما تستطيع أن تغيره هو داخلك، تغير ما في قلبك وعقلك، فلو حاولت أن تتدرب على أن تكون عندك سعة صدر وأن يصير قلبك مفتوحًا، فسوف تجد أن التصرفات التي يقوم بها تلاميذ مدرسة قصر السحب الساقطة وتزعجك شيء عادى وغير مزعج حتى إن كانت مزعجة جدًا، ولن تبالي بالجواسيس الذين يعملون لـ"أبو الذهب"، ولا ترى أن ما يقوله زميلك في المدرسة تفاهات وتكتفى بأن تقول في نفسك عنهما إنهما حمقى.

وحدث مرة قديمًا أن استل شخص سيفه كي يقتل راهبًا وكان السيف يلمع كضوء الصواعق، فقال له حكمة جميلة، قال له:

ضربك لى بالسيف كسقوط صاعقة على رياح

وهذا يعنى أن الصاعقة لن توقف الرياح، أى عمل عديم النفع، فتركه ذلك الشخص دون أن يقتله وذهب لحال سبيله، فإذا تدربت على أن تكون سلبياً، سوف تصل إلى قمة السلبية، وعليه تستطيع أن تحل تلك المشكلات.

أنا لا أملك الحكمة والذكاء الكافى لحل المشكلات الصعبة، ولكنى أعتقد أن التمسك دائماً بالطريقة الإيجابية الأوروبية

خطأ، فمثلاً بالنسبة إلى المشكلة الحالية مع المدرسة، إذا تعاملت مع التلاميذ بطريقة إيجابية فسيظل التلاميذ يأتون إليك ويضايقونك ولن تستطيع حل المشكلة، ولن تستطيع حل تلك المشكلة بطريقة إيجابية مهما فعلت، طبعاً فيما عدا أن تقوم بعمل سيئ، مثل أن تكون عندك سلطة لإغلاق تلك المدرسة أو أن تتقدم بشكوى للشرطة، إذا كنت تريد حل المشكلة بطريقة إيجابية ستواجه مشكلة مالية، لأن المشكلة مشكلة أن الأغلبية تهزم الأقلية بالمال، أقول لك بطريقة أخرى واضحة، يجب أن تحنى رأسك لمن يملك المال، يجب أن تخاف من الأطفال الذين يتبعون الأغلبية، إنك فقير وفوق ذلك وحيد وعليه فأنت تظلم نفسك بأن تحاول التشاجر معهم بطريقة إيجابية، هل فهمت ما أقول؟"

وكان سيدي الأستاذ "عطسة" يستمع إلى حديث الفيلسوف في صمت دون أن يتضح عليه إذا كان قد اقتنع بكلام الفيلسوف أم لا، وبعد أن غادر الفيلسوف دخل سيدي الأستاذ "عطسة" مكتبته، ولم يقرأ الكتب، بل أخذ يفكر في شيء ما.

أخذ يفكر في قول "سوزوكي"، الذي قال له: يجب أن تنحني للمال والأغلبية. ثم فكر في نصيحة الطبيب "أماكي"، الذي قال له: هدي أعصابك باستخدام التنويم المغناطيسي. ثم أخيراً صديقه الفيلسوف الذي فسر له التعاليم التي ورثها القدماء، وأوجزها في قول: التدرب على السلبية يؤدي إلى الشعور بالطمأنينة، وعلى كل حال، لقد كان واضحاً أن الأمور لا يمكن أن تستمر طويلاً على هذا النحو.

الفصل التاسع

وجه سيدي الأستاذ "عطسة" ملء ببثور (حبوب)، ولقد كانت الوجوه المليئة بالبثور كثيرة قبل عصر ميچی (١٨٨٦م - ١٩١٢)، ولكن منذ عقد اتفاقية تعاون مشترك (١٩٠٢م) بين اليابان وإنجلترا في المجالات المختلفة، قلّت تلك الوجوه، ولقد توصلت الدراسات الطبية الدقيقة إلى نظرية أنه كلما تزايد عدد السكان قلت هذه الظاهرة، وعليه فإن تلك الوجوه سوف تختفى في المستقبل القريب، ورغم أنني قط فإنني أثق بهذه النظرية ثقة تامة، وإن كنت لا أعلم كم عدد البشر الذين لهم وجوه كهذه في العالم في وقتنا الحاضر، ولكن عندما أفكر في المنطقة المحيطة بي، وبالأخص في الأشخاص الذين أتعامل معهم، لا أجد قطًا واحدًا له وجه كهذا، ولكني أجد

شخصًا واحدًا له ذلك الوجه، وذلك الشخص هو سيدي الأستاذ "عطسة". أنت مسكين جدًا يا أستاذ "عطسة".

وكلما نظرت إلى وجه سيدي الأستاذ "عطسة" سألت نفسي: لماذا يعيش بوجهه هذا في قرننا العشرين دون شعور بالحياء؟ لو كان يعيش بهذا الوجه في زمن سابق عن زماننا هذا لكان شيئًا عاديًا وبالتالي مقبولاً، ولكن رغم وجود أوامر بعلاج البثور، فإنها تنتشر في جسده، من كوع الذراع إلى أعلى حتى وجهه، بما في ذلك مقدمة أنفه ووجنتيه، ما يجعل الأماكن المصابة بتلك البثور تكون صلبة لا تتحرك، فهل يشعر بالافتخار بوجود تلك البثور! ألا يشعر بالخجل من وجودها في وجهه في عصرنا الحالي! أو أن أنها التي تشعر بالخجل منه! وإذا أمكنت إزالتها، فيجب عليه فعل ذلك الآن، أو ربما أقسمت البثور أن تنتشر في وجهه كله ولا تتركه إلا إذا غربت الشمس في المشرق! ولا يجب أن ننظر مطلقًا باستخفاف إليها، إنها مجموعة من الثقوب التي وقفت ضد مجرى الزمن، تكافح من أجل أن تبقى إلى الأبد، إنها مرتفعة ومنخفضة بطريقة مدهشة جدًا، ولكن نقطة ضعفها الوحيدة أنها قذرة.

وعندما كان سيدي الأستاذ "عطسة" طفلاً، كان يوجد طبيب أعشاب صينية مُسن اسمه "أصاضا"، وكان يعيش في منطقة "أوشى جوميه"، وكان عندما يذهب لمعالجة مريض، يركب محملاً وكانوا يسرون به ببطء، ولكن بعد أن مات وخلفه تلميذه في عمله، استعمل على الفور عربة دفع باليد في ذهابه إلى مرضاه، وعندما مات وخلفه تلميذه ترك مجموعة أعشاب

اسمها "ريسفير اترول" التي كان يصفها أستاذه وأستاذ أستاذه كدواء ولا يصفان دواء آخر غيرها، واستبدل بها دواء خافضاً للحرارة، ولكنه كان يستخدم محملاً في ذهابه إلى مرضاه داخل العاصمة طوكيو كما كان يفعل سابقه الطبيب "أصاضا"، وذلك كان تصرفاً غريباً في هذا العصر الذي نعيشه الآن، فلقد كان يقلد من كان يركب داخل محمل، ومَن كان يركب داخل محمل هم أجدادنا الأولون الذين كانوا يفكرون بطريقة بدائية، ونقل الخنازير الذين في قطارات الركاب هي طريقة بدائية، وكذلك ركوب الطبيب المسن "أصاضا" محفة طريقة بدائية.

وبثور سيدي الأستاذ "عطسة"، مثل محمل الطبيب المسن "أصاضا"، فعندما تشاهده بذلك الوجه تشعر بالشفقة عليه، فسيدي الأستاذ "عطسة" الذي لا يقل تحجراً في العقل عن الطبيب "أصاضا"، يطل كل يوم على الناس بوجهه المثير للشفقة، فيذهب إلى المدرسة ويقرأ على التلاميذ كتاب اللغة الإنجليزية.

وعندما يكون سيدي الأستاذ "عطسة" -الذي يذكرنا وجهه بكثير من الوجوه في القرن الماضي- في الفصل، فإنه بدلاً من تدريسهم المادة يتحدث إليهم في موضوعات أخرى بهدف النصح والتحذير، فمثلاً بدلاً من تدريسهم "This is a book"، فإنه يشرح مشكلة كبيرة، مشكلة "تأثيرات البثور على الوجه"، ويجيب عن ما في عقول التلاميذ من أسئلة دون أن يسألوها، وإذا لم يكن هناك شخص مثله معلماً، فسوف يضطر التلاميذ إلى

أن يذهبوا إلى المكتبة أو المتحف كي يتعرفوا على مشكلة البثور بعمق، مثلما يحاول العلماء معرفة أسرار المصرى القديم من خلال مجهود كبير في تشريح المومياء وفحصها، إنها مشكلة صعبة جداً، ولذلك فإن وجود معلم بوجه به بثور مميزة تعليمية كبيرة للتلاميذ لا ينتبه إليها أحد.

وبالتأكيد أن سيدى الأستاذ "عطسة" لم يزرع بثور الجدرى هذه في وجهه من أجل أن يكون مميزاً، لقد أصيب بالجدرى في ذراعه وكان يعتقد أنه سيظل في ذراعه فقط، ولكن لسوء الحظ انتقل إلى وجهه أيضاً، وكان وقتها صغيراً، لم يفكر في أن يكون جذاباً للفتيات كما يحدث الآن، ولذلك كان يحك بثور وجهه كثيراً لشعور برغبة شديدة في الحك، فلقد كان يشعر كأنها بركان انفجر وخرجت منه حمم سالت فوق وجهه، ففسد وصار دميماً، وكان يقول لزوجته متفاخراً بنفسه:

"قبل أن أصاب بالجدرى كنت فتى وسيماً جداً، لدرجة أن الأجانب الذين يذهبون إلى معبد أساكوسا لمشاهدته كانوا ينشغلون عن مشاهدة المعبد بالنظر إلى".

وربما كان هذا حقيقياً، ولكن للأسف لا يوجد دليل يؤكد كلامه هذا.

وبصرف النظر عن ميزته هذه أو نصائحه وتحذيراته للتلاميذ الناتجة عن بثور الجدرى، فإن الشخص الديميم، وجهه قدر، ولذلك منذ بدأ سيدى الأستاذ "عطسة" يتخطى مرحلة الطفولة ويعى ما يحدث في الحياة، شعر بالقلق الشديد من تلك البثور، فحاول التخلص منها بطرق شتى، سواء بالضغط

عليها بأصابعه، أو بطرق أخرى، إنها ليست مثل محمل الطبيب المسن، المحمل ممكن تغييره بوسيلة انتقال أخرى وقتما تشاء، ولكن هذه البثور لا يمكن التخلص منها مهما كنت تكرهها وتريد التخلص منها، إنها ما زالت باقية بوضوح حتى الآن، وكان يبدو عليه وهو يسير ذهابًا وإيابًا إلى أي مكان أنه قلق بشأنها وأنها تشغل حيز تفكيره، فكان يحصى كم شخصًا قابله كان مصابًا بتلك البثور، وكم عدد الإناث، وكم عدد الذكور، وأين قابلهم، في سوق "أوجاوا ماتشي"، أو حديقة "أوينو"، ثم يدون كل ذلك في مذكراته اليومية.

وكان سيدي الأستاذ "عطسة" يثق بأنه الأكثر معرفة عن شخص آخر بالنسبة إلى ما يتعلق بموضوع بثور الجدري ويفتخر بمعرفته هذه، ومنذ عدة أيام قابل صديقًا له كان عائدًا من أوروبا فسأله:

"هل يوجد في أوروبا من لهم بثور جدري في وجوههم؟"

فحنى الصديق رأسه ثم قال:

"يوجد من لهم بثور في وجوههم! دعنى أفكر."

ثم بعد تفكير قال:

"نادرًا ما يوجد شخص مصاب بالبثور."

فسأله الأستاذ "عطسة":

"هل هذا يعنى أنه يوجد ولكن عددهم قليل؟"

فأجابه بوجه يبدو عليه الحرج كأنه لا يريد الإجابة:

"القليل جداً، ولكن إما متسولين أو حمالين، لا يوجد منهم المتعلم".
فقال الأستاذ "عطسة":

"وهذا اختلاف بين اليابان وأوروبا".

وبناءً على نصيحة صديقه الفيلسوف قرر سيدي الأستاذ "عطسة" أن يتراجع عن الشجار مع مدرسة "قصر السحب الساقطة"، ثم دخل مكتبته وجلس يفكر في نصيحة صديقه الفيلسوف، فربما يكون قد قرر أن يتدرب على اكتساب روح السلبية، كي لا يفكر في الشجار مع تلك المدرسة، وفي الأصل هو إنسان ضيق الأفق، وكان يعقد ساعديه أحدهما فوق الآخر ويطيل التفكير بعض الشيء، وهذا يبشر بعدم الوصول إلى نتيجة جيدة، وأنا أرى أن الأفضل له أن يرهن كتبه الإنجليزية عند مُرابٍ، ويأخذ نقود الرهان فيذهب إلى عاملة (راقصة فتاة جيشا)، تعلمه الرقص والغناء، وبما أنه إنسان غير منطقي، فلن يفكر أبداً في الاستماع إلى نصيحة قط مثلي، وعليه فتركته يفعل ما يريد، وابتعدت عنه ستة أيام لم أقرب منه قط فيها.

وجاء اليوم السابع منذ أن تركته يخلو بنفسه، وطبقاً لمذهب "زن"، فإن اليوم السابع من التفكير بعمق وفي هدوء في موضوع ما هو يوم وصول الشخص إلى القرار الصائب، فالיום هو اليوم الذي مفترض أن يصل فيه الأستاذ "عطسة" إلى القرار الصائب، ولذلك سوف يجلس جلسة يوجا، ثم يعلن قراره، وإني لمتشوق جداً أن أعرف ما وصل إليه، هل قرر أن يعيش أم

يموت! فسرت بخفة من الشرفة إلى مدخل حجرة المكتبة كي أستطلع ما يدور داخلها.

ومساحة حجرة المكتبة نحو عشرة أمتار مربعة، وتطل على الناحية الجنوبية، وتوجد داخلها في مكان جميل تسقط عليه أشعة الشمس منضدة كبيرة، وإذا قلت "منضدة كبيرة" فقط فلن تفهم ما أقصد، ما أقصد أنها كبيرة إلى درجة غير عادية، فطولها نحو مترين، وعرضها نحو متر وربع، ومرتفعة جدًا بطريقة لا تتناسب مع الطول والعرض، وطبعًا منضدة بهذا الحجم لا يمكن الحصول عليها جاهزة، بل طلب الأستاذ "عطسة" من نجار بالجوار أن يصنع له طاولة تُستخدم كسرير ومنضدة في الوقت نفسه، وهي بذلك قطعة خشبية نادرة لن تجدها في أي مكان، أما لماذا فكر في اختراع منضدة كبيرة كهذه ولماذا ينام فوقها، سؤال تبادر إلى ذهني، ولكن إذا لم نسأل صاحب الشأن لن نعرف أبدًا، ربما يكون قد تسرع في أخذ قرار دون تفكير جيد ما أدى إلى صنع شيء يصعب استخدامه، أو ربما خياله كمريض نفسي صوّر له وجود علاقة بين المنضدة والسرير كي يكون شيئًا واحدًا، وعلى كل حال فإنها فكرة فريدة جدًا، ولكن عيب هذه الفكرة أنها غير مفيدة، فلقد شاهدته مرة نائمًا على تلك المنضدة وعندما كان يتقلب سقط من عليها في الشرفة، ومنذ حينها توقف عن النوم عليها تمامًا.

وأمام المنضدة وسادة جلوس، صُنِعَ غطاؤها من القطن الخفيف، وقد أصابتها ثلاثة ثقوب بسبب سقوط نار إشعال السجائر عليها، وما بداخل تلك الثقوب من قطن ظهر للعيان،

فهو أسود، وهناك من يجلس فوقها بأدب شديد وظهره ناحيتي، وذلك الشخص كان سيدي الأستاذ "عطسة"، وكان يعقد حزام الروب خلفه ويتدلى طرفا الحزام على كعبي قدميه، ولقد حاولت اللعب بهذا الحزام منذ عدة أيام فجذبتة، فضربت به على رأسي بشدة، ومنذ حينها علمت أنه لا يجب الاقتراب منه أبداً.

ونظرت إليه من الخلف، وقلت لنفسى:

"شئ غريب! هل ما زال يفكر! أم أنه يعمل بالمثل القائل:
الغبي مهما فكر لن يفلح؟"

ثم شاهدت شيئاً ما فوق المنضدة يلمع رغم أن الضوء كان يسقط على عينيّ فلا أستطيع الرؤية، فأغلقت عينيّ عدة مرات، ولكن بعد ذلك تحملت وظللت فاتحاً عينيّ أتأمل ماذا يحدث، فاندعشت من أن هذا الضوء ينعكس على عينيّ من مرآة تتحرك من أعلى المنضدة، فسألت نفسى:

"ما الذى يجعل سيدي الأستاذ عطسة يمسك بمرآة ويحركها يمينا ويساراً في حجرة المكتبة! إن المكان الطبيعى لوجود المرآة هو حوض غسيل الوجه".

وما يجعلنى أقول هذا عن المرآة، أنها المرآة الوحيدة في منزله، ولا توجد غيرها، فهو كل يوم بعد أن يغسل وجهه يصف شعره ويقسمه بفرق، ولذلك ينظر إلى تلك المرآة. وقد يسأل البعض:

"وهل رجل مثل شخص الأستاذ عطسة يهتم بشعره لدرجة أن يفرقه؟"

"في الواقع هو يهتم بكل شيء يفعله ما عدا شعره، فهو يهتم به جداً"، فمنذ أتيت للإقامة في هذا المنزل لم أشاهد سيدي الأستاذ "عطسة" قط قد حلق شعره قصيراً، حتى في أيام الحر الشديد لا يفعل ذلك، فهو يقص القليل جداً منه، ثم يقوم بعمل فرق في الناحية اليسرى، ثم يقوم بإرجاع مقدمة شعر الجهة اليمنى إلى الخلف، وربما يكون هذا دليل آخر على أنه مريض نفسى، فشعره مصفف بطريقة حديثة جداً لا تتناسب مع منضدته القديمة وغريبة الطراز، إلا أنه لا يسبب أى ضرر لمن حوله بإحضار المرأة إلى المكتبة، ولذلك لا يتذمر أحد من ذلك، بجانب أنه يشعر بالرضا عندما يفعل ذلك، إذًا فليفعل ما يريد".

ولنترك شعره المصفف بطريقة حديثة، ونتكلم عن السبب وراء تركه شعره يطول إلى درجة كبيرة. في الحقيقة أن بثور الجدرى لا تغطي كل وجهه فقط، بل تغطي كل رأسه حتى أعلاه، ولذلك إذا قص الشعر قصيراً جداً كما يفعل غالب الناس سوف تظهر البثور من بين منبت الشعر، ومهما حاول إخفاءها سواء بتصفيف الشعر بالمشط بطريقة تجعل الشعر يغطيها فيخفيها عن الرؤية، أو بالضغط على الشعر باليد كي يغطيها فيخفيها عن الرؤية- لا ينجح ذلك، وإنها تركها مثل ترك يراعات مضيئة في صحراء، ربما تكون جميلة الشكل، ولكنها لا تعجب زوجته، ولذلك يحب أن يطيل شعره كي يخفيها حتى لا يعرض نفسه للنقد، ولو كان يستطيع أن يجعل شعر

رأسه ينمو في الوجه لجعله ينمو ويصبح طويلاً كي يخفى بثور وجهه لفعل، بجانب أنه لا يرى أهمية لحلق شعره بمقابل لأنه نبت دون مقابل، وهذه هي الأسباب التي جعلته يطيل شعره، وهذا أدى إلى سبب أن يفرقه كي يخفى على قدر ما على رأسه ووجهه من بثور، وهذا أدى إلى أن يأتي بالمرآة من على حوض غسيل الوجه إلى مكتبته، وهذا يبين حقيقة أنه لا يملك إلا مرآة واحدة.

المرآة التي يفترض أن تكون على حوض غسيل الوجه، وهي الوحيدة في المنزل لا يوجد غيرها، أتت إلى حجرة المكتبة، فهل أصاب المرآة مرض السير في أثناء النوم فجاءت بمفردها! أكيد أتى بها سيدي الأستاذ "عطسة"، ولكن من أجل ماذا؟

ربما تكون أداة مهمة للتدرب على أن يكون سلبياً، وقديماً جاء عالم إلى راهب مشهور يسأله عن "كيفية الوصول إلى الطريق المستقيم في الحياة"، فوجده قد خلع ملابس نصفه العلوى وانهمك في نحت الفخار، فسأله:

"ماذا تفعل؟"

فقال الراهب:

"أنا أجتهد في النحت الآن كي أصنع مرآة".

فاندهش العالم من كلامه فقال له:

"مهما كنت راهباً عظيماً فلن تستطيع صنع مرآة من الفخار".

فكركر الكاهن ضحكًا وقال بسخرية:

"إذًا سأتوقف عن النحت، ولكن ما فائدة أن يقبع عالم في صومعة يقرأ الكتب، ولا يستفيد منها في معرفة كيفية الوصول إلى الطريق المستقيم في الحياة! لا فائدة من محاولة صنع مرآة من الفخار ولا فائدة من قراءة الكتب وعدم الوصول إلى معرفة كيفية الوصول إلى الطريق المستقيم في الحياة".

ربما يكون الأستاذ "عطسة" قد سمع هذا الكلام، فيقلد ما سمعه، فهو يقرأ كتبًا ولا يستفيد منها مثل ذلك العالم، والمهم أنه أتى بالمرآة من فوق حوض غسيل الأيدي ووضعها أمام وجهه وظل ينظر فيها، ولقد شعرت في أثناء مراقبتي لتصرفاته أن الوضع سيصبح خطرًا.

وهكذا ظل سيدي الأستاذ "عطسة" -الذي لم يتنبه لمراقبتي له- يمسك بالمرآة الوحيدة في منزله وينظر فيها باهتمام بالغ، وفي الأصل فإن المرآة شيء كريه، ولكن وصل الأمر إلى أنه كان يشعل شمعة ويسهر إلى منتصف الليل وحيدًا في هذه الحجرة الواسعة ينظر في المرآة، وهذا تصرف يحتاج إلى جرأة غير عادية، فبالنسبة إليّ، عندما جئت إلى هذا المنزل وأحضرت ابنة الأستاذ "عطسة" مرآة ووضعها أمام وجهي، وكانت تلك المرة هي المرة الأولى التي أشاهد فيها مرآة، قفزت من الدهشة لدرجة أنني أخذت ألف حول الحجرة ثلاث مرات، وأن يظل سيدي الأستاذ "عطسة" طوال اليوم ينظر باهتمام شديد إلى وجهه في المرآة شيء مخيف، لا يستطيع شخص آخر فعله، فكيف ينظر

إلى وجهه طويلاً رغم أن وجهه دميم لا يتحمل أحد النظر إليه حتى لحظة واحدة!

ثم مر وقت قليل وإذا بسيدى الأستاذ "عطسة" يقول وهو ممسك بالمرآة:

"فعلاً وجه قبيح".

ولقد شعرت بالتقدير والاحترام له أن يعترف بقبح وجهه، تصرفاته تشير إلى الجنون ولكن أقواله تشير إلى الحقيقة والعقل، وإذا ظل يفكر بهذه الطريقة سوف يشعر بالرعب بسبب قبح وجهه، فإذا لم يشعر الإنسان من أعماقه بأنه كائن شرير ومرعب لن يشعر بالمعاناة، وإذا لم يشعر بالمعاناة لن يفكر في طريقة للخلاص من تلك المعاناة، وإذا توصل سيدي الأستاذ "عطسة" إلى هذه الحقيقة، فمفترض أن يقول:

"ما هذا؟ إنه وجه مرعب".

ولكن لم يقل ذلك.

بل قال:

"وجه قبيح".

ثم نفخ في فمه هواءً فتضخمت وجنتاه، فضربهما بيديه عدة مرات، ولكنى لم أفهم لماذا فعل ذلك، ولكنى عندما شاهدت وجنتيه المنتفختين خطر على بالي أن وجهه منتفخ الوجنتين هذا يشبه شيئاً ما، وأخذت أفكر جيداً إلى أن توصلت إلى ما يشبهه، إنه يشبه وجه الخادمة "أوصن".

وبهذه المناسبة سوف أحدثكم قليلاً عن وجه الخادمة السيدة "أوصن"، إن لها وجهًا منتفخًا جدًّا، فمنذ عدة أيام مضت أحضر شخص ما مصباحًا على شكل "السمكة المنتفخة" من منطقة "أنامورى إينارى" بطوكيو، ووجه الخادمة يشبه تمامًا شكل تلك السمكة، ولأن وجهها منتفخ جدًّا فلم تعد تمكن مشاهدة عينيها.

والسمكة المنتفخة منتفخة تمامًا من جميع الجوانب كالكرة الدائرية ولا تحتوى على أى بروز، ولكن وجه الخادمة ممتلئ بالبروزات بسبب هيكل الوجه الممتلئ بالعظام، فوجهها منتفخ فى أماكن وفيه بروز عند أماكن وجود العظام، كأنه مثل منبه على شكل له ست زوايا، وإذا سمعت الخادمة هذا الكلام ستغضب بشدة، ولذلك سوف أتوقف عن وصف وجهها عند هذا الحد وأعود إلى الكلام عن سيدى الأستاذ "عطسة"، فقد أغلق فمه ونفخ هواءً شديدًا داخل فمه، فانتفخ الوجه، ثم لطم وجنتيه بكلتا يديه وقال موجهاً الحديث لنفسه:

"إذا تمددت بشرة الوجه هكذا، فلن يستطيع أحد رؤية البثور".

ثم أدار وجهه وجعل المرأة تُظهر الجانب الأيسر للوجه، ثم قال:

"النظر إلى جانب الوجه يُظهر البثور بوضوح شديد، أفضل رؤية الوجه من الأمام، لأن البثور لا تُرى بوضوح إذا كانت الرؤية من الأمام، شئ عجيب!"

ثم أبعد المرأة التي كان يقبض عليها بيده اليسرى بعيداً إلى الخلف قدر المستطاع كي يرى الوجه من بعيد، ثم قال:

"إذا نظر الناس إلى من بعيد، لا يظهر شيء غريب، المشكلة في النظر إلى من قريب جداً، فيجب أن أتجنب القرب الشديد من الناس."

ثم أضاف كأنه صار حكيمًا:

"ولكن هذا الكلام لا ينطبق على الوجه فقط، بل ينطبق على كل شيء."

ثم فجأة، أدار المرأة إلى الناحية الأفقية، ثم ركّز على مؤخرة الأنف التي بين العينين والجبهة والحاجبين معًا، ثم ركّز على العينين والجبهة والحاجبين معًا، فوجد أن كل هذه أشياء منظرها غير مريح، فتوقف بسرعة عن النظر إليها عندما اكتشف ذلك وقال:

"لماذا وجهي عكّر هكذا!"

ثم وضع المرأة بالقرب من عينيه، على بُعد مسافة ١٠ سنتيمترات، ثم مسح برأس إصبع السبابة اليمنى فوق جانب أنفه، ثم غرسه في ورقة تمتص السوائل، فطفت بقعة زيتية على الورقة، إنه يفعل أشياء غريبة كأنه ساحر، ثم أمسك بالجفن السفلى لعينه اليمنى وقلبه على ظهره بمهارة فائقة، ثم قال:

"تبًا لك."

ولا أعرف إذا كان يقوم بعمل بحث عن البثور أم يتشاجر مع المرأة، إنه يفعل أشياء لا يمكن تفسيرها، لأنه إنسان ملول بطبيعته ولذلك ينتقل من فعل شيء إلى فعل شيء آخر بسرعة. وبصرف النظر عن وصف كل ما يفعله، لكن لو حاولت إيجاد أى مبرر لتلك التصرفات، حتى إن كان مبرراً غير منطقي، فسوف أقول إنه ربما السبب في أنه يمسك بالمرأة بيده ويوجهها إلى نفسه ويقوم ببعض الحركات، أنه يحاول أن يكتشف نفسه، يحاول أن يعرف حقيقة ذاته.

وجميع البحوث التي يقوم بها الإنسان يهدف في الأصل إلى أن يبحث الإنسان عن ذاته، فالبحوث عن الأرض والسماء والجبال والأنهار والشمس والقمر والأبراج، لا تزيد عن كونها بحوثاً عن الإنسان بطريقة غير مباشرة، فلا يمكن لأى إنسان أن يبحث شيئاً ليست له أى علاقة بالبشر، فلو استطاع الإنسان أن ينسلخ عن نفسه، ففي اللحظة التي ينسلخ فيها عن نفسه سوف تموت نفسه، وفوق ذلك لو لم يبحث الإنسان عن نفسه فلن يجد كائنات أخرى تبحث له ذاته، حتى لو حاول الإنسان إيجاد كائنات أخرى تبحث له نفسه فلن يجدها، ولذلك فإن البشر العباقرة الذين ظهروا قديماً، صاروا عباقرة لأنهم اعتمدوا على أنفسهم، فإذا كنت تعتقد أنه يمكن أن تعتمد على الآخرين في معرفة ما تريد أنت، فاعتمد على الآخرين في أن يأكلوا لك طعام اللحم الخاص بك ويخبروك إذا كان طرياً أو جامداً.

وإن قراءة الكتب عامة وقراءة الكتاب المقدس صباحًا، والتفكير في الطريق إلى الإله ليلاً، ما هي إلا وسائل يستخدمها الإنسان كي يعتمد على نفسه في فهم نفسه، فلن تجد نفسك وسط كتب قديمة وكثيرة تكفى لتحملها في خمس سيارات حمولة وعلى وشك أن تأكلها الحشرات، كتب تتحدث عن تعاليم الكتاب المقدس وتفسير الحلال والحرام، بل ستجد روح الإنسان الذي كتبها، وأحيانًا سيكون وجود روح إنسان أفضل من عدم وجود روحه، فإن الظل دليل على وجود الأصل، وإن الظل الكثيف غالبًا لا يبتعد عن الأصل، وبناءً على ما سبق فنستطيع القول إن معنى انشغال سيدي الأستاذ "عطسة" بالنظر إلى المرأة، أنه يتحدث مع نفسه كي يكتشفها، وإن ما يقوله سيدي الأستاذ "عطسة" أكثر فهمًا من الذي يقوله الفيلسوف اليوناني "أبكتيتوس".

وإن كانت المرأة أداة تُظهر لك عيوبك، فهي أيضًا كما هو معروف أداة تجلب الغرور، فإذا كنت تريد أن تشعر بما ليس فيك من محاسن، فلن تجد أداة أفضل من المرأة تحقق لك تلك الرغبة، وإن ثلثي الثقة بالنفس الزائدة التي تؤدي إلى أن يؤذى الشخص نفسه ويؤذى غيره تحدث بسبب المرأة.

وفي أثناء الثورة الفرنسية، كان يوجد طبيب فرنسي محب لعمل الأشياء الغريبة، فقد اخترع مقصلة جديدة، وهو بذلك قد فعل شيئًا سيئًا، وإن من اخترع المرأة كان مثل الطبيب الفرنسي، ولذلك أكيد أنه لم يكن يستطيع القيام من النوم صباحًا لسوء ما فعل، وعندما يشعر الإنسان بحبه لنفسه أو

كرهه لها، فليس هناك أيسر من النظر في المرأة، فيتضح له جليًا الجمال أو القبح، المرأة تعكس الجمال أو القبح، وعندما تشاهد شخصًا مثل سيدي الأستاذ "عطسة"، سوف تقول لنفسك في دهشة:

"عجيب أن يعيش شخص مثل ذلك إلى يومنا هذا، وإنه يجب أن يحمد الإله لأنه حي يُرزق حتى الآن".

وليس هناك مشهد أفضل من مشهد غبي يعترف بغبائه، ويجب علينا أن نقف أمام الغبي الذي يعترف بغبائه منحنيي الرؤوس بأدب جم. صحيح أن سيدي الأستاذ "عطسة" يضحك جدًا على كسخرية، ولكنى أحنى رأسي له جدًا، ومع ذلك فمستوى ذكائه لم يصل إلى حد أن يفهم بنفسه أنه غبي، ولكنه استطاع أن يلاحظ أن وجهه ممتلئ ببثور ليست في وجوه الآخرين، ومفترض أن معرفته بأنه دميم الوجه تصير دليلًا لمعرفته ما في داخله، عمومًا هناك أمل أن يفهم، وأكد أن ما حدث له من محاولة تأمل ذاته جاء نتيجة حوار مع صديقه الفيلسوف.

وفي حين كنت أفكر في تصرفات سيدي الأستاذ "عطسة" الذي لم يكن قد لاحظ وجودي خلفه حتى الآن، نظرت جيدًا إليه فوجدته بعد أن نظر جيدًا إلى عينيه وإلى الجفن من الداخل قال:

"وجهي يوحى بأن ضغط دمي مرتفع جدًا، أكيد أنه مرض التهاب الملتحمة (احمرار العين) سبب ذلك الحساسية".

ثم أغلق عينيه وبدأ في دعك جفن العين الأحمر بسبب ارتفاع ضغط الدم بمقدمة أصبع السبابة، أكيد أنه يشعر برغبة شديدة في حك جفن العين، وحتى لو حك العينين الحمرأوين فلن يفيد ذلك في شيء، وعندما تنظر إليه عن قرب تشعر بأن عينيه مثل عيني سمكة مبروكة الفاسدة، وأخيراً فتح عينيه ونظر في المرأة، فهل أتر دعك الجفن إيجابياً على العين! لقد كان منظر عينيه مثل منظر سماء شمال اليابان المليئة بالغيوم، لم تكن عيناه صافيتين مثلما تكونان في الأيام العادية، ولو استخدمت الصفات الدالة على المبالغة سوف أقول إن منظرها يدل على "الاختلاط"، فسواد وبياض العين قد اختلطا، ولم تعد ممكنة التفرقة بينهما، وكما أن شخصيته غير واضحة المعالم، فإن عينيه من داخلهما إلى خارجهما أيضاً تأثرتا بشخصيته فصارتا غير واضحتي المعالم، ذواتي ألوان مختلطة لا تستطيع التفرقة بينها. البعض يقول إن ذلك بسبب الإكزيما (التهاب الجلد)، والبعض يقول إن ذلك بسبب بثور الجدرى، والبعض يقول إن ذلك بسبب أدوية مصنوعة من حشرات أشجار السرو والضفادع البنية التي كان يتناولها منذ طفولته لعلاج نوبات تشنج، وهذا يدل على أن أمه كانت تحبه من أعماق قلبها وتحاول علاجه بطرق شتى، ولكن للأسف فشل العلاج واستمر مرضه منذ الطفولة حتى يومنا هذا.

وأنا شخصياً أعتقد داخل نفسي أن حالة اختلاط ألوان العين التي يعاني منها سيدى الأستاذ "عطسة" ليست بسبب الإكزيما (التهاب الجلد) أو بسبب الجدرى، ظاهرياً إن ما يعانيه هو

شروء وعدم تركيز وعدم وضوح وبطء في الفهم وهذا يؤدي إلى شعوره بالحزن، وباطنيًا فذلك ناتج عن التركيب العضوي لمخه، فالتركيب العضوي لمخه ينقصه ما يشير إلى الوضوح والشفافية، وكان ذلك له تأثير سلبي فقد أوصله إلى قمة الإحباط، وطبيعي أن يظهر ذلك على هيئة أعراض ظاهرية، ولكن أمه لم تعرف ذلك، ما جعلها تعاني بشدة في محاولة علاجه.

وكما أن وجود دخان دليل على وجود نار، فإن اختلاط لوني العين يدل على الغباء، وهما أن عينه نافذة لما في عقله، ومثلما توجد عملة معدنية (مخرومة)، يوجد عقل (مخروم)، فعقل سيدي الأستاذ "عطسة" (مخروم)، وهذا جعله غبيًا، وبالتالي لا يستطيع التمييز بعقله بين الجيد والسيئ.

ثم بعد ذلك بدأ في مداعبة شاربه، وفي الأصل كان شكل شاربه سيئًا، فقد ترك كل خصلة شعر تنمو كما يحلو لها، دون أن يقوم بالتنسيق بين خصلات الشعر، وإن كنا في عصر حرية، يفعل كل فرد ما يراه، لكن ذلك أيضًا قد يجلب المتاعب له، ولقد استفاد من تربيته العشوائية لشاربه، فقد بدأ في الفترة الأخيرة يصحح مسار تربيته، فبدأ يبذل مجهودًا في تنسيقه بطريقة جيدة، ولم يذهب مجهوده سدى، بل صار شاربه منسقًا إلى حد ما، وإلى وقت قريب كان يجب أن يقول إن شاربه نما طبيعيًا، ولكن الآن يستطيع أن يفتخر بشاربه ويقول إنه "أطاله"، فمجهوده أدى إلى درجة النجاح في تنسيق شاربه، وجعل قلبه يخفق فرحًا أن شاربه له مستقبل مبشر، ولذلك صباحًا ومساءً يبذل مجهودًا من أجل الاعتناء به وتنسيقه.

ونبع طموحه في امتلاك شارب عظيم يدل على العظمة من إمبراطور ألمانيا الذي له شارب عظيم يدل على عظيمته، ودون تفكير ولو حتى قليلاً في إذا كانت فتحة أنفه متجهة إلى أسفل أو متجهة إلى الجانب، يمك حفنة من شعر الشارب ويرفعها دون تنسيق إلى أعلى. أكيد أن شاربه يعاني من فعل ذلك، وصاحب الشارب أيضاً، أقصد سيدي الأستاذ "عطسة" يشعر بالألم من فعل ذلك، وهنا تأتي أهمية التكرار في عمل الشيء، فهو يرفع خصلات الشعر سواء استجابت للرفع أم لا، ومن لا يفهم جيداً في تربية الشارب سوف يعتقد أن فعل ذلك تصرف غريب، ولكن من يفهم جيداً في تربية الشارب يعرف أن ذلك أمر عادي ويأتي بنتيجة جيدة، وهذا مثل أستاذ يقسو على تلامذته من أجل أن يتفوقوا، فيقول لهم: أريد أن تتفوقوا وتصبحوا مثلي كي أفخر بكم، وبالتالي لن يجد أحداً ينتقد قسوته.

وفي حين كان سيدي الأستاذ "عطسة" منهمكاً بشدة في رفع طرفي شاربه إلى أعلى، إذا بالخدمة "أوصن" ذات الوجه المنتفخ تقول:
"وصلت هذه الرسائل البريدية".

ومدت يدها الحمراء داخل حجرة المكتبة ووضعتها في المدخل، فالتفت إليها سيدي الأستاذ "عطسة"، وكان ممسكاً بشاربه بيده اليمنى، وبالمراة باليد اليسرى، فنظرت إليه الخادمة "انتفاخ" نظرة سريعة وهو يرفع طرفي شاربه إلى أعلى ثم عادت بسرعة إلى المطبخ، وانكفأت على غطاء إناء الطهو وانفجرت تقهقه ضحكاً، ولكن ذلك لم يؤثر في سيدي

الأستاذ "عطسة"، فظل هادئًا كما كان، ثم بهدوء خفض المرأة ورفع الرسالة الأولى، وكانت مكتوبة بحروف مطبوعة وبطريقة رسمية جدًا، فقرأ:

"عزيزي أتمنى أن تكون معاليك في أسعد حال

بنظرة إلى الوراء، نجد أن الجيش الياباني استطاع الانتصار على الجيش الروسي في جميع المعارك، وبذلك عاد الوضع إلى السلام كما كان من قبل، وبالإخلاص والشجاعة استطعنا الدفاع عن الحق، وهتفنا تحيا اليابان، وعزفنا أناشيد النصر، وجعلنا الشعب يسعد سعادة ما بعدها سعادة.

ومنذ أن أعلن الإمبراطور الحرب، قمنا نحن الجنود والضباط بالذهاب إلى الصين البعيدة وتحمل البرد القارس وشاركنا في الحروب بشجاعة من أجل الدفاع عن الحق، ولا نستطيع نسيان من ضحوا بحياتهم من أجل ذلك، فنحن نتذكرهم إلى الأبد.

وسوف يعود الجيش بكامله نهاية هذا الشهر، ولذلك سوف نقيم احتفال النصر يوم ٢٥ من هذا الشهر للجنود والضباط الذين يعيشون في هذا الحى وعادوا من الحرب، احتفالاً بعودتهم بالنصر، وكذلك لتكريم ومواساة أسر عائلات من استشهدوا في تلك الحروب.

ويسعدنا أن تتعاونوا معنا من أجل إقامة هذا الاحتفال، وذلك بأن تبرعوا من أجل تحقيق هذا الهدف.

وتفضلوا بقبول فائق التقدير"

وكانت الرسالة مذيّلة بتوقيع عائلة الأمراء. وبعد أن قرأها سيدي الأستاذ "عطسة" في صمت، أعادها بسرعة إلى المظروف وتجاهل الأمر، واضح أنه لن يتبرع، فهو قبل ذلك بقليل كان قد تبرع بعدة ينات من أجل إغاثة فلاحى شمال شرق اليابان الذين خسروا محاصيلهم بسبب سوء حالة الجو، وبعد ذلك عندما كان يقابل أى شخص كان يشكو ويقول بطريقة مبالغة: "لقد أخذوا منى تبرعاً".

رغم أن التبرع برضا النفس وليس أخذًا بالضغط أو سرقة، وعليه فإن كلمة "أخذوا" غير مناسبة، ورغم أنه تبرع وليست سرقة فإن سيدي الأستاذ "عطسة" يعتقد أنه ليست له علاقة بذلك، وأن التبرع سرقة، وبدا عليه أنه غير مهتم بالترحيب بالجيش ولا أن الدعوة من عائلة الأمراء، ولا أنها دعوة رسمية بحروف مطبوعة لا يحصل عليها أى شخص وتوجب الفرحة والمشاركة، ولكن من وجهة نظره أنه يجب أن تتم الحفاوة به قبل الحفاوة بالجيش، وإذا حدث ذلك فهو مستعد للحفاوة بالآخرين، ولكنه يريد أن تحتفى به عائلة الأمراء من الصباح إلى المساء ويتحملوا جميع نفقات حفاوته.

ثم أخذ الأستاذ "عطسة" الرسالة الثانية وقال:

"هذه أيضًا مكتوبة بخط مطبوع".

وكان محتواها الآتى:

مكتبة ياسمين

أتمنى أن تكون في أفضل حال، وخاصة أن الجو الآن خريفي بارد.
وكما تعلم سيادتكم أن مشروع إعادة إنشاء مباني
مدرستنا، الذي بدأ منذ ثلاثة أعوام، قارب على الانتهاء، وأن
التأخر في إعادة الإنشاء جاء نتيجة قلة خبرتنا، ونحن نشعر
بتأنيب الضمير، وأخيراً استطعنا تدبير المال اللازم كي نحقق
حلمنا هذا.

ولقد كتبت كتاباً بعنوان أسرار فن التفصيل، وتطلب ذلك
معاونة في البحث والدراسة لسنوات طويلة، كي ألتزم بالأسس
الراسخة في ذلك الفن، فلقد كتبته بدمى، إنه عصير عقلي، من
أجل فائدة الأسرة، وأضفت ربحاً قليلاً جداً فوق ثمن طباعته،
كي يكون متاحاً للأغلبية، وكي أساهم في تطوير هذا الفن، وفي
الوقت نفسه أنوى التبرع بالربح للمساهمة في إعادة إنشاء
مدرستنا.

وأرجو ألا أزعج سيادتكم عندما أقول: ألتمس من
سيادتكم شراء هذا الكتاب كتبرع من أجل الإسهام في إعادة
بناء المدرسة، وإعطائه للخادمة كي تقرأه أو لمن ترون أنه
سيكون مفيداً له.

مع تحياتي وأنحنى لك سبع مرات احتراماً

المعهد الثانوي للتفصيل

مدير المعهد

نويضا شنصكو

ونظر الأستاذ "عطسة" بطريقة باردة إلى هذه الرسالة المكتوبة بأسلوب محترم جدًا، ثم طبقها وألقاها في سلة المهملات.

للأسف ضاعت توصلات السيد "نويضا شنصكو" وجهده المضمنى هباء دون فائدة.

ثم اتجه إلى الرسالة الثالثة، وكان منظر المظروف مختلفًا تمامًا عن مظروفي الرسالتين الأولى والثانية، فقد كان مطليًا باللونين الأحمر والأبيض، مثل يافطة الدعاية للمصاصة، وفي الوسط كُتب "سيدي الأستاذ" بخط سميك ومموج. شكل المظروف من الخارج جذاب جدًا لا يتناسب مع رسالة، كأن في داخله صورة لطفلة جميلة سوف تجلب الحظ الجيد لمن يفتحه. وكان محتوى الرسالة الآتي:

لو استطعت أن أتحكم في الدنيا، لشربت ماء نهر سوجانج الصينى كله، ولكن لو تحكمت الدنيا في فسوف أكون كالقمامة الملقاة في الشوارع، وتصير القضية بينى وبين الدنيا وبين الشوارع.

يجب أن نقدر الشخص الذى يأكل للمرة الأولى حيوان خيار البحر، على شجاعته في فعل ذلك، وكذلك الشيء نفسه بالنسبة إلى من يتناول لحم السمكة المنتفخة، من يأكل خيار البحر سوف تأتي روح الراهب الراحل شنزان لتسكن جسده، ومن يأكل السمكة المنتفخة سوف تأتي روح الراهب الراحل نتشى ران لتسكن جسده، أما بالنسبة إليك يا أستاذي، فأنت

تأكل اليقطين المجفف وبطعم الخل، وأنا لم أشاهد شخصاً في هذه الدنيا كلها يفعل ذلك إلا أنت.

طبيعي أن يبيعك أعز أصدقائك، وألا يهتم بك والداك، وأن تتركك حبيبتك، وألا تصير غنياً، وأن تفقد الراتب والوضع الاجتماعي في أي لحظة، وأن يصير العلم الذي تخرجه داخل عقلك عفناً، بلا قيمة أو فائدة.

على من تعتمد كي يحقق لك أمنياتك؟ هل تعتقد أن الدنيا سوف تحقق لك أمنياتك؟ هل الإله من سوف يفعل لك ذلك؟ الإله لا يزيد عن كونه دمية صنعها الإنسان في خياله المريض، إنه جيفة نتجت عن تجمد براز الإنسان في لحظة، لا يجب أن تشعر بالراحة إذا اعتمدت على الإله، لأنه لا يُعتمد عليه.

يصيح ويسكر ويقول كلاماً مشكوكاً في صحته، ثم يترنح ويسقط تجاه القبر، ينتهي وقود المصباح وينطفئ النور، ماذا سوف تأكل بعد أن ينتهي عملك، خذ قسطاً من الراحة وتناول الشاي الأخضر يا أستاذ.

إذا لم تشاهد البشر بشراً فلا خوف منهم، من لا يرى البشر بشراً لا يجب أن يغضب أنه يعيش في عالم يجد فيه نفسه ليست نفسه، فالصفوة يصيرون صفوة لأنهم لا يعتقدون أنفسهم بشراً عاديين، ولكن عندما يجد الشخص نفسه ليست نفسه، يثور فيظهر ذلك على لون وجهه، اترك لون وجهك يعبر عما بداخلك أيها الغبي.

لو بشر يعتقد أنه بشر، ولو بشر يعتقد أن نفسه ليست
نفسه، فسوف ينزل من السماء بسرعة من يشكون من ذلك،
وهذه الشكوى السريعة اسمها ثورة، والثورة ليست بسبب
من يشكون، بل تصنعها الصفة عن رغبة. يوجد نبات
الجنسج بكثرة في كوريا، فلماذا لا تأكل منه!

مع تحياتي وانحاء لك مرتين احترامًا

المرسل

تنضو كوهيه

من مستشفى سوجامو للأمراض النفسية

كتب "نويضا شنصكو" في نهاية رسالته أنه ينحنى تسع
مرات احترامًا لسيدى الأستاذ "عطسة"، ولكن هذا الرجل
المسمى تنضو كوهيه كتب أنه ينحنى لسيدى الأستاذ "عطسة"
مرتين فقط، ينحنى مرتين فقط لأنه لا يطلب تبرعًا، يا له من
متكبر ومغرور، جميل أنه لا يطلب تبرعًا، ولكن المشكلة أنه
يصعب جدًا فهم ما كتبه، ويمكن أن يرسله إلى أى مجلة للنشر،
سوف تكون له قيمة كبيرة للنشر في باب القراء، وتوقعت
أن يقوم سيدى الأستاذ "عطسة" المشوه الذهن أن يمزق هذه
الرسالة إلى قطع صغيرة جدًا، ولكنه لم يفعل ذلك، بل أخذ
يقرأها، وبعد أن ينتهى من قراءتها، يعيد قراءتها مرة أخرى،
رهبًا يعتقد أن ما كتبه ذلك الرجل له دلالة، وعليه قرر أن
يقرأها مرة تلو الأخرى حتى يصل إلى هذه الدلالة، أكيد أن ما

لا نفهمه في هذه الدنيا كثير، ولكن لا يوجد حتى ولو معنى واحد تستطيع فهمه من هذه الرسالة، مهما كان الكلام صعبًا، لو كانت عندك الرغبة في أن تفسره، سوف تفسره بسهولة جدًا، ولا أعرف إذا كان الإنسان غبيًا أو ذكيًا، لأنه يستطيع تفسير الكلام الصعب في وقت قصير، وعلى كل حال، إذا كان الإنسان كلبًا أو خنزيرًا، فليس ذلك موضوعًا يقلقني، فإذا كان الجبل منخفضًا، فليس هناك ما يقلقني أن يكون منخفضًا، وإذا كان الكون ضيقًا، فلا توجد مشكلة أنه ضيق، وإذا كان الغراب أبيض أو السيدة "قوماتشي" ليست جميلة، أو سيدي الأستاذ "عطسة" مهذبًا، فلا توجد مشكلة، ليست مشكلة أن تكون الرسالة غير مفهومة ولغتها لا تدل على أي معنى، إلا إذا كانت عندنا أسباب تجعلنا نريد أن نعتبرها تعبر عن معنى، فسوف نجد أن لها معنى وسوف نعتبر لغتها مفهومة، وطبيعي لسيدي الأستاذ "عطسة" الذي لا يعرف اللغة الإنجليزية ومع ذلك يضع معاني غير منطقية لمصطلحات اللغة الإنجليزية، أن يضع معنى لمحتوى هذه الرسالة.

إن سيدي الأستاذ "عطسة" رجل غريب التصرفات. سأله مرة تلميذ:

"لماذا يجب أن نقول Good morning في حالة إذا كان الجو سيئًا؟"

فظل يفكر في إجابة عن هذا السؤال لمدة سبعة أيام. ومرة أخرى سأله تلميذ:

"كيف نقول كولومبوس Columbus باللغة اليابانية؟"

فضل ثلاثة أيام بثلاث ليالٍ يفكر في اختراع إجابة عن هذا السؤال. إنه الوحيد الذى يضع خلاً على اليقطين المجفف ويأكله في هذه الدنيا، ويأكل نبات الجنسج الكورى كي يصير قويًا فيقوم بثورة، إنه الوحيد الذى يجيب الإجابة التى تخطر على باله في الوقت الذى يريده، ويبدو أنه تعامل مع الرسالة مثلما تعامل مع سؤال "Good morning"، فبدا عليه أنه قد توصل إلى استنتاج أن لها معنى، وبدا ذلك جلياً في تعبيرات وجهه الدالة على إعجابه الشديد بنفسه، فقد قال:

"إنها رسالة ذات معنى عميق، أكيد أن كاتبها فيلسوف كبير، آراؤه عظيمة".

ومن تعليقه هذا فهمت أنه سيفكر بطريقة عكسية، فهو معتاد تفسير كل ما لا يفهمه تفسيراً جيداً، وهذا لا ينطبق على سيدى الأستاذ "عطسة" فقط، فعندما لا يفهم الإنسان لا يستطيع السخرية مما لا يفهمه، ولكنه في الوقت ذاته يشعر بجرح كبريائه أنه لم يستطع تحديد معنى الكلام، ولذلك فإن العامة عندما لا يفهمون يتصنعون أنهم فهموا، ولكن العلماء يشرحون ما يفهمون بطريقة غير مفهومة، فمثلاً في محاضرات الجامعة، معروف أن العالم الذى يقول أشياء غير مفهومة يتم تقديره والثناء عليه، وأما العالم الذى يقول أشياء بطريقة سهلة فهمها، فلا يُمدح ولا يُنظر إليه كعالم.

شعور سيدى الأستاذ "عطسة" بالتقدير لما كُتب في هذه الرسالة لا ينبع من أن معناها واضح، ولكن على نقيض ذلك، تقديره لها نابع من أنه لم يفهم المعنى، فجأة دون تمهيد نجد

كلمات مثل "حيوان خيار البحر" أو "القمامة"، فإن السبب الوحيد الذى يجعل سيدى الأستاذ "عطسة" يشعر بالتقدير لهذه الرسالة أنه لم يفهم معناها، وهو بذلك فعل مثلما فعل أتباع المدرسة الفلسفية "الصاوية" الذين يقدرون بشدة الفلاسفة الصينيين الذين ألفوا كتاب "مبادئ فلسفة الصاوية"، الذى يتحدث عن تواءم الإنسان مع الطبيعة، وفعل مثلما فعل أتباع البوذيين بفلاسفتهم الذين ألفوا كتاب "الأبراج السماوية"، وفعل مثلما فعل أتباع زن بفلاسفتهم الذين ألفوا كتاب "إجابات فلاسفة"، ويجيب فيه فلاسفة زن عن أسئلة تلامذتهم، فهؤلاء الأتباع لم يفهموا الكتب التى كتبها فلاسفتهم، ومفترض إذا كان سيدى الأستاذ "عطسة" لم يفهم معنى الرسالة أن يصمت، ولكنه فسرها تفسيراً على هواه ليست له صلة بالمضمون، إنه تصنّع أنه فهم، وتصنّع الفهم فى حالة عدم الفهم عادة ظريفة منذ القديم، وبعد ذلك أغلق سيدى الأستاذ "عطسة" الرسالة بأدب شديد ووضعها فوق المكتب، ثم عقد ساعديه فوق بعضهما وغرق فى عالم الخيال والتأمل.

ثم سمعت صوتاً عاليًا يأتى من مدخل المنزل يطلب السماح له بالدخول قائلاً:

"يا أهل المنزل، يا أهل المنزل".

ويبدو أنه صوت البروفيسور، ولكن الغريب فى الأمر أن البروفيسور ليس من عادته عند دخول المنزل أن يستأذن للدخول، ورغم أن سيدى الأستاذ "عطسة" قد سمع صوته وهو جالس فى مكتبته، فإنه لم يتحرك من مكانه، بل ظل كما

هو يعتقد ساعديه فوق بعضهما ولا يتحرك، فهو يرى أن الرد على من يطرق الباب ليس عمله، ولذلك يجلس في مكتبه ولا يرد على طارق الباب مطلقاً، ولكن الخادمة خرجت منذ قليل لشراء صابون غسيل، وزوجه في دورة المياه، وعليه فمن يجب أن يذهب للرد على طارق الباب؟ أنا فقط، ولكنى لا أريد فعل ذلك، ولكن المدهش أن طارق الباب فتح البوابة دون الحصول على إذن، ثم خلع الحذاء ودخل وفتح كل ما قابله من أبواب داخلية ولم يغلقها بعد دخوله، وسيد المنزل الأستاذ "عطسة" يتصرف كسيد المنزل، أى لم يتحرك، والضيف تصرف كضيف، فقد اتجه إلى حجرة الضيوف، ولكنه بعد ذلك جاء إلى حجرة المكتبة ثم قال:

"أنت! هل تستخف بي! ماذا تفعل! رد على طارق الباب، رد على الضيف".

مكتبتى ياسمين

الأستاذ "عطسة":

"من أنت!"

t.me/yasmeenbook

البروفيسور الفشار:

"أنا! أنا أو غيرى ليست المشكلة، أنت موجود داخل المنزل ولا تجيب طارق الباب، رد، قل أى شيء، لقد اعتقدت أنه لا يوجد أحد في المنزل".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"في الواقع أنا مشغول بالتفكير".

البروفيسور الفشار:

"مشغول بالتفكير! حتى لو مشغول بالتفكير، تستطيع أن تقول تفضل، أليس كذلك! لا يوجد مانع من أن تقول تفضل، أنت كالعادة بارد".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنا أقوم منذ عدة أيام بتدريبات نفسية من أجل إصلاح نفسي".

البروفيسور الفشار:

"أنت تحب عمل الأشياء الغريبة، إذا لم ترد على الضيوف بحجة أنك مشغول بالتفكير في إصلاح نفسك، سوف تجعل ضيوفك يغضبون منك، لا يجب أن تقف ساكنًا هكذا، في الواقع لم آتِ إلى هنا بمفردى، جاء معى ضيف مهم جدًا، اذهب بسرعة فرحب به".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"من ذلك الضيف؟"

البروفيسور الفشار:

"ليس مهمًا معرفة ذلك الآن، المهم أن تخرج في استقباله، لأنه متشوق للقاءك".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"من هو؟"

"قف بسرعة واذهب لتحيته".

فوقف سيدي الأستاذ "عطسة" وهو عاقد ساعديه فوق بعضهما كما كانا من قبل، ثم قال:
"أكيد أنك تستخف بي وتخدعني كالعادة".

ثم خرج إلى الشرفة ومنها دخل حجرة الضيوف دون أن يعد نفسه لمقابلة ضيوف، ففوجئ برجل مسن يجلس في هدوء وبطريقة رسمية أمام ركن الزينة الذي طوله نحو مترين وعرضه نحو نصف متر، حيث اللوحات والزهور.

ودون تفكير أزاح سيدي الأستاذ "عطسة" ساعديه المنعقدين فوق بعضهما ووضعهما على الأرض وجلس بجانب باب حجرة الضيوف، وبذلك يكون وجهه متجهًا ناحية الغرب مثل الضيف، وعليه لا يستطيعان الانحناء لبعضهما كتحية ما داما لا يجلسان وجهًا لوجه.

ولكن كبار السن يحافظون على آداب تقديم التحية بشدة، فأشار الضيف إلى سيدي الأستاذ "عطسة" أن يجلس أمامه في مواجهته، وقال:

"تفضل سيادتكم هنا".

وحتى سنوات عدة سابقة، كان سيدي الأستاذ "عطسة" يعتقد أن الجلوس في أي مكان مع الضيوف داخل حجرة الضيوف أمر عادي، ولكنه بعد ذلك حضر محاضرة عن الأماكن

التي يجب أن يجلس فيها الضيوف، وعلم أن الضيف يجب أن يجلس في المكان الأفضل، والمكان الذي يجب أن يجلس فيه المضيف وهو المكان الأسوأ، ومنذ ذلك الوقت تغير تفكيره ولم يعد يجلس بالقرب من ركن الزينة لأنه المكان الأفضل، وبما أن ذلك المسمن متحجر المخ بالنسبة إلى اتباع العادات والتقاليد، فلم يجلس في أفضل مكان كتواضع، ولم يستطع سيدي الأستاذ "عطسة" تحيته تحية بسيطة وسريعة لأنه يبدو ممن يتبعون التقاليد اليابانية بشدة، ولذلك أحنى سيدي الأستاذ "عطسة" رأسه للضيف وقال له ما قال الضيف له نفسه، فقد قال:

"تفضل سيادتكم هنا".

فقال الضيف:

"لا، لن أستطيع الجلوس في المكان الأفضل، تفضل معاليك هناك".
فكرر سيدي الأستاذ "عطسة" ما قاله الضيف:

"لا، لن أستطيع الجلوس في المكان الأفضل، تفضل معاليك هناك".
الضيف:

"تواضعك يضعني في موقف صعب، من فضلك لا تشعر بالحرج في الجلوس هنا".

فاشتعل وجه سيدي الأستاذ "عطسة" احمراراً خجلاً، ثم قال متلعثماً:

"تواضعك يضعني في موقف صعب، من فضلك لا تشعر بالحرج في الجلوس هنا".

ووضح من خلال كلام وتصرفات سيدي الأستاذ "عطسة" أن التدريب النفسى الذى كان يقوم به ويهدف إلى إصلاح نفسه لم يؤتِ ثماره.

وكان البروفيسور الفشار يقف خلف باب حجرة الضيوف يشاهد ما يحدث ويضحك، وعندما رأى الموقف متأزماً، تدخل فجاء خلف سيدي الأستاذ "عطسة" ودفعه إلى الأمام كي يجلس فى المكان الذى اقترحه الضيف، وهو يقول:

"اجلس هناك، لو ظللت جالسًا هنا لن أجد مكانًا لى كي أجلس، كفى خجلًا، هيا اجلس هناك".

فلم يجد سيدي الأستاذ "عطسة" مفرًا من التقدم للجلوس حيثما أشار الاثنان.

ثم قال البروفيسور الفشار:

"هذا عمى الذى سبق أن كلمتك عنه، لقد جاء من محافظة شيزوأوكا، وهذا هو الأستاذ الذى كلمتك عنه يا عمى".

فقال الضيف بكلمات واضحة وأسلوب محترم جدًا طبقًا للعادات والتقاليد القديمة:

"لقد كنت مشتاقًا لمقابلة سيادتكم، شرفت جدًا بمقابلة سيادتكم، لقد سمعت من هذا البروفيسور الذى هو ابن أخى أنه يأتى هنا كثيرًا، ومن حسن حظى أننا كنا نسير بالقرب من منزل سيادتكم، فوجدتها فرصة لمقابلة سيادتكم وشكر سيادتكم على حفاوة استقبال ابن أخى هنا فى منزلكم دائمًا،

أشكر سيادتكم من أعماق قلبي، متمنيًا لسيادتكم وابن أختي دوام الصداقة".

وسيدى الأستاذ "عطسة" إنسان انعزالي، لا يعرف أصول التعامل مع الناس، وفوق ذلك لم يسبق له أن تقابل مع رجل مسن يحافظ بشدة على التقاليد القديمة في أصول التعامل مع الناس، ما جعله يرتبك ولا يعرف ماذا يفعل وماذا يقول، فظل متأخرًا في أقواله وأفعاله، ويترك قيادة اللقاء للضيف ويقلده ويتبعه، ونسى م ظروف الرسالة المرسوم عليه مصاصة لمن اعتبره فيلسوفًا كبيرًا، ونسى نصيحة ذلك الفيلسوف له بأكل نبات الجنسنج الكورى، وظل يجيب عن أسئلة الضيف بإجابات غامضة وهو مضطرب لذلك، لأنه لا يعرف ماذا يجب أن يفعل أو يقول.

فقال سيدى الأستاذ "عطسة" متلعثمًا وكلاهما ساجد احترامًا للآخر:

"وأنا وأنا، كان يجب أن أن أزور معاليك، أهلاً، أهلاً وسهلاً".

ثم رفع رأسه من فوق الحصيرة قليلاً، فوجد الضيف ما زال ساجدًا، فاندعش بشدة أنه ما زال ساجدًا، فسجد مرة أخرى.

وبعد أن أخذ الضيف المسن نفسًا عميقًا، رفع رأسه إلى أعلى وقال:

"لقد كان لى هنا فى طوكيو قصر عشت فيه مدة طويلة، ولكن عندما تغير نظام الحكم وجاءت حكومة إدو ذهبت

للعيش في محافظة شيزوأوكا، ومنذ ذلك الحين لا آتى إلى طوكيو، ولكن عندما جئت هذه المرة، لم أستطع معرفة كيف أسير بمفردى مطلقاً، فإذا لم يصحبنى ابن أختى لا أستطيع الذهاب إلى أى مكان، فلقد تغيرت طوكيو تمامًا، لقد أنشأ قادة المحاربين القدامى طوكيو منذ ثلاثمئة عام، وكان الشارع الرئيس القريب من هنا".

وهنا شعر البروفيسور الفشار بأن كلام عمه عديم الفائدة ولا يناسب الموقف، فتدخل مقاطعاً كلامه قائلاً:

"فلنترك الحديث عن المحاربين القدامى، ولننتحدث عن منظمة الصليب الأحمر، هل كانت موجودة قديمًا؟"
العم:

"لا، لم تكن موجودة، لم تكن هناك أى مؤسسات لها علاقة بالصليب الأحمر مطلقاً، لم نكن نستطيع مقابلة أحد من عائلة الإمبراطور في العصور السابقة عن هذا العصر، وبما أننى عشت طويلاً إلى اليوم فقد استطعت حضور حفل الصليب الأحمر حيث كان الأمير الأكبر موجوداً، واستطعت سماع صوته، وهذا يكفى بالنسبة لى، ولو مت سأكون راضياً بعد سماع صوته".

البروفيسور الفشار:

"شئ جميل أن جئت إلى طوكيو يا عمى، الحضور إلى طوكيو فقط من أجل مشاهدة طوكيو متعة كبيرة، ولكن عمى جاء من محافظة شيزوأوكا خصوصاً من أجل حضور احتفال تقيمه منظمة الصليب الأحمر، ولذلك ذهبنا اليوم إلى الاحتفال، ونحن

الآن في طريق عودتنا إلى المنزل، ولذلك يرتدى عمى معطف العباءة الذى تم تفصيله في متجر شيروكيا منذ عدة أيام بطلب منى خصوصًا لحضور الاحتفال".

فعلًا يرتدى "معطف عباءة"، ولكن ذلك المعطف لا يناسبه مطلقًا، الكم أطول من اللازم، والياقة كبيرة، وواسع جدًا في منطقة الظهر، وضيق جدًا تحت الإبط، ولا تمكن حياكة معطف غير مناسب أكثر من هذا حتى لو تعمدنا أن يحيكاه بطريقة غير مناسبة، والأكثر من ذلك أن القميص الأبيض والياقة البيضاء متباعدان جدًا، ولذلك عندما يرفع عمه رأسه إلى أعلى، أستطيع رؤية تفاحة آدم، والأهم أننى لا أستطيع أن أحدد إذا كانت رابطة عنقه موضوعة على الياقة أم على القميص.

ويمكن أن أتحمّل رؤية المعطف العباءة، ولكن يصعب جدًا أن أتحمّل رؤية شعره الأبيض المصفف بطريقة قديمة جدًا لا نراها الآن، فقلت لنفسي:

"إذا أين مروحة اليد الحديدية المشهور بها؟"

وعندما بحثت عنها وجدتها على الحصيرة بجانبه، وحينئذ أفاق سيدى الأستاذ "عطسة" من شروده، وعاد إليه وعيه، وبدأت نتيجة تدريبه النفسى تظهر، فقد نظر بدهشة إلى الملابس التى يرتديها عم البروفيسور الفشار، وبدا عليه أنه كان يعتقد أن البروفيسور يبالغ في كلامه عن عمه، ولكنه عندما قابل عمه اقتنع أن ما قال البروفيسور الفشار أقل بكثير من الواقع، وإذا كان سيدى الأستاذ "عطسة" يعتقد أن بثور وجهه

يمكن أن تكون موضوعًا للبحث عن تاريخ البثور، فإن شعر رأس عم البروفيسور الفشار ومروحة اليد الحديدية التي يحملها أينما ذهب، يمكن أن يكون موضوعًا لبحث أهم من موضوع بحث تاريخ بثور وجهه.

أراد سيدي الأستاذ "عطسة" أن يعرف حكاية هذه المروحة، ولكنه شعر بالحرج أن يسأل عن ذلك، كما رأى أنه ليس من الأدب قطع حديث عم البروفيسور الفشار، فسأل سؤالاً عادياً جداً، فقد قال:

"وطبعًا حضر الحفل كثير من الناس".

عم البروفيسور الفشار:

"فعلاً. الحفل كان مكتظًا بالناس، ولكن الشيء الغريب أن جميعهم كانوا ينظرون إلى نظرات طويلة وغريبة، يبدو أن الناس في هذه الأيام صار عندهم فضول شديد لتفحص الآخرين، لم يكن يحدث هذا في الماضي".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة":

"فعلاً، هذا لم يكن يحدث قديمًا".

أعاد سيدي الأستاذ "عطسة" ما قاله عم البروفيسور الفشار، ولكن هذا لا يعنى أنه يعرف ما إذا كان هذا يحدث في الماضي أم لا، بل هذا ما خطر على عقله الغامض كتعليق لن يسبب له ضررًا.

عم البروفيسور الفشار:

"ولقد كانوا ينظرون بشغف إلى هذا الخنجر".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"تبدو عليها مروحة ثقيلة، أليس كذلك؟"

البروفيسور الفشار:

"إنها ثقيلة جداً، جرب أن تحملها، أعطها له يا عمى كي يحملها ليعرف بنفسه كم هي ثقيلة".

رفعها عم البروفيسور الفشار من فوق الأرض، وأعطها لسيدي الأستاذ "عطسة" قائلاً:
"تفضل معاليك".

فحملها سيدي الأستاذ "عطسة" في رهبة وخشوع، مثلما يحمل المصلون سيف القائد الحربي "كوماجاي" في معبد "كوروزاني" الموجود في كيوتو، وظل يحمله لبرهة ثم أعاده إلى عم البروفيسور الفشار قائلاً:
"فعلاً ثقيلة".

عم البروفيسور الفشار:

"الجميع يقول إن هذه مروحة، ولكن هذا خنجر، المروحة الحديدية شيء آخر".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"شيء عجيب، مصنوع من ماذا؟"

عم البروفيسور الفشار:

"مصنوع من حديد صلب تم طرقة على شكل خنجر،
ويُستخدم لفقء عين العدو، كان يستخدمه في فترة قائد الجيش
كوسونوكي في نهاية القرن التاسع عشر".

البروفيسور الفشار:

"وهل هذا خنجر القائد كوسونوكي؟"

عمه:

"لا أعرف المالك الأصلي لهذا الخنجر، ولكنه يرجع إلى عصر
أقدم، ربما يكون قد صُنِعَ في القرن الرابع عشر".

البروفيسور الفشار:

"فعلاً، ربما صُنِعَ في القرن الرابع عشر. بالمناسبة، يبدو
على السيد القمر الإرهاق، فعند عودتنا من الحفل انتهزنا
الفرصة ومررنا على كلية العلوم بالجامعة، فأراد أن يطلعنا
على تجربته، وعندما بدأ في ذلك، تعطل جهاز الجاذبية بسبب
الخنجر الموجود مع عمي لأنه مصنوع من الحديد الصلب،
إنها مشكلة كبيرة بالنسبة إلى السيد القمر".

عم البروفيسور الفشار:

"لا أعتقد ذلك، حديد هذا الخنجر منذ القرن الرابع عشر،
إنه حديد نوعه جيد، ولذلك لا يمكن أن يسبب مشكلة مثل
هذه".

البروفيسور الفشار:

"مهما كان نوع حديد الخنجر جيداً، فإنه السبب في تعطل جهاز الجاذبية، والسيد القمر قال هذا أيضاً، إنها حقيقة لا يمكن إنكارها".

عم البروفيسور الفشار:

"أتصور أن السيد القمر هو الشخص الذى ينحت كرة زجاجية، شئ محزن أن ينشغل بعمل ذلك وهو ما زال في ريعان شبابه، أتصور أن هناك أشياء أهم من نحت تلك الكرة".

البروفيسور الفشار:

"إنى مشفق عليه، ما يفعله بحث، ولذلك عندما ينجح في نحت الكرة الزجاجية سوف يصير عالماً عظيماً".

عم البروفيسور الفشار:

"إذا كان نحت كرة زجاجية يجعل الشخص عالماً عظيماً، فأى شخص يستطيع أن يصير عالماً عظيماً. حتى العامل في متجر زجاج يستطيع أن يصير عالماً عظيماً. وإن من يقوم بنحت الكرات الزجاجية يطلقون عليه في الصين نحات الكرات، وهو عمل وضيع".

وفي حين كان يقول ذلك كان ينظر إلى سيدى الأستاذ "عطسة" منتظراً منه أن يوافق على كلامه.

وإذا بسيدى الأستاذ "عطسة" يقول بطريقة رسمية ومحترمة:

"نعم".

العم:

"الجميع متجه الآن إلى دراسة العلوم الطبيعية، وإن كان هذا شيئًا جيدًا ولكن وقت الخطر لن تكون هذه العلوم مفيدة. قديمًا كان الساموراي (المحاربون) يقومون بأعمال تعتمد على تعريض أنفسهم لخطر الموت، ولذلك وقت الخطر كنت تجدهم لا يترددون أو يخافون أو يقلقون، بل كانوا يواجهون الخطر بثبات وعزيمة قوية مدربة على تلك المواقف، ولم يكونوا يقومون بأعمال سهلة مثلما يفعل صديقكم موضوع الحديث، من نحت كرة زجاجية أو فرد أسلاك حديدية".

وهنا أيضًا قال سيدي الأستاذ "عطسة" بطريقة رسمية ومحترمة:

"نعم".

فقال البروفيسور الفشار:

"يا عمي، من أجل تدريب الروح على التحمل، يمكن أن نضع أيدينا تحت آباطنا ونجلس نفكر ونتأمل فقط، أليس كذلك؟"

العم:

"ليس كذلك، التفكير بهذه الطريقة ليس مفيدًا لأحد، انظر إلى فيلسوف الكونفوشية الصيني منج ذى فى القرن الثالث قبل الميلاد، الذى قال ابحت عما يُرجع عقلك لعمل الصواب، وكذلك فإن الفيلسوف الصينى شوكوستسو فى القرن العاشر قال لا تترك عقلك يغيب عنك كى لا يفعل المفسد، كما أن الفيلسوف

تشوهوا في القرن الثالث عشر -وهو مؤسس مذهب زن- قال لا تترك عقلك يتغير أو يرجع عن الصواب. كلام لا نستطيع فهمه بسهولة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"فعلاً، صعب فهم ذلك، ماذا يطلبون منا أن نفعل؟"

البروفيسور الفشار:

"هل سبق لك أن قرأت كتاب راهب مذهب الزن السيد طاكوأن يا أستاذ؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ولا حتى سمعت عنه قط".

العم:

"لقد قال: ما الذي يجب أن توجه عقلك إليه؟ إذا وجهت عقلك كي يفكر في تحركات عدوك، فإن عقلك سوف ينشغل فقط بالتركيز على تحركاته، وإذا وجهت عقلك للتفكير في سيف عدوك، فإن عقلك سوف ينشغل فقط بالتركيز على سيفه، وإذا وجهت عقلك للتفكير في قتل عدوك، فإن عقلك سوف ينشغل فقط بالتركيز على قتله، وإذا وجهت عقلك للتفكير في سيفك، فإن عقلك سوف ينشغل فقط بالتركيز على سيفك، وإذا وجهت عقلك للتفكير في ألا يقتلك عدوك، فإن عقلك سوف ينشغل فقط بالتركيز على عدم قتلك، فلو وجهت عقلك للتفكير في الآخرين، فإن عقلك سوف ينشغل بالتركيز عليهم،

يعنى لا يوجد شيء معين يفكر فيه العقل دائماً وبتركيز من تلقاء نفسه".

البروفيسور الفشار:

"ما زلت تتذكر ذلك يا عمى، شيء مدهش، ذاكرتك قوية، رغم أنها مقولة طويلة، هل فهمت يا أستاذ؟"

وكالعادة رد سيدى الأستاذ "عطسة" ككل مرة فقال:

"نعم".

فقال العم موجهًا كلامه لسيدى الأستاذ "عطسة":

"نعم. أكيد أنك تفعل ذلك. تفكر في توجيه عقلك ليفكر، إذا كنت توجهه إلى التفكير في حركة جسم عدوك، سوف يركز على حركة جسمه، وإذا كنت توجهه إلى التفكير في سيف عدوك، سوف.."

فقال البروفيسور الفشار مقاطعًا:

"يا عمى، الأستاذ يعى جيدًا ما قلت، فإنه في هذه الأيام يقوم بعمل تدريبات نفسية كل يوم في مكتبته من أجل إصلاح نفسه، وإن عقله مشغول بتلك التدريبات لدرجة أنه لا يذهب إلى بوابة المنزل كي يستقبل ضيوفه، فلا تقلق عليه".

العم:

"هذا شيء عظيم، لماذا لا تشاركه في فعل ذلك يا بروفيسور؟"

البروفيسور الفشار:

"هاهاها، ليس عندي وقت لذلك مطلقًا، يا عمى، حضرتك عندك وقت فراغ من أجل اللهو، ولذلك تعتقد أن كل الناس عندهم وقت فراغ للهو مثلك".

العم:

"ولكنك تلهو، أليس كذلك؟"

البروفيسور الفشار:

"مهما كان الإنسان عنده وقت فراغ، فيوجد وقت انشغال في أثناء الفراغ".

العم:

"أنت تقول كلامًا غير منطقي، ولذلك قلت لك إنه يجب عليك أن تتدرب معه تدريبات نفسية كي تصلح نفسك. هناك مقولة تقول: مهما كان الإنسان مشغولاً فيوجد وقت فراغ في أثناء الانشغال، ولكن لم يسبق لي أن سمعت أحدًا يقول: مهما كان الإنسان عنده وقت فراغ، فيوجد وقت انشغال في أثناء الفراغ، أليس كذلك يا أستاذ؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"فعلًا، لم أسمع مثل هذا الكلام قط".

البروفيسور الفشار:

"هاهاها، لن أستطيع التغلب على كليكما معًا. وبالمناسبة أنت يا عمى موجود في طوكيو، ما رأيك أن نذهب لتناول

أسماء الثعابين، أنت لم تتناولها منذ زمن طويل، سوف أدعوك لتناولها في مطعم تشيكويو، إنه قريب من هنا، بضع دقائق بالترام من هنا".

العم:

"شكرًا على الدعوة، ولكن عندي موعدًا مع السيد سويهارا، ولذلك يجب أن أتحرك من هنا الآن، وأرجو قبول اعتذارى".

البروفيسور الفشار:

"السيد سوجيهارا! وهل ذلك الرجل ما زال حيًا وبصحة جيدة؟"

العم:

"اسمه سويهارا وليس سوجيهارا، أنت تخطئ كثيرًا في الكلام ما يسبب لنا المشكلات، كما أن الخطأ في أسماء العائلات قلة أدب، يجب أن تكون حذرًا".

البروفيسور الفشار:

"ولكنى كنت أعتقد أنه سوجيهارا، أليس كذلك؟"

العم:

"لا، سويهارا".

البروفيسور الفشار:

"شيء غريب".

العم:

"ما الغريب! إنه اسم قديم ومعروف، أخطاء الناس هذه الأيام صارت كثيرة، مثلاً الناس يخطئون كثيراً في قراءة كلمة دود وكلمة ضفدعة، ما يؤدي إلى الدلالة على معانٍ أخرى".

البروفيسور الفشار:

"لم أكن أعلم ذلك".

العم:

"يجب أن ننتبه عند نطق أو قراءة الكلمات حتى لا نخطئ، كي نتجنب سخرية الآخرين منا".

البروفيسور الفشار:

"حسناً، سوف تذهب الآن لمقابلة السيد سويهارا، ولكنى لا أعرف ماذا أفعل حيال ذلك".

العم:

"ماذا؟ إذا كان عندك ما يمنعك من مصاحبتى، سوف أذهب بمفردى".

البروفيسور الفشار:

"هل تستطيع الذهاب بمفردك؟"

العم:

"لن أستطيع الذهاب سيراً على الأقدام، استدعيا لى عربة كي أستقلها إلى هناك".

استجاب سيدي الأستاذ "عطسة" لطلب الضيف بتواضع، واستدعى الخادمة بسرعة، وأمرها أن تستدعى عربية للضيف.

سيدي الأستاذ "عطسة":

"إذًا هذا هو عمك الذي كنت تحدثني عنه دائماً".

البروفيسور الفشار:

"نعم ذلك هو عمي الذي حدثك عنه كثيراً".

ثم جلس سيدي الأستاذ "عطسة" على الوسادة مرة أخرى وعقد ساعديه أحدهما فوق الآخر وغرق في التفكير.

البروفيسور الفشار:

"هاهاها، شخصية عظيمة، أنا سعيد أن لي عمًا مثله، أينما اصطحبته يتحدث ويتصرف بعظمة مثلما شاهدت، طبعًا أنت انبهرت به، أليس كذلك؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ماذا؟ لم أنبهر به إلى الدرجة التي تتخيلها".

البروفيسور الفشار:

"إذا لم تنبهر به، فأنت متبلد المشاعر".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ولكن يوجد فيه شيء عظيم، ألا وهو تأكيدَه على أهمية التدريب النفسي، وهذا ما جعلني أشعر بتقدير شديد له".

"تقدير شديد! ولكن قريبًا سوف تصير في سن الستين، وربما سوف تصير مثل عمي، أنت تفكر بطريقة قديمة لا تناسب الوقت الحاضر، أرجو ألا تصير مثله، عندما يصير الشخص ذا عقلية قديمة، لا يستطيع أن يتماشى مع مجريات الحاضر".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنت تنظر نظرة سيئة فقط إلى صاحب العقلية القديمة، ولكن على حسب الوقت والموقف يتحدد ما إذا كان صاحب العقلية القديمة على صواب أم لا، ربما في موقف معين أو وقت معين يكون صاحب العقلية القديمة عظيمًا في كلامه وتصرفاته. مثلاً العلم الحالى ليست له نهاية، علماء الحاضر -خاصة علماء الغرب- يفكرون في المستقبل القريب والمستقبل البعيد، يفكرون في المستقبل بطريقة إيجابية، طريقة ليست لها نهاية، إنهم لا يشعرون بالرضا والكفاية مطلقًا، ولكن علماء الشرق يفكرون في المستقبل بطريقة سلبية، طريقة تأخذ في الاعتبار أن التفكير في العلم له حدود، ولذلك يتذوقون طلاوة العلم، فهم يعلمون قيمة العقل، ولذلك يقومون بعمل تدريبات نفسية تهدف إلى تجويد عمل العقل".

"أنت تقول كلامًا كبيرًا، تقول كلامًا مثل كلام السيد الجدى".

وعندما سمع سيدي الأستاذ "عطسة" اسم "الجدى" اندهش، وفي الواقع أن "الجدى" هو اسم "الفيلسوف" الذى زار سيدي

الأستاذ "عطسة" في منزله، أي "كهف الموهبة المدفونة"، وأثر في أفكاره، هو السيد "الجدى" الذى ذكره البروفيسور الفشار، وإن ما يستعرضه سيدي الأستاذ "عطسة" من أفكار ما هو إلا ترديد لما سمعه من السيد "الجدى"، وعندما سمع سيدي الأستاذ عطسة اسم "الجدى" من البروفيسور الفشار اندهش، فقد كان يعتقد أن البروفيسور الفشار لا يعرفه، ما جعله يحك أنفه خجلاً، رغم أنه سهر طوال الليل يفكر في كيفية تهذيبه كي يبدو جميلاً.

فأراد سيدي الأستاذ "عطسة" القلق أن يتأكد مما إذا كان البروفيسور يعرف "الجدى" أم لا، فسأله:

"هل سبق لك أن سمعت كلام الجدى؟"

البروفيسور الفشار:

"سبق أن سمعت كلامه! كلامه لم يتغير منذ كنا زملاء في المدرسة منذ ١٠ سنوات وحتى الآن".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"الكلام الفلسفى الدال على حقائق لا يتغير بتغير الزمن، وعدم تغيره يدل على صدقه".

البروفيسور الفشار:

"يبدو أنك منجذب إليه، وهذا يجعله يتمادى أكثر في ما يقول. أولاً: من خلال معنى اسمه الجدى تعتقد أنه شيء كبير، ولكن انظر إلى لحيته، إنها مثل لحية الماعز تماماً، وإنها على

حالتها نفسها منذ كنا طلابًا ونقيم معًا في مساكن الطلاب، واسم عائلته ضوكوسن، ومعناها ساحرات، اسم يُناسب شخصيته فعلاً، ومنذ مدة كان قد جاء يقيم في منزلي، وأخذ يحكي لي عن التدريبات النفسية التي تجعل الإنسان سلبياً، ولكن أخذ يكرر الكلام نفسه كثيراً ولم يتوقف عن تكراره، فقلت له: لقد حان وقت النوم، هيا ننام، ولكنه قال: أنا لا أريد أن أنام، ثم استمر في كلامه البغيض عن فكرة السلبية، فتوسلت إليه قائلاً: أنت لا تريد أن تنام، ولكني أريد بشدة أن أنام، أتوسل إليك أن تنام. ولكن في منتصف تلك الليلة دخل فأر الحجره وقضم مقدمة أنفه، ففزع وانزعج وصرخ عاليًا، وإخذ يقول إنه مكشوف عنه الحجاب وإنه يرى أنه سوف يموت، وبدا عليه القلق الشديد والحزن أن يموت، وقال لي: سوف ينتشر سم الفأر في جسدي، ساعدني من فضلك. فشعرت بأنني في ورطة ولم أعرف ماذا أفعل، واهتدي تفكير إلى عمل خدعة، ذهبت إلى المطبخ ولصقت عجينة من الأرز في ورقة صغيرة، ولصقتها على أنفه".

الأستاذ عطسة:

"ولماذا فعلت ذلك؟"

البروفيسور الفشار:

"لقد فكرت في ذلك بناءً على معرفتي بدواء ظهر مؤخرًا اخترعه طبيب ألماني مشهور، ويستخدمه الهنود في حالة لدغة الثعابين لأنه فعّال، ولذلك قلت لنفسى أكيد إذا استخدمته مع الجدى سوف يكون مفيدًا".

الأستاذ عطسة:

"ومنذ ذلك الحين صرت بارعًا في خداع الناس، أليس كذلك؟"

البروفيسور الفشار:

"المهم، بما أن الجدى إنسان ساذج، فقد صدّق ما قلت، وشعر بالطمأنينة ونام نومًا عميقًا، وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي، وجدت عجينة الأرز الملتصقة في الورقة المملصوقة على أنفه قد ساحت، وتدلّى منها الأرز كسائل على هيئة خطوط، ووصلت إلى لحيته، ويا له من منظر، كان منظرًا مضحكًا".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ولكن يبدو لي أنه صار إنسانًا عظيمًا عن تلك الفترة التي جمعتكما قديمًا".

البروفيسور الفشار:

"هل يعنى هذا أنك التقيته قريبًا؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"لقد جاء هنا منذ أسبوع وتبادلنا حديثًا طويلًا".

البروفيسور الفشار:

"كما توقعت. لهذا فإنك كنت تتحدث من منطلق نظرية السلبية التي يتبناها الجدى".

سیدی الأستاذ "عطسة":

"في الواقع، لقد أعجبت به إعجابًا شديدًا، فتحمست حماسًا شديدًا للقيام بتدريبات نفسية على السلبية".

البروفيسور الفشار:

"الحماس شيء جيد، ولكن غياب أن نثق بما نسمع ثقة عمياء. أنت تعتقد أن كل ما تسمعه صواب، وهذا تصرف غير صحيح، إن كلام الجدى فقط عظيم، ولكن وقت الجد سوف تجد الجدى مثلنا تمامًا. طبعًا أنت تتذكر الزلزال الذي حدث منذ تسع سنوات مضت، الوحيد الذي قفز من الطابق الثاني في مسكن الطلاب وحدثت له إصابة كان الجدى فقط".

سیدی الأستاذ "عطسة":

"ولكنه شرح أسباب ما حدث، أليس كذلك؟"

البروفيسور الفشار:

"نعم، لقد قال:

أنا محظوظ أن أنجو من الموت حينذاك، إن تأثير قوة مذهب يظهر في المواقف الصعبة مثل هذه، في سرعة الاستجابة للتعامل مع تلك المواقف، فعندما عرف باقي الطلاب حدوث زلزال، احتاروا ماذا يفعلون، ولكنى قفزت بسرعة البرق من الطابق الثاني، وهذا بفضل التدريبات النفسية التي أقوم بها، فلقد كان لها أثر جيد في التصرف بسرعة، وهذا شيء أسعدني.

ورغم أنه كان مصابًا ويسير على ساق واحدة ويجر ساقه الأخرى لأنها أصيبت، فإنه كان سعيدًا، إنه إنسان عنيد، عندما يفشل لا يعترف بفشله، إن أكثر بشر أشك فيهم هم من يصيحون بأصوات عالية قائلين زن أو بوذا".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" دون حماس:

"أهو كذلك!"

البروفيسور الفشار:

"عندما جاء هناك المرة السابقة، ألم يتفوه بأشياء غير مفهومة مثل ما يتفوه به رهبان مذهب زن؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"نعم، قال حكمة تقول: ضربك لي بالسيف كسقوط صاعقة على رياح".

البروفيسور الفشار:

"نعم، هذه مقولته المشهورة التي دائمًا يقولها منذ عشر سنوات مضت، إن كل من كان يقيم في مسكن الطلاب كان يعلم مقولة الجدي، إنه راهب جاهل، وأحيانًا عندما يكون في عجلة من أمره يقول هذه الحكمة بالعكس، يقول: ضربك لي بالسيف هبوب رياح على صاعقة. شيء غريب، عندما يأتي المرة المقبلة قل له هذه الحكمة بطريقة معكوسة، عندما تقول له أشياء عكس التي يقولها بطريقة هادئة، سوف يرتبك ويقول أشياء غريبة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنت إنسان سيئ، لا يسلم أحد من شرك".

البروفيسور الفشار:

"لا أعرف إذا كنت أنا السيئ أم هو، أنا أكره رهبان مذهب الزن، كما أكره من يدعون أنهم مكشوف عنهم الحجاب، فيوجد بجوار منزلي معبد اسمه نانظوان، يعيش فيه راهب تخطى سن الثمانين، ومنذ عدة أيام سقطت الصواعق على المعبد فحطمت أشجار الصنوبر الموجودة أمام حديقة مقر إقامته، ولقد سمعت أنه ظل يتصرف بطريقة عادية كأن شيئاً لم يحدث، وعندما سألت كثيراً وبحثت الموضوع جيداً اكتشفت أنه أصم، وعليه فكان طبيعياً أن يتصرف بطريقة عادية، وهكذا يمكن تفسير كل شيء بطريقة منطقية، وبالنسبة إلى المدعو الجدى، لا توجد مشكلة أن يعتقد أنه مكشوف عنه الحجاب، ولكن المشكلة أن يدعو الناس ليكونوا أتباعه، لأنه قد أثر في شخصين كي يتبعا فكره، فأصابهما الجنون".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"من هما؟"

البروفيسور الفشار:

"أحدهما السيد رينو. لقد سافر إلى مدينة كاماكورا كي يدرس مذهب الزن بتعمق، ولكن أصابه الجنون وهو هناك، فيوجد أمام معبد إنجكوجى مزلقان قطار، فدخل المزلقان وجلس بين قضيبى السكة الحديد وأخذ يصلى، وقال بثقة

إنه سوف يجعل الجميع يشاهده وهو يوقف القطار، ولحسن حظه أن القطار توقف، وبذلك لم يفقد حياته، وبدلاً من أن يتوقف عن ذلك، قرر قراراً لا رجعة فيه، أن يدخل النار وقال إنه لن يحترق، وأن يدخل الماء وقال إنه لن يغرق، فدخل بحيرة اللوتس الموجودة داخل المعبد وسار في القاع فخرجت فقائيع الهواء بكثرة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"وهل مات؟"

البروفيسور الفشار:

"من حسن حظه أن مر راهب بجانب البحيرة واستطاع أن ينقذه من الغرق، ولكن بعد ذلك عاد إلى طوكيو، وبعد مرور فترة مات بسبب مرض التهاب الغشاء الداخلى للمعدة، وكان سبب الوفاة أنه عندما كان يعيش في المعبد في مدينة كاماكورا كان يتناول طعام القمح وطعام جذور الفجل بكثرة، وهذا يعنى أنه بطريقة غير مباشرة مات بسبب تأثره بأفكار الجدى".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" وهو متجهم الوجه:

"الحماس الشديد له وجه جيد وآخر سيئ".

البروفيسور الفشار:

"فعلاً كما تقول، ولكن يوجد شخص آخر وهو زميل لنا كان ضحية لأفكار الجدى".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هذا شيء فظيع، من هو؟"

البروفيسور الفشار:

"إنه السيد روباي، إنه مسكين، لقد تأثر جدًا بأفكار الجدى لدرجة أنه كان لا يتوقف عن قول: أسماك الثعابين سوف تصعد إلى السماء. وفي النهاية صار التأثر بكلام الجدى واقعًا".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ماذا تعنى بأن التأثر بكلام الجدى واقع؟"

البروفيسور الفشار:

"إذا كان الجدى ساحرًا كبيرًا، فإن روباي خنزير كبير، لأنه إنسان قذر، فأنا لم أشاهد في حياتي إنسانًا يأكل بشراهة مثله قط، ولقد اجتمعت فيه قذارة تناول الطعام بشراهة مع قذارة كونه راهب زن، وبالتالي لا تمكن مساعدته بأي طريقة مطلقًا. لم يلاحظ أحد في البداية غرابته ما كان يقوله، ولكن عندما أفكر الآن في ما كان يقوله أجده كان يقول كلامًا غريبًا جدًا، مثلًا جاء إلى منزلي وقال:

ألن تطير قطعة اللحم المحمر هذه ناحية شجرة الصنوبر؟

وقال:

في بلدتي تركب كفتة الأسماك على لوح وتطير.

إلى حد هنا يمكن أن اتغاضى عن كلام سخيف مثل هذا،
ولكن أن يقول لى:

هيا نذهب إلى المجارى الموجودة أمام المنزل ونحفر هناك
كى نستخرج فطير البطاطا.

فلم أستطع تحمل ذلك، وشعرت بأن لا حل معه، وبعد
عدة أيام بدأ يتصرف كأنه خنزير، فنُقل إلى مستشفى سوجامو
للأمراض العقلية، وبما أنه أصلاً خنزير فطبيعى ألا يُجَن،
وللأسف كل ما حدث له كان بسبب الجدى، واضح أن تأثير
الجدى فى الناس قوى جدًّا فيتحول إلى واقع، كما حدث مع
روباى، فقد دخل مستشفى الأمراض العقلية".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"شئ عجيب. وهل ما زال فى المستشفى حتى الآن؟"

البروفيسور الفشار:

"ليس هذا فقط، ولكن أصيب بالنرجسية، فيتصرف ويتحدث
كأنه إنسان عظيم، لدرجة أنه لم يشعر بالرضى عن اسمه،
فغيره إلى اسم تَنْدُو، الذى يعنى الطريق إلى السماء، يبدو أن
حالة التفكير عنده فى الصعود إلى السماء تزداد، ما يدل على
تدهور حالته، إن ما يحدث له شئ مؤسف، أنصحك بزيارته".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"هل قلت تندو؟"

البروفيسور الفشار:

"نعم، رغم أنه مجنون لكنه سمى نفسه اسمًا جميلًا، ودائمًا يقول إن الناس ضالون وإنه يريد إنقاذهم من ضلالهم، ولذلك يرسل رسائل إلى أصدقائه لهدايتهم. لقد وصلتني نحو خمس رسائل منه، وداخل المظروف رسائل طويلة جدًا، ما جعلني مضطربًا إلى دفع جزء من تكلفة البريد لأنه لم يدفع ما يكفي".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"إذًا الرسالة التي وصلتني كانت منه".

البروفيسور الفشار:

"إذًا وصلتك أيضًا رسائل منه، شيء غريب، أكيد أن المظروف كان لونه أحمر".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"نعم، كان مظروفًا غريب المنظر، وسطه ملون باللون الأحمر والجانب الأيمن والجانب الأيسر بالأبيض".

البروفيسور الفشار:

"إنه قد استورد هذه المظروفات خصوصًا من الصين لأنها تعبر عن فكره، إنه يقول إن أحد الجانبين الأبيضين يدل على طريق الهداية في الدنيا، والجانب الأبيض الآخر يدل على طريق الصعود إلى السماء، واللون الأحمر الموجود في الوسط يدل على الإنسان الذي يعيش في ظلال".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"إنه مظروف يدل على الفكرة بطريقة جميلة جدًا".

البروفيسور الفشار:

"فعلاً، هو مجنون ولكنه فكر جيداً في منظر المظروف. ولكن رغم أنه مجنون فإنه لم يتوقف عن تناول الطعام بإفراط، ففي كل مرة يكتب رسالة، دائماً ما يكتب عن الطعام، وهذا شيء غريب، وأكد أنه كتب في الرسالة التي وصلت إليك منه شيئاً عن الطعام، أليس كذلك؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"نعم، كتب عن الحيوان البحرى خيار البحر".

البروفيسور الفشار:

"إنه يحب تناول طعام خيار البحر، إنه مفجوع، وكتب عن ماذا أيضاً؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"كتب عن السمكة المنتفخة ونبات الجنسج الكورى".

البروفيسور الفشار:

"الجنسج مع الأسماك المنتفخة مفيد، أكيد أنه يقصد أكل الأسماك المنتفخة ثم غلى نبات الجنسج وشربه".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"لا أعتقد ذلك".

البروفيسور الفشار:

"ليست مشكلة أن تعتقد ذلك أم لا، لأنه في كلتا الحالتين هو مجنون، ألم يكتب عن شيء آخر؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"نعم يوجد المزيد، قال لي: فكر في نفسك ولا تتدخل في شئون الآخرين".

ضحك البروفيسور الفشار وقال:

"وقاحة أن يقول ذلك، ولكنه بالتأكيد أرادك أن تتوقف عن الكلام، عظيم يا تندو، يحيا تندو".

ثم ضحك البروفيسور الفشار كثيراً، ضحكات تبدو عليها السعادة.

وبعد أن علم سيدي الأستاذ "عطسة" أن الرسالة التي قرأها مراراً وتكراراً وبصوت عالٍ، وجعلته يشعر بالاحترام والتقدير ناحية كاتبها ويتصوره شخصية عظيمة - كاتبها مجنون، شعر بالغضب أن مجهوده وحماسه في قراءة الرسالة ضاع سدى، وشعر بالخزي أنه تحمل آلاماً نفسية كي يقرأ رسالة إنسان غير متزن نفسياً ويعتقد أنه فهمها ويعتقد أن أسلوب كتابتها مميز، وأنه إذا كان شعر بالإعجاب الشديد تجاه رسالة كتبها مجنون فهذا يعنى أنه من الناحية النفسية ليس سويّاً تماماً، فاجتمعت مشاعر الغضب والحزن والحسرة والقلق معاً في داخله وظهرت على وجهه في صور عدم ارتياح.

وفي هذه اللحظة فُتحت بوابة المنزل بعنف، وسمِع صوت زوج أحذية ثقيل في مكان خلع الأحذية، وصوت صياح مَنْ يقول:

"يا أهل المنزل، يا أهل المنزل".

وبما أن سيدي الأستاذ "عطسة" بطيء الحركة، وعلى عكس ذلك البروفيسور الفشار سريع جداً، فلم يستطع البروفيسور الفشار انتظار أن تذهب الخادمة في استقبال الزائر، فقال:

"تفضل ادخل".

وفي الوقت نفسه قفز بسرعة ناحية بوابة المنزل، وبلا شك أن دخوله منزل شخص آخر والتدخل في أموره، مثل مقابلة الزوار دون طلب من أهل المنزل، أمر يسبب الضيق لأهل المنزل، ولكن ذلك أيضاً في الوقت نفسه مفيد لأهل المنزل أن يفعل ما يجب أن يفعلوه، كأنه تلميذ عند الأستاذ ويقوم بعمل الأعمال الوضيعة بدلاً منه، ولكن مهما كان البروفيسور الفشار قريباً من الأستاذ، فإنه بالتأكيد ضيف وليس من أهل البيت، فلا يجب أن يذهب لاستقبال الزوار، ويظل سيدي الأستاذ "عطسة" جالساً على الوسادة لا يتحرك من فوقها، فلو كان سيدي الأستاذ "عطسة" رجلاً عادياً، لقام وذهب خلف البروفيسور الفشار كي يستقبل الزوار، ولكن هذا هو سيدي الأستاذ "عطسة"، ألصق مؤخرته في الوسادة كأن شيئاً لم يحدث. وربما يعتقد البعض أن معنى "أن يلصق مؤخرة في الوسادة" مثل معنى "أن تلتصق مؤخرته في الوسادة"، ولكن في الحقيقة، المعنى يختلف اختلافاً كبيراً.

ولقد سمعت البروفيسور الفشار الذى طار جريًا إلى بوابة المنزل يتحدث مع شخص آخر، ثم التفت إلى داخل المنزل وصاح بصوت عالٍ:

"يا صاحب المنزل، من فضلك احضر إلى هنا، أمر لا يتحدث فيه إلا أنت فقط".

فجاء سيدي الأستاذ "عطسة" مضطربًا وهو يسير ببطء شديد وساعده منعقدان فوق بعضهما، وإذا به يجد البروفيسور الفشار جالسًا القرفصاء ويحيى شخصًا آخر وممسكًا ببطاقة تعارف ذلك الشخص، وكان مكتوب في بطاقة التعارف أن اسمه "يوشيدا" وهو من مركز شرطة العاصمة ويعمل شرطى تحريات، وكان يقف بجانبه شاب وسيم وطويل القامة فى سن الخامسة والعشرين، يرتدى جلبابًا مخططًا جميلًا، والغريب أن ذلك الشاب يقف صامتًا وساعده منعقدان فوق بعضهما مثل سيدي الأستاذ "عطسة"، وشعرت بأننى سبق لى أن رأيته، فأخذت أحقق إليه جيدًا، واكتشفت أننى سبق لى أن رأيته، إنه اللص الذى اقتحم المنزل منتصف الليل وسرق البطاطس الجبلية وهرب بها، فانداهشت كيف يدخل المنزل فى منتصف الظهيرة من البوابة وأمام الجميع بطريقة عادية!

فقال البروفيسور الفشار:

"يا أستاذ، هذا هو شرطى التحريات، وقد قبض على اللص الذى سرق منزلك منذ عدة أيام، وجاء خصوصًا كي يخبرك بأن تذهب إلى مركز الشرطة بخصوص هذا الأمر".

وهنا فهم سيدي الأستاذ "عطسة" سبب حضور شرطى التحريات، فأحنى رأسه إلى اللص في أدب شديد كتحية، وبما أن اللص أكثر طولاً ووسامة من شرطى التحريات فقد اعتقد سيدي الأستاذ "عطسة" أن اللص هو شرطى التحريات، وقد اندهش اللص من تصرف سيدي الأستاذ "عطسة"، ولكن من فرط دهشته لم يستطع أن يقول للأستاذ "عطسة" ماذا تفعل؟ أنا اللص! فضل واقفاً وعاقدًا ساعديه أحدهما فوق الآخر، ولا يستطيع تحريكهما لأنهما مقيدان بالأصفاد.

وبالنسبة إلى الشخص العادى سوف يرى أن ما فعلته الشرطة أمر عادى، ولكن سيدي الأستاذ "عطسة" لا ينتمى فكرياً إلى وقتنا الحاضر، لأنه يحترم موظفى الحكومة والشرطة بطريقة مبالغ فيها مثلما كان يحدث في الماضى، فهو يشعر برعب شديد من رجال السلطة، ولو تحدثنا من ناحية المنطق، فإن رجل الشرطة أجير يقوم بالحراسة مقابل أجر من الشعب، ولكن في الواقع فإن سيدي الأستاذ "عطسة" ينحنى له بشدة كأنه سيده، وربما السبب في ذلك أنه تعلم منذ صغره أن يحنى رأسه بشدة لرجال السلطة، وتدرجياً تحول ذلك إلى عادة، وهذا شيء مؤسف جداً.

وبدا على الشرطى أنه شعر بأن تصرف سيدي الأستاذ "عطسة" مبالغ فيه، فابتسم دهشة من تصرفاته هذه ثم قال: "من فضلك احضر إلى مركز الشرطة نيهون زوتسومى، قبل الساعة التاسعة صباح الغد، وبالنسبة إلى المسروقات، ما الذى سرقه منكم؟"

فقال الأستاذ:

"المسروقات!"

ثم توقف عن الكلام، فلقد نسي أسماء المسروقات، ما عدا البطاطس الجبلية التي أهداها إليه السيد "طاطارا"، وطبعًا البطاطس الجبلية شيء عديم الأهمية، ولكنه بعد أن قال "المسروقات" لم تخرج من فيه كلمة واحدة، فصار منظره سيئًا كأنه كاذب لم يُسرق، فعندما يُسرق شخص ولا يوضح ماذا سُرق منه بإجابة واضحة، فيدل هذا على أنه إنسان غريب، وكى يتجنب سيدي الأستاذ "عطسة"، أن يُنظر إليه بتلك النظرة، قال الآتي:

"المسروقات هي صندوق بطاطس جبلية".

وبدا على اللص أنه اندهش من إجابة الأستاذ عطسة، فنظر إلى أسفل كي يخفى اندهاشه، وأما البروفيسور الفشار فضحك سخرية وقال:

"صندوق بطاطس جبلية!! فعلاً شيئًا يُحزن جداً".

ولكن الشخص الوحيد الذى ظل تبدو على وجهه الجدية هو الشرطى.

الشرطى:

"لا أعتقد أن البطاطس الجبلية عادت، ولكن بقية المسروقات عادت، عمومًا عندما تحضر إلى مركز الشرطة سوف تتذكر ما سُرق منك، ومن فضلك لا تنسَ إحضار الختم الخاص بك

للتوقيع على استلام المسروقات، ويجب أن تحضر قبل الساعة التاسعة في مركز الشرطة الموجود في منطقة نيهون زوتسومي، والسلام عليكم".

وبعد أن قال هذا غادر المنزل.

وخرج الشرطى وخلفه اللص، وهما أن اللص مقيد بالأصفاد لم يستطع غلق باب المنزل، فتركه مفتوحًا وذهب، وبدا على سيدى الأستاذ "عطسة" الضيق الشديد بسبب أن اللص لم يغلق الباب، فأخرج زفيرًا بملء فيه ضيقًا ثم أغلق الباب بعنف وعصبية.

ضحك البروفيسور الفشار ضحكات مدويات ثم قال:

"أنت أظهرت احترامًا شديدًا لشرطى التحرى، وإن كان هذا الاحترام الشديد يدل على أنك إنسان جيد، ولكن احترام الشرطى التحرى فقط شيء يدعو إلى الضيق".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"طبعًا وجب على أن أحترمه بشدة، لقد جاء خصوصًا لى كى يخبرنى بتطورات موضوع السرقة".

البروفيسور الفشار:

"حضوره كى يخبرك بتطورات أمر السرقة جزء من عمله، طبيعى أن يحضر من أجل ذلك".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"نعم الحضور لي جزء من عمله، ولكن عمله ليس عملاً عادياً، إنه عمل خطير".

البروفيسور الفشار:

"نعم ليس عملاً عادياً كأى عمل آخر، ولكن التحرى عمل بغيض، إنه أقل من بقية الأعمال، إنه عمل حقير".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هذا الكلام يمكن أن يُسبب لك المتاعب".

ضحك البروفيسور الفشار ثم قال:

"حسناً، سوف أتوقف عن كلام السوء بالنسبة إلى شرطى التحرى، وسوف أتغاضى عن إظهارك الاحترام الشديد له، ولكنى مندهش من احترامك للصوص".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ومن الذى يفكر فى احترام اللصوص؟"

البروفيسور الفشار:

"أنت فعلت ذلك، احترمت ذلك اللص".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنا لم اقترب من اللص ولم أتعامل معه، لقد تجاهلته تماماً".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ماذا تقول! لقد انحنيت له كتحية، ألم تفعل ذلك؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"متى حدث هذا؟"

البروفيسور الفشار:

"لقد سجدت له احترامًا، ألم تفعل ذلك؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنت غبي، لقد فعلت ذلك لشرطي التحريات."

البروفيسور الفشار:

"وهل الرجل الذي كان يرتدي جلبابًا هو شرطي التحريات؟

هل يرتدي شرطي التحري جلبابًا؟"

الأستاذ "عطسة":

"نعم، الطبيعي أن يرتدي جلبابًا، أليس كذلك؟"

البروفيسور الفشار:

"أنت غبي."

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنت الغبي."

البروفيسور الفشار:

"هل يحضر شرطى التحريات إلى منزل شخص ويقف عاقداً ساعداً فوق الآخر، دون مبالاة بالناس؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ولماذا لا يفعل ذلك! لا يوجد ما يمنعه أن يفعل ذلك لأنه شرطى تحرراً".

البروفيسور الفشار:

"هل لمجرد أن جاء يجب أن نحترمه إلى درجة السجود! وفوق ذلك فإنه لم يبادلك التحية، لقد كان واقفاً وعاقداً ساعداً فوق الآخر في أثناء سجودك له، ولم يعرك أى اهتمام مطلقاً".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"إنه شرطى تحرراً، وله الحق أن يفعل ذلك".

البروفيسور الفشار:

"أنت تثق بنفسك جداً، لا تريد أن تفهم ما أقول".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنت تقول من كنت أتجه إلى تحيته هو اللص، ولكن هل شاهدت اللص وهو يقتحم منزلي! طبعاً لم تفعل، إنك تتصور ذلك ولا تريد التراجع عن كلامك، ولذلك فأنت الغبى".

وعندما تطورت المناقشة إلى هذا الحد، شعر البروفيسور الفشار بأن محاولة إقناع سيدي الأستاذ "عطسة" بأن من

كان يحييه وينحنى ويسجد له ليس شرطى التحرى بل اللص محاولة فاشلة، وأن الاستمرار فيها لن يؤتى ثمارة، فقرر الصمت، وشعر سيدي الأستاذ "عطسة" بأنه قد استطاع إسكات البروفيسور الفشار، وهذا عمل لم يفعله منذ مدة طويلة، فشعر بالنصر، وأنه صار أعلى من البروفيسور الفشار ومتميزاً عنه، وشعر البروفيسور الفشار بدنو تجاه سيدي الأستاذ "عطسة"، لأنه غبى، لا يريد أن يفكر، بل مصمم على رأيه الخاطئ، ومن منظور سيدي الأستاذ "عطسة" أنه تفوق على البروفيسور الفشار في هذا النقاش لأنه فقط تمسك برأيه، والغبى ليس سيدي الأستاذ "عطسة" فقط، بل مثله الكثير في هذه الدنيا، يعتقدون أنهم قد فازوا على الآخرين في المناقشات لأنهم تمسكوا بأرائهم، ولكنهم من منظور الآخرين سقطوا في نظرهم إلى القاع، ولكن العجيب أن الغبى مثل هذا يدافع عن رأيه حتى الموت، ويشعر بالزهو والعظمة والتوفيق اعتقاداً أنه انتصر، ومنذ تلك اللحظة يشعر بالدونية تجاه الطرف الآخر ولذلك يهمله. وهذا تفكير غريب لا يحدث حتى في الأحلام. طبعاً مثل هؤلاء يكونون سعداء لاعتقادهم أنهم انتصروا، ولكن سعادتهم هذه نستطيع أن نطلق عليها "سعادة الخنازير".

البروفيسور الفشار:

"حسنًا، هل ستذهب غدًا إلى مركز الشرطة؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"طبعًا، لقد قال لي شرطى التحريات أن أذهب قبل الساعة التاسعة صباحًا، ولذلك سأخرج من المنزل الساعة الثامنة".

البروفيسور الفشار:

"ألن تذهب إلى المدرسة؟"

سيدي الأستاذ "عطسة" بحماس شديد:

"المدرسة! طبعًا لن أذهب إلى المدرسة".

البروفيسور الفشار:

"ماذا؟ ألن يتسبب لك ذلك الغياب في مشكلة بالمدرسة؟"

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" بصراحة وبجدية:

"لا، أنا أعمل في المدرسة براتب شهري، ولذلك لا خوف أن تخضم المدرسة ذلك اليوم من راتبي، لن تكون هناك مشكلة".

ربما يعتقد البعض أن الغياب عن المدرسة مشكلة لأنه يؤدي إلى الخصم من الراتب وهذا شيء سيئ، ولكن قبول سيدي الأستاذ "عطسة" الغياب مقابل الخصم من الراتب يوضح أن شخصيته بسيطة وتلقائية.

البروفيسور الفشار:

"فهمت أنك سوف تذهب، ولكن هل تعرف الطريق إلى مركز الشرطة؟"

فرد سيدى الأستاذ "عطسة" بغضب شديد:
"طبعًا لا أعرف، ولكنى سوف أركب عربة إلى هناك".
البروفيسور الفشار:

"يبدو أنك لا تعرف طوكيو جيدًا، أنت مثل عمى الذى
جاء من شيزوؤكا، شىء يدعو إلى القلق".
سيدى الأستاذ "عطسة":
"اقلق كما تشاء".

فضحك البروفيسور الفشار عاليًا وقال:
"المكان الذى يوجد فيه مركز شرطة نيهون زوتسومى ليس
مكانًا مثل بقية الأماكن، إنه موجود فى منطقة يوشى وارا".
سيدى الأستاذ "عطسة":
"ماذا؟"

البروفيسور الفشار:
"منطقة يوشى وارا".
سيدى الأستاذ "عطسة":
"هل تقصد بمنطقة يوشى وارا منطقة بنات الهوى والملاهى
الليلية؟"

فقال البروفيسور الفشار بهدف إغاظه سيدى الأستاذ "عطسة":
"نعم، لا توجد فى طوكيو إلا منطقة يوشى وارا واحدة. هل
ما زلت مصممًا على الذهاب إلى مركز الشرطة؟"

فتلعثم سيدي الأستاذ "عطسة" في الرد، وبدت عليه الحيرة،
وبعد أن فكر قليلاً قال بانفعال ليس له أي مبرر:

"أيًا كان المكان الذي يوجد فيه مركز الشرطة، بما أننى
قلت سوف أذهب، فسوف أذهب".

ودائمًا الأغبياء في مثل هذه المواقف يصممون على التمسك
بآرائهم.

البروفيسور الفشار:

"عمومًا بما أنه مكان له طبيعة خاصة تختلف عن بقية
الأماكن، فذهابك سيكون فرصة أن تراه".

وإلى هنا انتهى الحديث عن موضوع شرطى التحرى، وبعد
ذلك تحدث البروفيسور الفشار في موضوعات تافهة كعادته،
ثم مع حلول الظلال قال إن عمه سوف يغضب إذا عاد إلى
المنزل متأخرًا، واتخذ ذلك حجة لمغادرة منزل سيدي الأستاذ
"عطسة".

وبعد أن رجع البروفيسور الفشار، تناول سيدي الأستاذ
"عطسة" عشاءً خفيفًا، ثم ذهب إلى مكتبته، ثم عقد ساعدًا
فوق الآخر ولم يفعل شيئًا، بل بدأ يفكر في التالى:

"إن الجدى الذى شعرت ناحية باحترام وتقدير، وقررت أن
أتعلم منه كيف أتعامل مع الحياة، طبقًا لكلام البروفيسور
الفشار ليس إنسانًا مناسبًا كي أتعلم منه شيئًا، وليس هذا
فقط، بل إن النظرية التى يدعو إلى نشرها وتطبيقها ليست
منطقية، وطبقًا لكلام البروفيسور الفشار فإنها نظرية غير

سوية، نابعة من مريض نفسى، والأكثر من ذلك أن له تابعين صارا فاقدى العقل، هذا أمر خطير جدًّا، فإذا اقتربت منه سوف أصبح مثلهما.

والسيد تندو الذى أعجبت به بشدة من خلال كتاباته، واعتقدت أنه إنسان عظيم، اتضح أن اسمه الحقيقى روباى وأنه مجنون رسمى ويقيم فى مستشفى المجانين، وبصرف النظر عما إذا كان كلام البروفيسور الفشار كذبًا أم كان تحليله بأن نظرية السيد الجدى نظرية مجنونة تحليلًا صحيحًا، فأكيد أن اعتقاد السيد تندو بأنه شخصية عظيمة حقيقة واقعة.

وبناءً على ما سبق من كلام فرما أكون أنا مختلاً عقليًا بعض الشيء، وبما أننى أشعر بأن تفكيرهم مثل تفكيرى، أى أنا الفكر نفسه، وكما يقول المثل الصاحب بالصاحب يُعرف، وبما أننى أشعر بالاحترام والتقدير لكلامهما رغم أنهما مجنونان، أو على الأقل بما أننى متعاطف مع كتابات المجنون تندو، فأكيد أننى قريب من الجنون.

وحتى إذا لم أكن مجنونًا مثلهما، فلو حدث أن كنت أقيم فى حجرة ملاصقة لحجرة مجنون مثل تندو، كنت سأرغب فى أن أجلس معه وجهًا لوجه، ولذلك كنت حطمت الحائط الذى بينى وبينه، وجلسنا معًا وجهًا لوجه فى الحجرة نفسها، واستمتعنا بتبادل الحديث، ولكن أكيد أن فعل هذا شيء خطير. أنا مندهش من عقلى الذى يملك مساحة حرية كبيرة، لدرجة أنه يفكر فى أشياء غريبة جدًّا، وإنى أشعر بأن هناك تغيرات كيميائية فى مخى أثرت فى رغباتى وبالتالى فى تصرفاتى

وفي اللغة، وكل ذلك أدى إلى أننى صرت غير متزن في أقوالى وتصرفاتى. لا أشعر بأى شىء غير طبيعى فى لسانى أو تحت إبطى، ولكنى أشعر بشىء يثير جنونى فى جذور أسنانى وفى عضلات جسدى، ولكن كيف أتأكد من ذلك! شىء فظيخ، ربما أكون قد صرت مريضاً فى مرحلة متأخرة وأنا لا أعرف، ولكن من حسن الحظ أننى لم أتسبب للآخرين فى إصابات، ولم أفعل ما يسبب أذى للمجتمع، وأننى لم أطرّد من طوكيو، فما زلت ساكناً من سكان طوكيو، المشكلة ليست مشكلة أن أكون سلبياً أو إيجابياً، يجب أن أفحص نفسى طبيئاً، أولاً بالنسبة إلى نبض القلب، لا أشعر بتغير فى نبض قلبى، وبالنسبة إلى حرارة جسدى، لا أشعر بارتفاعها، بالنسبة إلى ضغط الدم، لا أشعر بشىء غريب، لا أشعر باندفاع غير عادى للدم إلى المخ، ولكنى قلق على نفسى".

"ومقارنة نفسى بالمجانين هكذا، يتأكد لى التشابه بينى وبينهم، ما يجعلنى لا أستطيع الفرار من دائرة الجنون، ولكن هذا أسلوب سيئ، أسلوب أن أجعل المجانين معياراً وأقيس نفسى عليهم، فطبيعى أن أصل إلى تلك النتيجة، فإذا جعلت الأصحاء معياراً وقست نفسى عليهم، فرمما أصل إلى نتيجة عكسية، ويجب أن أبدأ من المحيطين بى.

أولاً: أبدأ بعم البروفيسور الفشار ذى المعطف العباءة، إنه غامض وغير مريح.

ثانيًا: القمر البارد، ما وجهة نظري فيه؟ إنه يخرج صباح كل يوم ويحمل وجبة غداء ويظل إلى الليل ينحت في الكرة، وهذا كل ما يفعله، إنه مثل عم البروفيسور الفشار.

ثالثًا: البروفيسور الفشار؟ إنه يعتقد أن عمله الذي خلقه الإله من أجله هو أن يلف على الناس ويفشر عليهم، أكيد أنه مجنون بالخيال الواسع.

رابعًا: زوجة السيد أبو الذهب، إنها شريرة بطبعها، وتختلف اختلافًا تامًا عن أي شخص طبيعي، مجنونة تمامًا دون أدنى شك.

خامسًا: السيد أبو الذهب، لم يسبق لي أن قابلته، ولكن من خلال معاملته لزوجته وتقديرهما المتبادل لبعضهما وانسجامهما الشديد، أستطيع أن أقول بلا تردد إنه إنسان غير عادي، علمًا أن كلمة إنسان غير عادي مرادف آخر لكلمة مجنون، وعليه فليس هناك مانع أن نضيفه إلى من سبق ذكرهم.

ومن التالي؟ نعم نعم يوجد الكثير، الباشوات تلاميذ مدرسة قصر السحب الساقطة، فهم من ناحية السن ما زالوا براعم، ولكن من ناحية الإزعاج، حمقى جدًا لدرجة إزعاج العالم بأسره.

ومن خلال عدد الأشخاص السابق ذكرهم يتضح أنهم جميعًا متشابهون، وهذا جعلني أشعر بأنني على ما يرام، ربما المجتمع هو تجمّع لجميع المجانين معًا، مجانين مجتمعون معًا ولكن يتنافسون مع بعضهم، ويجذبون بعضهم، ويتصارعون مع

بعضهم، ويهجون بعضهم، ويسرقون بعضهم، وهم كمجتمع مثل مجتمع الخلايا الذي تعيش فيه الخلايا على تدمير الخلايا الأخرى كي تستفيد منها في الصعود إلى أعلى، ألا ينطبق ذلك على ما نطلق عليه مجتمع البشر! أليس كذلك! وبين أعضاء هذا المجتمع يوجد عقلاء ولكنهم قليلون، وبما أنهم يستطيعون تمييز الصالح من الخبيث، فتعتبرهم أغلبية الأعضاء عقبة تقف ضد تحقيق أطماعها، ولذلك شيدت لهم ما يُسمى مستشفيات مجانيين، وأجبرتهم على دخولها، وعملت على عدم خروجهم منها، أليس كذلك!

وبناءً عليه، فإن الأشخاص المحبوسين في مستشفيات المجانين بشر عاديون جداً، أما من يعيشون فساداً خارج مستشفيات المجانين هم المجانين، وبما أنهم منعزلون عن المجتمع في مستشفيات، فسوف يستمر الناس في الاعتقاد أنهم مجانيين، ولكن لو خرجوا إلى المجتمع وتعاملوا معه بأسلوبه نفسه، فسوف يعتبرهم المجتمع أشخاصاً أصحاء تماماً، وإن كبار المجانين يستخدمون المال والنفوذ في تحريك صغار المجانين على القيام بأعمال عنف وشر، ورغم ذلك يُقال عنهم رجال عظماء، والأمثلة على ذلك ليست قليلة، لم أعد أفهم شيئاً ولا أفهم ماذا أقول".

وهكذا ظل سيدي الأستاذ "عطسة" طوال تلك الليلة في عزلة، يفكر بعمق شديد مع نفسه بتلقائية شديدة عن الجنون، ويتضح من تفكيره هذا وضوحاً شديداً أنه مشوش الذهن، ورغم أن شاربه مثل شارب قياصرة الروم، فهو طويل

ومرفوع من كلتا نهايتيه، فإنه غبى، لم يستطع التوصل إلى التفرقة بين الشخص السوى والشخص المجنون، لقد أحسن بعرض هذه المشكلة، ورغم أنه فكر بطريقة عقلية منطقية، لكن للأسف لم يستمر في التفكير كي يصل إلى استنتاج، بل توقف فجأة وترك الأمر، فبالنسبة إلى جميع الأمور هو لا يملك المقدرة على التفكير في شيء إلى أن يصل إلى نهايته، إن ما يقوله دائماً كلام عام جداً وفضفاض، كلام لا تستطيع أن تحدد له نتيجة محددة وواضحة، وكما أنك لا تستطيع إمساك دخان التبغ الذى يخرج من أنفه، فأنت لا تستطيع التوصل إلى استنتاج من كلامه، وهذه خصيصة يختص بها، وتتضح في جميع مناقشاته، وحقيقة يجب ذكرها هنا.

أنا قط وربما هذا يجعل البعض يتشكك فيّ ويقول: كيف تكون قطاً، ومع ذلك تصف ما في قلب وعقل سيدك بهذه الدقة! وأقول لهؤلاء بالنسبة إلى القلط هذا شيء يسير جداً، لأننى أعرف فن قراءة الأفكار. وربما يسألنى البعض:

"ومتى تعلمت فن قراءة الأفكار!"

فأقول له:

"هذا شأنى، لا تسأل عما لا يخصك".

وبصرف النظر عن هذا أو ذلك، فأنا أعرف كيف أقرأ أفكار غيرى، فعندما أكون جالساً على ركبة الإنسان ألصق فروق الناعمة ببطنه، فتتولد كهرباء تؤدى إلى حدوث إضاءة، فأرى ما في باطنه.

ومنذ عدة أيام، كان سيدي يربت على رأسي بحنان، ثم فجأة قال: لو نزعت فروة هذا القط وصنعت منها معطفًا، سيكون معطفًا دافئًا جدًّا، لقد خطرت على باله فكرة شديدة الغرابة، جعلت جسمي يرتعد في لحظتها من الرعب، شيء فظيع.

وعلى كل حال، فأنا أشعر بالفخر أنني استطعت أن أنقل لحضراتكم ما يدور في عقل سيدي تلك الليلة، ولكن للأسف بعد أن قال سيدي: لم أعد أفهم شيئًا ولا أفهم ماذا أقول، فقد أخلد إلى نوم عميق، وأكد أنه سوف يستيقظ غدًا وقد نسي ما كان يفكر فيه، والنقطة التي توقف عندها، وإذا افترضنا أنه سوف يفكر بعد ذلك مرة أخرى عن الجنون، فإنه سوف يفكر مرة أخرى منذ البداية، ولكني لا أستطيع أن أضمن لحضراتكم أنه ما دام سيفكر منذ البداية مرة أخرى، سيفكر بالطريقة السابقة نفسها، ولكن ما أستطيع أن أضمنه لحضراتكم أنه سوف يصل إلى النقطة نفسها، نقطة "لم أعد أفهم شيئًا ولا أفهم ماذا أقول".

الفصل العاشر

قالت سيدتى -أى زوجة سيدى الأستاذ "عطسة"- لزوجها:

"أنت، استيقظ، لقد صارت الساعة السابعة صباحًا".

ولا أعلم إذا كان سيدى الأستاذ "عطسة" نائمًا أم مستيقظًا، لأنه كان يرقد على جانبه متجهًا إلى الناحية الأخرى التى لا تواجهها، ولأنه لم يرد على زوجته، وعدم الرد إحدى عاداته السيئة، وعندما لا يجد مفرًا من الرد يقول: "آه"، وحتى هذه الـ"آه"، لا يُخرجها من فمه بسهولة.

نعم هناك نوعية من البشر يشعرون بالكسل حتى لدرجة عدم الرد عليك، ومثل هؤلاء غير محبوبين وخاصة من النساء، وبما أن زوجته التى تعيش معه لا تنظر إليه نظرة تقدير

واحترام، فبالتأكيد إذا قلت إن بقية النساء كذلك فلن أكون مخطئًا، فإذا كانت زوجته التي من عائلته قد نبذته ولا تحبه، فطبعي ألا يكون محبوبًا من جميع النساء الأخريات، وإن كنت لا أرى أهمية للخوض في أسباب أنه غير مرغوب فيه من الجنس الآخر، ولكنه متوهم أنه غير مرغوب فيه من زوجته فقط بسبب كبر سنه، وعمومًا أنا ألمح إليكم قليلاً كي أساعدكم في فهم ما لا أريد قوله صراحة.

ولقد نادته قائلة مرة ثانية:

"حان وقت الاستيقاظ".

في الوقت الذي طلب منها أن توقظه فيه، ولكنه تجاهل نداءها، حتى إنه لم يقل "آ"، فشعرت بأنها أدت واجبها وأنه المسئول وليست هي، فأمسكت بمكنسة وريشة تنظيف، واتجهت إلى حجرة المكتبة وحال وجهها يقول: إذا تأخرت لا تلومن إلا نفسك.

وبدأت أصوات الحركة والضرب تنتشر داخل المكتبة، ما يوحي ببداية النظافة المعتادة مثل كل مرة، وأنا دائماً أندesh من هدف النظافة، هل الهدف هو ممارسة الرياضة أم اللعب! وبما أنني لا أشرك في القيام بالنظافة، فلا ضرر أن أتجاهل ما يحدث، ولكن يجب أن أقول إن طريقة سيدة المنزل في القيام بالنظافة طريقة عقيم، بمعنى أنها تقوم بالنظافة بطريقة روتينية، على أساس شعورها بأنه عمل مفروضة تأديته فقط.

فمررت ريشة التنظيف على الأبواب والحوائط، وسحبت المكنسة على الحصير كما تفعل كل مرة، وهذا هو كل ما تفعله، دون تفكير ولو قليل في أسباب القيام بالتنظيف ونتيجته، فهي تنظف الأماكن النظيفة كل يوم، وتترك الأماكن غير النظيفة كما هي، تترك الأماكن التي بها أتربة كما هي، وطريقتها في النظافة ينطبق عليها المثل القائل: "ظاهر ليس له باطن"، ولكن ربما فعل الشيء حتى لو بطريقة سيئة أفضل من عدم فعله، وبصرف النظر عن طريقتها في التنظيف، فإن قيامها بالتنظيف ليس من أجل زوجها وليس توددًا له، ورغم ذلك فإن بذل جهد في القيام بالتنظيف كل يوم جانب عظيم في شخصيتها، والعلاقة بين سيدتي والنظافة علاقة قديمة مستمرة منذ سنوات طويلة، وتحولت إلى عادة، وصارت طريقتها في التنظيف طريقة محددة الشكل لا تحيد عنها، وتؤديها بطريقة آلية، وهي الطريقة نفسها التي كانوا يستخدمونها قبل أن تولد سيدتي، وقبل أن يتم اختراع المكنسة وفرشاة التنظيف، والعلاقة بين المكنسة وفرشاة التنظيف علاقة شكلية قائمة على اختلاف في المسميات فقط، وليست علاقة قائمة على اختلاف في المحتوى، اختلاف شكلي فقط كما هي الحال في العلاقة بين سيدتي والنظافة.

وبالنسبة إليّ، فأنا مقارنةً بسيدتي الأستاذة "عطسة" دائمًا أستيقظ مبكرًا، ولذلك فأنا أشعر الآن بالجوع، وبما أن أهل المنزل لم يتناولوا وجبة الإفطار بعد، فإنني كقط طبيعي ألا أتناول الطعام قبلهم، وهذا دليل على نظرة البشر لنا القطط

أنا جنس وضع، وعمومًا عندما أتخيل رائحة الحساء الساخن وهو موضوع في الإناء الخاص بي ويتصاعد منه البخار، لا أستطيع تحمل الجوع، وعندما تتخيل شيئًا تريد الحصول عليه، ولا تستطيع الحصول عليه، فالأفضل أن تستمر في التفكير فيه وتخيله، ولكن في الواقع، لن تستطيع الاستمرار في التفكير فيه وتخيله، بل سوف تسعى لجعل ما تفكر فيه وتتخيله وترغب في حدوثه واقعًا، ولكن بالتأكيد سوف تفشل في تحويل خيالك إلى واقع ما يجعلك تشعر بالحسرة، وإلى أن تقتنع بأنك فشلت في تحويل الخيال إلى واقع فليست لي علاقة بك.

لم أعد أستطيع تحمل الجوع أكثر من هذا، ذهبت إلى المطبخ، ثم نظرت في إنائي الخاص بتناول الطعام الموضوع بجانب إناء الطهو، وكما توقعت، ما زال خاليًا كما هو منذ لحست كل ما كان فيه ليلة أمس، وكان يلمع لمعانًا غريبًا بفعل أشعة شمس بداية موسم الخريف، التي تسقط عليه من طاقة التهوية الموجودة قرب السقف، ولقد نقلت الخادمة الأرز الذي طهته من إناء الطهو إلى إناء آخر، والآن تقوم بتقليب طعام آخر داخل إناء آخر موضوع على موقد آخر، وقد انسكب سائل الأرز على حواف إناء الأرز وسال فوق سطحه الخارجي والتصق به بشدة دون أي تعرجات، فبدأ مثل ورقة ناعمة تغطي السطح الخارجي للإناء، وهذا كان دليلًا على أن الأرز قد نضج وصار صالحًا للتناول، وعلى هذا فإن الشعور بالإحراج في طلب تناول الأرز كلام سخيف، ولو افترضت أنني طلبت أن أتناول الأرز ولم أصل إلى مرادى فلن أخسر شيئًا،

ولذلك قررت أن أطلب تناول طعام الإفطار، وإن كنت لست مثل بشر المنزل، لكنى جائع، فأصدرت أصوات مواء رقيقة تدل على الاستعطاف والشكوى أو الحقد.

ولكن الخادمة لم تلتف إليّ، وبها أننى أعلم أن الخادمة ذات الوجه المنتفخ باردة المشاعر بالفطرة، فمن أجل استجداء عطفها لم تكن هناك إلا طريقة تمثيل البكاء بمهارة، وفعلاً أصدرت المواء الذى يعبر عن الحزن، بكاء يجعلك تشعر كأن الباكي ابن سبيل ترك وطنه وسافر دون زاد ولا زواد ويعانى الحزن والألم الشديد كأن أمعاءه تتقطع.

ولكن الخادمة لم تلتفت إليّ وظلت تتصرف بطريقة عادية كأن ليس لى وجود إطلاقاً، فقلت لنفسى ربما تكون صماء، ولكن كيف تكون صماء وتعمل خادمة! أو ربما لا تسمع أصوات القطط فقط! أعلم أن هناك من لا يستطيع رؤية بعض الألوان، ولكنهم يعتقدون أنهم يستطيع رؤية جميع الألوان، والأطباء يطلقون على مثل هذ الشخص "أحول بصرياً"، وبناء عليه فأکید أن الخادمة لا تستطيع سماع بعض الأصوات مثل أصوات القطط.

وهذا يعنى أنها أكید "حولاء سمعيّاً"، ورغم أنها "حولاء سمعيّاً" فإنها متكبرة إلى درجة لا يمكن تحملها، حتى فى منتصف الليل، عندما أكون مضطراً إلى الخروج لقضاء الحاجة، وأطلب منها أن تفتح لى باب المنزل، لا تفعل ذلك مطلقاً، حتى لو أخطأت وفتحت لى، تغلقه وأنا فى الخارج بمزلاج ولا تُدخلى إطلاقاً، حتى فى ليالى الصيف حين يكون الندى كالسم،

لا تفتح لي، وطبعًا عندما ينزل الصقيع أضطر إلى الوقوف أسفل المنزل منتظرًا مجيء الصباح، معاناة لا يستطيع أحد تخيلها أبدًا، ومنذ عدة أيام طردتني ليلاً من المنزل، فهاجمنى كلب شوارع، فشعرت بخطر شديد، وبعد معاناة استطعت الصعود فوق سطح المخزن، وظللت أنتفض طوال الليل من البرد والخوف، وكل هذه المصائب بسبب الخادمة متبلدة المشاعر. وطبيعي أن شخصًا متبلد الأحاسيس مثلها، لن تتحرك مشاعره ويستجيب لبكائي، وهنا ليس أمامي إلا أن أفعل مثل ما يفعله جميع البشر، أي أن أتضرع للإله أن يساعدني، أو أن أسرق تحت ضغط الحاجة.

وأصدرت مواء مرتين، وفي المرة الثالثة أصدرت مواءً طويلًا جميلًا، لا يقل جمالاً عن سيمفونيات بتهوفن، ولكن لا حياة لمن تنادى. وبعد ذلك جلست الخادمة على ركبتيها وسحبت درجًا وأمسكت بقطعة فحم طولها نحو ١٢ سنتيمترًا وأخرجتها من داخل الدرج، ثم ضربتها على حافة الموقد فانقسمت إلى ثلاثة أجزاء، وتناثرت ذرات الكربون حول الموقد فصار المكان أسود اللون، وبعض ذرات الكربون سقطت على الحساء، ولكنها ليس من النوع الذي يعير تلك الأمور اهتمامًا، ثم أسرع بحشر أجزاء الفحم الثلاثة خلف إناء الطهو داخل الموقد، واستمرت في تجاهل سيمفونيتي.

فشعرت بالإحباط، وأنه لا فائدة من محاولة الحصول على طعام، ولم يكن أمامي إلا أن أعود منحني الرأس إلى حجرة المعيشة، ولكن في أثناء رجوعي إلى حجرة المعيشة مررت

بجانب حجرة حمام الاستحمام، فسمعت صياح البنات الثلاث وهن يغسلن وجوههن، ولكن في الواقع بالنسبة إلى غسيل الوجه، فإن البنتين الكبيرتين تلميذتان في رياض الأطفال، أما البنت الصغرى فهي صغيرة جدًا لدرجة أنها لا تستطيع أن تتحرك إلا ممسكة ذيل رداء أختها الكبيرة، ولذلك لا تستطيع أن تمسك بأدوات التنظيف وتغسل وجهها بمفردها.

ومن داخل دلو سحبت البنت الصغرى قطعة قماش مبللة ومسحت بها وجهها كله، وأكد أنها شعرت بالضيق مما فعلت، ولكن ليس عجبًا أن تفعل ذلك، إذ كانت تصيح عندما يكون هناك زلزال:

"شيء مفرح، أنا سعيدة".

ولكن الأخت الصغيرة تعتقد أنها على صواب، ولذلك لم تستجب لتوجيهات أختها الكبيرة، ثم قالت:

"لا، بابو".

ثم جذبت قطعة القماش ناحيتها، ولا أحد يعرف ماذا تعنى كلمة "بابو" ولا مصدرها، ولكن عندما تغضب هذه الطفلة، دائمًا تقول "بابو"، وكانت قطعة القماش تتحرك يمينًا ويسارًا نتيجة لجذب كلتا الأختين إياها، وكانت قطرات الماء تتساقط من وسط قطعة القماش، ثم مع الجذب سقطت ناحية قدم الأخت الصغيرة، ولو كانت سقطت على قدمها فقط لكانت تحملت، ولكنها سقطت على ركبتيها فتبللت ركبتيها بشدة، وكانت ترتدى رداء "جِنزُوكُو" فتبلل رداؤها أيضًا، ولم أكن أعلم

ما المقصود برداء "جنروكو"، ولكنى سألت وعلمت أنه رداء طويل مطرز بنقوش زاهية ومتوسطة الحجم، وإني مندهش دهشة كبيرة أن طفلة صغيرة كهذه تعرف كلمة رداء "جنروكو"، ولا أعرف من الذى قال لها إن ذلك الرداء اسمه "جنروكو".

فقد قالت لأختها الصغيرة بطريقة ذكية:

"اتركى قطعة القماش كى لا يتبلل رداؤك أكثر".

علمًا أن الأخت الكبيرة كانت لا تعرف الفرق بين كلمة "جنروكو" وكلمة "سوجوروكو" (لعبة الطاولة)، وكانت تستخدمهما بالعكس حتى وقت قريب.

ولقد جعلتنى كلمة "جنروكو" أتذكر أن تلك الطفلة تخطئ فى نطق عدد لا حصر له من الكلمات، ما يجعل الكبار يضحكون، فمثلاً بدلاً من أن تقول تطاير من النار الـ "hinoko" أى "الشرر"، تقول تطاير من النار "kinoko" أى "المشروم"، وبدلاً من أن تقول ذهبت إلى مدرسة البنات بمنطقة "ocha no mizo" أى "ماء الشاي"، تقول "ocha no miso"، أى "حساء الشاي"، وبدلاً من أن تقول أنا لست ابنة صاحب "uradana" أى "المتجر الموجود فى الخلف"، تقول أنا لست ابنة "waradana"، أى "متجر القش"، وعندما يسمع سيدي الأستاذ "عطسة" هذه الأخطاء يضحك، ولكنه عندما يذهب إلى المدرسة ويُعَلِّم التلاميذ لغة إنجليزية، يخطئ هو أيضاً أخطاء مضحكة، ولكنه يقولها بطريقة جادة معتقداً أنها صواب.

ولا تقول البنت الصغيرة عن نفسها "بويا/bouya"، أى "أنا"، بل تخطئ في النطق وتقول "بوبا/bouba"، وعندما شاهدت رداءها تبلل بشدة بكت وقالت:
"الرداء بارد جداً".

فجاءت الخادمة مسرعة من المطبخ وأخذت منها قطعة القماش المبللة وجففت رداءها المبلل، وفي أثناء كل هذه الضوضاء، كانت الوحيدة الهادئة فيهن هى الأخت الوسطى "سنقو". ظلت "سنقو" متجهة إلى الناحية الأخرى، حيث أسقطت من فوق الرف العالى برطمان مسحوق أبيض لتزين الوجه، وفتحته وأخذت في تزيين نفسها، وفي البداية غرست إصبعها في برطمان المسحوق الأبيض وأخذت كمية كبيرة ووضعتها فوق أنفها من مقدمته ورسمت فوقه خطأً أبيض، فظهر أنفها بطريقة ضخمة، ثم غرست إصبعاً آخر في البرطمان ووضعتة على وجنتيها، فانتفخت وجنتاها بسبب المسحوق الكثير الذى وضعتة، وفي اللحظة التى انتهت من تزيين وجهها كما أرادت، دخلت الخادمة فجففت رداء الأخت الصغيرة، ومسحت وجه الأخت الوسطى، فزال كل المسحوق الأبيض، فبدأ على وجه الأخت الوسطى الضيق مما فعلته الخادمة.

وبعد أن شاهدت هذا المنظر، رجعت إلى حجرة نوم سيدي الأستاذ "عطسة"، كي أعرف إذا كان استيقظ أم لا، فاخترت النظر في سريّة تامّة، فبحثت عن رأسه ولكنى لم أجده، وبدلاً من ذلك شاهدت ساقاً طولها نحو ٢٦ سنتيمترًا ذات عظام كبيرة، تخرج من أسفل الغطاء، وهذا لأنه وضع الغطاء فوق

رأسه كي لا يستطيع أحد أن يوقظه، فخرجت ساقه من الناحية الأخرى، وصار منظره مثل ذكر السلحفاة، وبالنسبة إلى زوجته فقد أنهت تنظيف حجرة المكتبة، ثم جاءت إلى حجرة النوم وهي تحمل المكنسة وفرشة التنظيف، وفعلت مثلما فعلت سابقاً، فوقفت خارج باب الحجرة وقالت:

"ألن تستيقظ؟"

ووقفت برهة، فشاهدت الغطاء ولم تشاهد رأس زوجها، ولم تصدر منه إجابة، فاقتربت خطوتين من باب الحجرة، وضربت بعصا المكنسة بقوة وقالت:

"ألن تستيقظ؟ هل تسمعني؟"

وانتظرت الإجابة، وكان هو مستيقظاً من قبل ذلك، وكان مستعداً لصد هجوم زوجته، فقد وضع جسمه بما في ذلك رأسه تحت الغطاء، فإذا فعل ذلك فلن تنتبه لوجوده فتركه، ولكنها لم تنخدع بتلك الحيلة، وبدا عليها أنها لن تتركه ينام أكثر من هذا، وعندما صاحت المرة الأولى أن يستيقظ كانت تجلس على عتبة الحجرة، أي نحو مترين منه، فشعر بالأمان كونها بعيدة عنه، ولكنه سمع بعد ذلك صوت ضربة عصا المكنسة على بعد نحو متر فانفزع، ليس هذا فقط، ولكنه سمعها مرة ثانية تقول:

"ألن تستيقظ؟ هل تسمعني؟"

وشعر بأن صوتها هذه المرة ضعف صوت المرة السابقة علوًا، فقد سمعه بوضوح وهو تحت الغطاء، فعلم أنها اقتربت منه جدًا، فلم يجد مفرًا إلا أن يقول لها بصوت خفيض:
"آ".

فقالت:

"المفروض أن تكون هناك قبل الساعة التاسعة، إذا لم تستيقظ بسرعة سوف تتأخر عن الموعد".
فأجاب وهو ينظر إليها من داخل كم رداء النوم:
"لا داعي لكل هذه الجلبة، سوف أقوم الآن".

وبالنسبة إلى الزوجة دائمًا تثق بأنه عندما يقول سوف أنهض فسوف ينهض، ولكن تكتشف بعد ذلك أنه خدعها ولم ينهض من الفراش، ولذلك قررت ألا تتركه يخدعها هذه المرة كما كان يفعل سابقًا، فقالت له بحدة:
"هيا انهض".

و"انهض" أمر يدل على "إننى لن أتركك تخدعنى"، وهنا خلع سيدي الأستاذ "عطسة" من رأسه رداءه الذى يرتديه، ففوجئت أن عينيه مفتوحتان، ثم قال:

"ما كل هذه الجلبة التى تتسبب فىها؟ إن قلت سوف أنهض، هذا يعنى أننى سوف أنهض".

الزوجة:

"أنت دائما تقول سوف أنهض، ولكنك لا تنهض".

الزوج:

"هذا كذب، متى حدث هذا؟"

الزوجة:

"دائمًا يحدث ذلك".

الزوج:

"توقفى عن الكذب".

فوقفت بجانب الوسادة وضربت بعصا المكنسة ضربة قوية
وقالت بشجاعة:

"من الكذاب، أنا أم أنت؟"

وفي هذه اللحظة صاح الطفل "يَتَشَنُّ" الذى هو ابن
صاحب عربة الدفع باليد والذى يسكن خلف منزلنا، صاح
بإكياً بكاءً شديداً وبصوت عالٍ، وكلما صاح سيدي الأستاذ
"عطسة" غضبًا، صاح "يَتَشَنُّ" بكاءً، وذلك بناءً على أوامر أمه،
ربما تجعل ابنها يبكى كلما صاح سيدي الأستاذ "عطسة" غضبًا،
لأنها تحصل على مال مقابل ذلك من السيد "أبو الذهب"،
ولذلك تجعل ابنها يبكى من الصباح حتى المساء. وهنا أنتهز
هذه الفرصة كي أقول لسيدي الأستاذ "عطسة" ألا يغضب كثيرًا
من أجل الحفاظ على حياة "يَتَشَنُّ"، وأقول لأمه ليس لأنك
تحصلين على مقابل البكاء من السيد "أبو الذهب" أن تجبريه
على البكاء دون توقف، وإلا تكونين مجنونة أكثر من السيد
"تندو".

وإذا كانت المشكلة أن "يَتَشَنُّ" يجب أن يبكى في كل مرة يصيح سيدي الأستاذ "عطسة" غضبًا، لكانت مشكلة هينة، ولكن كلما حرض السيد "أبو الذهب" بلطجية لمضايقة سيدي الأستاذ "عطسة"، وجب على "يَتَشَنُّ" أن يبكى، وكان يبكى أيضًا قبل أن يتضح إذا كان سيدي الأستاذ "عطسة" سوف يغضب أم لا، فإذا شعرت أم "يَتَشَنُّ" أن سيدي الأستاذ "عطسة" سوف يغضب، فتجعل "يَتَشَنُّ" يبكى، وبهذا تغيظ سيدي الأستاذ "عطسة" بسرعة، فعندما تغيظ "يَتَشَنُّ" ولو قليلاً فيبكي فيكون ذلك سببًا كافيًا كي يغضب سيدي الأستاذ "عطسة". ويقال إنه قديمًا في أوروبا عندما كانوا يحكمون على مجرم بالإعدام شنقًا ويهرب ذلك المجرم إلى خارج الدولة، كانوا يصنعون له تمثالًا دمية ويحرقونها بدلاً من ذلك المجرم، ويبدو أن من ضمن من يستخدمهم السيد "أبو الذهب" بلطجية مثل من يظهرون في الحكايات التي تتحدث عن أوروبا قديمًا، كأنهم تعلموا من هؤلاء الأوروبيين فن وضع الخطط، فهم يغيظون عدوهم فيغضب، وفي النهاية يهرب من المكان. بالتأكيد مدرسة قصر السحب الساقطة وأم الطفل "يَتَشَنُّ" أعداء يغيظونه، ولكن يصعب الإيقاع بهم، وهناك من الأشياء الأخرى الكثير الذي يغيظ سيدي الأستاذ "عطسة"، أو بالأحرى هناك ما يغيظه من أهل مدينة طوكيو، ولكن ذلك ليست له علاقة بموضوعنا الحالي، ولذلك سوف أتحدث عندها بالتدريج، قليلاً ثم قليلاً على مراحل.

وفجأة سمع سيدي الأستاذ "عطسة" صوت بكاء "يَتَشَنُّ"، فشر بالغضب الشديد منذ الصباح الباكر وقفز فوق الغطاء، وهكذا نسي التدريب النفسى والفيلسوف "جدى" وكل هذه الأشياء، ثم فرك يديه عدة مرات وفرك بهما شعر رأسه، فسقطت القشرة التى كانت فى شعره على رقبتة وياقة رداء النوم، وكان هذا منظرًا عجيبيًا. أما بالنسبة إلى شاربه، فإن خصلات شعر شاربه ذات منظر عجيب أيضًا، فهى تقف كالذبابيس، ربما أنها تعتقد أنها لا يجب أن تهدأ وتنام لأن صاحبها غاضب، ولذلك فكل خصلة تقف غاضبة متجهة إلى الناحية التى ترغب فى الاتجاه إليها وتفعل ما تراه هى، وقد كان هذا منظرًا غريبًا، فلقد كانت أمس أمام المرأة منظمة ومصطفة معًا مثل شارب معالى قيصر ألمانيا، ولكن بعد نوم يوم واحد نسيت ما تدربت عليه من نظام واصطفاف وكل شىء، فقد عادت الآن إلى منظرها الأسمى، عادت إلى ما كانت عليه سابقًا، مثلما زال أثر التدريب النفسى الذى مارسه سيدي الأستاذ "عطسة" ليلة كاملة، فلقد عاد إلى طبيعته الخنزيرية التى وُلِدَ بها. وعندما أفكر كيف أن رجلاً وحشيًا مثل سيدي الأستاذ "عطسة" ويملك شاربًا وحشيًا مثل هذا استطاع أن يعمل مدرسًا دون أن يُقال من عمله حتى الآن، أكتشف أننى فهمت أن اليابان بلد كبير، بالتأكيد لأنه كبير فشخص مثل السيد "أبو الذهب" وكلابه البشرية يستغلونه، بل أنا صرت متأكدًا من أنه ف حين أن السيد "أبو الذهب" ورجاله يستغلونه، لا يوجد سبب يجعل شخصًا مثل سيدي الأستاذ "عطسة" يُقال من وظيفته، وإذا لم تفهم ما أقول عليك بإرسال

رسالة إلى السيد "تندو" في مستشفى المجانين وتساءله وسوف تفهم في الحال.

وفجأة نظر سيدي الأستاذ "عطسة" نظرة إمعان شديدة، تلك النظرة التي تحدثت عنها سابقًا، نظرة التوهان، نظرة الغموض، النظرة التي لا تفهم منها ماذا يريد، أكيد أنه ينظر إلى الدولار الذى هناك، وارتفاع الدولار نحو متر ونصف، ويتكون من جزئين، وعرض الجزء السفلى يصل إلى مكان وضع فرشاة النوم، وعليه عندما يستيقظ سيدي الأستاذ "عطسة"، طبيعى أن يجد أمام عينيه هذا الدولار، وفوق درف الجزء السفلى معلقة لوحات ورقية للزينة، بعضها يحتوى على كتابات بخط مطبوع، وبعضها بخط باليد، وبعضها معلق بطريقة مقلوبة، الأعلى أسفل والأسفل أعلى، والبعض بطريقة عكسية، الظهر أمام، والأمام في الظهر، وأخذ سيدي الأستاذ "عطسة" ينظر بإمعان إلى تلك الكتابات كي يعرف محتواها، علمًا بأنه قبل قليل كان غاضبًا جدًا لدرجة أنه كان يريد أن يمك بزوجة صاحب عربة اليد من رأسها ويدفع وجهها في شجرة الصنوبر، ويبدو شيئًا عجيبيًا أن يتحول اهتمامه فجأة من التفكير في طفل الجار وأمه إلى قراءة المكتوب على الدولار، ولكن في الواقع ليس غريبًا عليه أن يفعل ذلك، إنه مثل الطفل الذى عندما يبكى بشدة تعطيه أى شىء فيضحك فورًا، وقديمًا كان سيدي الأستاذ "عطسة" يقيم في حجرة معبد مقسمة إلى جزئين بفواصل خشبي، كان هو يقيم في جزء، وخمس راهبات يقمن في الجزء الآخر، وفي الأصل الراهبات سيئات، وأسوأ هؤلاء الخمسة

فهمت شخصية سيدي الأستاذ "عطسة" جيداً، فأحضرت إناءً حديدياً وأخذت تطبل على الإناء وتغنى:

الغراب بكى فجأة وضحك فجأة، الغراب بكى فجأة وضحك فجأة
ومنذ ذلك الحين صار سيدي الأستاذ "عطسة" يكره
الراهبات جداً، وبصرف النظر عما إذا كان يكره الراهبات أم لا
فإن ما قالته الراهبة صواب تماماً، فإن سيدي الأستاذ "عطسة"
يبكى ويضحك ويفرح ويحزن ضعف الشخص العادي، ولكن لا
يستمر في ذلك طويلاً، بمعنى أن قلبه لا يثبت على شيء معين
طويلاً بل يتقلب بسرعة، وبطريقة كلام سهلة تكون مفهومة
للعامّة أقول إنه طفل مدلل لا يفكر بعمق، بل سطحى
وعنيد، ورغم أنه استيقظ كي يتشاجر، فإنه فجأة تغير وبدأ
يقرأ المكتوب على الدولاب. يا له من إنسان غريب الأطوار.

وأول ما سقطت عينا سيدي الأستاذ "عطسة" عليه من
الأوراق المعلقة على الدولاب كان صورة مقلوبة للسيد "إيطو"،
وكان مكتوباً فوقها عام ١٨٧٨م، ويبدو أنه كان يريد أن يعرف
ماذا كان يعمل ذلك الرجل في تلك الفترة التي كانت فيها
كوريا تحت الحماية اليابانية، فقرأ كلمة "جنرال"، وسأل نفسه
ماذا كان يفعل؟ فقرأ أنه كان وزير مالية كوريا، فقال لنفسه،
كان شخصية عظيمة، رغم أن صورته مقلوبة لكن كان وزير
مالية.

أما في الناحية اليسرى فقد كانت لذلك الوزير صورة ورأسه
على الجانب ينام القيلولة، كأنه لا يريد أن يقف على رأسه
طويلاً كما في الصورة السابقة.

وأسفل ذلك مكتوب "أنت"، ولكن المكتوب بعد ذلك غير واضح، وفي السطر التالى مكتوب "بسرعة"، ولكن لا يوجد شيء مكتوب بعد ذلك، والمكتوب فى هذه الأوراق غير مفهوم لوجود أوراق أخرى فوقها تحجب الرؤية، ولكن لو كان سيدى الأستاذ "عطسة" شرطياً سرياً لكان نزع الأوراق التى تحجب الرؤية عن الأوراق التى يريد قراءتها، فالشرطة السريون لا يحصلون على تعليم عالٍ، ولذلك يفعلون أى شيء كى يحصلوا على المعلومات التى يريدونها، ولكن هذا عمل مشين، وأنا أرجوهم ألا يفعلوا ذلك، وليس مهمًا أن يصلوا إلى الحقيقة إذا كان يجب عليهم أن يفعلوا أى شيء من أجل الوصول إلى الحقيقة، وعلى حسب ما سمعت، إنهم يلفقون الدلائل كى يدينوا الأبرياء، وإن الأبرياء يدفعون لهم نقودًا كى يدينوا صاحب العمل، وهذا قمة الجنون.

وعندما نظرت إلى الوسط وجدت خريطة مقلوبة لمحافظة "أويطا"، وإذا كان الوزير "إيطو" يقف بالمقلوب، فطبعى أن تقف "أويطا" أيضًا بالمقلوب.

وعندما وصل سيدى الأستاذ "عطسة" فى القراءة عند هذا الحد رفع كلتا قبضتيه إلى أعلى استعدادًا للتأؤب، وتأؤبه كان شديد الغرابة، كان صياحًا يأتى من بعيد مثل صوت الحوت، وبعد أن انتهى من هذا الاستعراض، بدل ثيابه ببطء، ثم ذهب إلى حيث حوض غسيل الوجه، فدخلت الزوجة التى ظلت منتظرة استيقاظه حجرة النوم، لفت فراش النوم وطبقت رداء النوم، ثم بدأت عملية النظافة الاعتيادية، وكما تقوم هى

بالنظافة بطريقة اعتيادية، يقوم سيدي الأستاذ "عطسة" أيضًا بغسل وجهه بطريقة اعتيادية، وكما ذكرت سابقًا كان يغنى بصوت غريب كأنه صوت عطس أو زغطة أو نهيق، ثم فَرَقَّ شعره، ثم وضع المنشقة على كتفه وذهب إلى منضدة الطعام، حيث جلس بجانب المدفأة.

وعندما أقول "مدفأة" يتخيل البعض المدفأة المصنوعة من أخشاب شجر "زيلكوف سيراتا" بمنظرها الجميل، أو المصنوعة من النحاس الأصفر اللامع، وبجانبها فتاة جميلة قد غسلت شعرها حالاً تجلس على ركبتيها أمام المدفأة وتضرب الغليون على حافتها المصنوعة من خشب أشجار الكاكا كي تسقط الرماد وتغير التبغ، ولكن مدفأة سيدي الأستاذ "عطسة" ليست جميلة مثل ذلك مطلقاً، فهي مدفأة قديمة لدرجة أنك لا تستطيع أن تحدد المادة المصنوعة منها، علمًا بأن المدفأة العادية تكون مدونة عليها في مكان لامع بيانات صناعتها مثل اسم الصانع ومادة الصنع، ولكن هذه المدفأة غير واضحة عليها هذه البيانات، ولذلك لا تستطيع معرفة المادة المصنوعة منها هذه المدفأة، وما إذا كانت من خشب "زيلكوف سيراتا" أو أخشاب شجر "الكرز" أو "شجر بولونيا"، ويبدو أنه لم ينظفها قط من قبل، فعليها كم غبار لا حصر له.

وإذا سألت سيدي الأستاذ "عطسة" من أين اشتريت هذه المدفأة، لن يتذكر أبدًا من أين، وإذا سألته: إذًا هل هي هدية من أحد، فلن تجد من أهدها إياها، وإذا قلت له: هل يعنى هذا أنك سرقتها؟ فسوف تجد إجابة غامضة المعنى، والموضوع

أنه منذ فترة طويلة كان له أحد الأقارب يقيم في منزل، ولكن عندما مات ذلك القريب طُلب منه أن يحرس ذلك المنزل، ولكن عندما أسس أسرة ترك ذلك المنزل فأخذ معه المدفأة التي كانت فيه والتي اعتاد استعمالها باستمرار في أثناء إقامته في ذلك المنزل، ربما اعتقد أنها صارت ملكه بوضع اليد، وهذا سلوك سيئ.

طبعًا سلوكه سيئ، ولكن هذه النوعية من السلوكيات السيئة تحدث دائمًا في هذه الدنيا، فمثلًا من يعمل في مصرف يتعامل مع نقود العملاء كأنها نقوده الشخصية، والموظف الحكومي خادم الشعب، ولقد فوضه الشعب بالإجابة عنه في القيام ببعض الأمور، ولكنه يستغل ذلك التفويض كل يوم في العمل ليفعل ما يريد، كأن ذلك حقه الشخصي الطبيعي وليس تفويضًا من الشعب، ويغضب بشدة إذا سأله أحد من الشعب ماذا تفعل، لأنه يعتقد أنه ليس لأحد حق سؤاله عما يفعل بذلك التفويض، وبما أن هذه الدنيا مليئة بمثل هؤلاء البشر، فليس من حقنا أن نحكم على سيدي الأستاذ "عطسة" أنه لص بالفطرة لأنه أخذ المدفأة التي اعتاد استخدامها وقت أن كان يحرس منزل قريبه، ولكن إذا اعتبرناه لصًا بالفطرة، فهذا يعنى أن جميع البشر لصوص بالفطرة.

جلس سيدي الأستاذ "عطسة" أمام منضدة الطعام وإلى جانبه المدفأة، وإلى الجانب الآخر الابنة الصغيرة التي كانت تدعك وجهها بقطعة قماش النظافة وبدلاً من أن تقول عن نفسها "بويا /bouya" أى "أنا"، تخطئ في النطق وتقول "بوبا/

"bouba"، والابنة الكبيرة "طونقو" التى تذهب إلى مدرسة منطقة "حساء الشاي/ocha no miso" كما تنطق الابنة الصغرى خطأ، والصواب منطقة "ماء الشاي/ocha no mizo، والابنة الوسطى "سونقو" التى كانت تغرس إصبعها فى برطمان المسحوق الأبيض لتزين الوجه، وبدأوا يتناولون طعام الإفطار معًا.

ثم بدأ سيدى الأستاذ "عطسة" يتفحص وجوههن بالتساوى، وكان وجه الابنة الكبيرة "طونقو" دائريًا مثل الدائرة الحديدية الموجودة فى السيف التى تفصل بين نصل السيف والمقبض، وكان وجه الابنة الوسطى "سونقو" يشبه قليلاً وجه أختها الكبيرة ولكنه دائرى وأحمر مثل الصوانى الدائرية المصنوعة فى جزيرة أوكيناوا، ولكن "بوبا" أى الأخت الصغرى التى تخطئ وتقول دائماً "بوبا" لها وجه يختلف عن أختها الكبيرة والوسطى، فهو وجه مستطيل، ولكن إذا كان وجهها طويلاً رأسياً، فليس وجهًا نادرًا، إذ توجد وجوه كثيرة مثل ذلك، ولكن وجهها طويل أفقيًا، ونحن نعلم أن هناك أشياء تتغير وتنتشر ونقول عنها "ظاهرة" أو "موضة"، ولكن أن تتغير الوجوه فتصير طويلة أفقيًا وتنتشر، أى أن تصير الوجوه الطويلة أفقيًا ظاهرة أو موضة، فهذا شيء عجيب.

وعندما كان ينظر سيدى الأستاذ "عطسة" إلى أطفاله، استغرق فى التفكير فى أحوالهن، فيجب أن يربيهن، لأنهن ما زلن أطفال، ولكنه لا يستطيع تحمل أعباء تربيتهن، وخاصة أنهن يكبرن بسرعة كبيرة، مثل جذور الخيزران الموجودة فى المعبد القريب التى تنمو بسرعة كبيرة وتتحول إلى أشجار، وكلما شعر سيدى

الأستاذ "عطسة" أنهن كبرن، شعر بالقلق، كأنه لص يحاول الهرب ولكن الشرطة أوشكت على القبض عليه، يعلم جيداً أنهن بنات وهذا يعنى تحمل مسئولية أكبر ومعاناة أكثر، يعلم ذلك ويعلم أنه لا يستطيع التملص من تحمل أعباء تلك المسئولية، فهو يشعر أنهن بالنسبة إليه مشكلة لا يمكن الخلاص منها، فالإنسان يشعر أن الإنجاب مشكلة ومع ذلك ينبج، وهذا هو التفكير البشرى، فالبشر لهم تفكير غريب لا يمكن أن نراه في أى كائنات أخرى، وإذا أردنا وضع تعريف للبشر يكفى أن نقول: إن البشرى هو الكائن الوحيد الذى يفعل ما يؤدى إلى معاناته.

فعلاً الطفلات لا يفكرن إلا في أنفسهن، فهن ينهمكن في تناول الطعام بسعادة، ولا يفكرن ولا حتى في الأحلام كيف أن أباهن يرى أنهن مشكلة لا حل لها، وأكثرهن مشكلة للأب ابنة الصغيرة "بوبا"، ولأن سنها ثلاث سنوات فقط، فإن أمها تتعامل معها بناءً على صِغَر سنها، فتضع لها على مائدة الطعام ما يناسب سنها من أعواد طعام صغيرة وإناء عميق صغير لوضع الطعام، ولكن "بوبا" ترفض رفضاً تاماً استخدام تلك الأعواد الصغيرة والإناء الصغير، وتخطف إناء وأعواد أختها الكبيرة، وتستخدمها رغم أنها غير مناسبة لسنها، والنتيجة أنها استخدمتها بطريقة همجية، وعندما ننظر إلى الدنيا سوف نجد الأقزام الذين لا يملكون مواهب خاصة أو قدرات عالية يتسلقون إلى المناصب العليا التى لا تناسبهم مطلقاً، ولكن شخصيتهم هذه نشأت منذ أن كانوا في سن "بوبا"، وعليه فإن

ما يترتب على ذلك من نتائج، فهي نتائج خطيرة، ولا يمكن إصلاح تلك الشخصيات أبدًا بعد ذلك، سواء من خلال التعليم أو من خلال مشاهدة القادة الأكفاء والقدوة الحسنة، لا فائدة من محاولة إصلاحهم.

خطفت "بوبا" عنوة أعواد طعام وإناء طعام أختها الكبيرة، وبدأت تستخدمها لطعامها فقط بطريقة عنيفة همجية، ورغم أنها لا تجيد استخدامها، فهي مصممة على استخدامها، ولذلك ليس أمامها إلا أن تستخدمها بطريقة غاية في العنف والهمجية لا تتفق مع آداب تناول الطعام، إذ أمسكت "بوبا" بأعواد الطعام من أعلاها ودفعتها بقوة تجاه قاع الإناء، ويحتوى على أرز وحساء فول الصويا، والأرز يغطى ثمانية أعشار الإناء، في حين يرتفع الحساء إلى أعلى الإناء، وعندما دفعت "بوبا" أعواد الطعام بشدة في الإناء، اصطدمت الأعواد بقاع الإناء ما أدى إلى انحرافها مئة وثلاثين درجة، فاختل توازن الإناء فانسكب الحساء فوراً على صدرها، ولم تكتفِ "بوبا" بذلك، للأسف إنها فتاة عنيفة، فلقد سحبت بقوة الأعواد التي كانت قد غرستها في قاع الإناء، ثم حملت الإناء ووضعت حافته على حافة فمها ودفعت الأرز الذى سعد من سحب الأعواد تجاه فمها، ولكن الأرز الذى كان مختلطاً بالحساء الأصفر اللون قفز إلى مقدمة أنفها ووجنتيها وذقنها، وبقى الأرز المختلط بالحساء سقط على الحصر، لقد تسببت في خسارة كبيرة لأن ما أسقطته أفسد الحصر، إن هذه طريقة تناول الطعام دون أدنى تفكير، وأنتهز هذه المناسبة كي أوجه نصيحة إلى السيد "أبو

الذهب" الذى أكن له كل تقدير واحترام وإلى أصحاب النفوذ فى كل مكان فأقول: إذا كنتم تسعون إلى استخدام بقية الناس كما تستخدم "بوبا" أعواد الطعام والإناء، فإن ما سيدخل بطونكم قليل جداً، سوف يدخل بطونكم القليل بعد معاناة، لأنه لا يدخل بطريقة طبيعية، ولذلك أنصحكم بإعادة التفكير فى طريقة إدخال الطعام إلى بطونكم، لأن طريقتكم هذه لن تنطلى على الأذكياء الموجودين فى هذه الدنيا.

وبعد أن استولت الأخت الصغيرة على إناء وأعواد أختها الكبيرة، شعرت الأخت الكبيرة بضيق، ولكنها حملت وأخذت إناء وأعواد أختها الصغيرة، رغم أن حجمها صغير بالنسبة إلى سنّها، ولكن الكمية التى كانت ستتناولها بملعقة واحدة ستضطر إلى تناولها بثلاث ملاعق، ولذلك اضطرت إلى أخذ أرز من إناء طهو الأرز لوضعه فى إناء تناول الأرز الصغير عدة مرات، فلقد أخذت أربع مرات أرزاً من إناء طهو الأرز، والآن تأخذ المرة الخامسة.

ثم أزاحت "طونقو" غطاء إناء طهو الأرز وحملت مغرفة كبيرة ونظرت قليلاً، ويبدو أنها تشعر بحيرة إذا كانت تحمل كمية كبيرة من الأرز بهذه المغرفة الكبيرة وتنقلها إلى إناء تناول الأرز الخاص بها أم لا، ولكنها فى النهاية قررت أن تفعل ذلك، فحملت كمية كبيرة بتلك المغرفة الكبيرة بعد أن تأكدت من أنها تجنبت حمل الأرز المحترق فى قاع الإناء، وحملتها بطريقة ماهرة، ولكن عندما حاولت قلبها فى إناء طعام الأرز الخاص بها سقط الأرز الذى كان ملتصقاً معاً على هيئة كرة كبيرة على

الحصير وتدحرج وتفكك، ولكنها لم تأبه بسقوط الطعام مطلقاً، كأن سقوطه أمر عادي جداً، فأخذت تجمعه بيدها، فقلت لنفسى ماذا ستفعل بكل هذا الأرز، وإذا بها تضعه جميعاً مرة أخرى في إناء طهو الأرز، شيء عجيب لا يُصدّق، إنها قذارة.

وفي الوقت الذى كانت فيه "طونقو" تنتهى من وضع الأرز الذى سقط على الحصير، كانت "بوبا" منهمكة بمحاولة تناول الأرز المختلط بالحساء بالأعواد الكبيرة وقد أسقطت على نفسها الكثير، وبما أن الأخت الكبرى تعلم واجبها كأخت كبيرة، نظرت إلى وجه أختها الصغيرة فوجدته ملوثاً بالطعام، فقالت:

"بوبا، ما هذا! على وجهك الكثير من حبات الأرز".

ثم أخذت بسرعة في تنظيف وجه أختها الصغيرة من الأرز، فأخذت حبات الأرز التى كانت على أنفها، وطبعاً توقعت أن تتعامل معها كقمامة، ولكنى فوجئت بأنها بعد أن أخذتها من فوق أنف أختها الصغرى وضعتها داخل فمها، وبعد ذلك اتجهت إلى وجنتيها حيث كانت هناك مجموعات من حبوب الأرز، وكان مجموع حبوب الأرز نحو عشرين حبة، فالتقطتها الأخت الكبيرة بعناية واحدة تلو الأخرى، وكانت تلتقط الواحدة فتضعها في فمها، ثم تتجه إلى الحبة التالية، وهكذا إلى أن التقطت جميع ما كان على وجه أختها الصغيرة من حبوب وأكلته إلى أن صار وجه أختها خالياً تماماً من الحبوب ولم تبق حتى حبة أرز واحدة.

وفي الوقت نفسه كانت الأخت الوسطى "سونقو" تمضغ رؤوس الفجل المخللة، ولكنها فجأة حملت جميع قطع البطاطا

بملعقة من داخل الحساء الساخن ووضعتها بسرعة في فمها، وطبعًا حضراتكم تعلمون أن الفم لا يستطيع تحمل سخونة البطاطا بعد خروجها من الحساء مباشرةً، ولذلك فالكبار دائمًا يكونون حذرين عند تناولها كي لا يصابوا بحروق في الفم، ولأن "سونقو" ليست لها خبرة كافية عن طريقة تناول البطاطا الساخنة، فتسرعت في وضع البطاطا الساخنة في فمها، ثم صرخت فجأة وتقيأت كل ما كان في فمها من بطاطا على مائدة الطعام، فتزحلق عدة قطع من البطاطا تجاه "بوبا"، وتوقفت أمامها، وفي الأصل "بوبا" تحب البطاطا جدًا، ووجدت ما تحبه قفز أمام عينيها، فتركت أعواد الطعام في الحال، وأمسكت بيدها قطع البطاطا والتهمتها في الحال.

أما سيدي الأستاذ "عطسة" فقد كان يشاهد كل هذا الهرج في صمت، يفكر فيه ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة، وأخذ يتناول طعامه ويحتسى حساءه دون تعليق، وعندما انتهى من تناول الطعام أخذ في تنظيف أسنانه بخِلة، وهذا يوضح أن سيدي الأستاذ "عطسة" بالنسبة إلى تربية بناته يؤمن بمذهب الحرية الكاملة، أي يتركهن يفعلن ما يردن ولا يتدخل مطلقًا، فعندما يكبرن ويصبحن طالبات، لو افترضنا أنهن اتخذن لهن عشاقًا وهربن مع عشاقهن، فلن يفعل شيئًا، سوف يستمر في حياته العادية، يجلس فيأكل طعامه ويحتسى حساءه كالمعتاد، ولا يفعل أي شيء، ولكن لو نظرنا إلى البشر في هذه الأيام سنجدهم يفعلون أشياء كثيرة، ولكن ما يفعلونه أنهم يكذبون ويخدعون، وينصبون، ويتكبرون ويهددون ويستدرجون الناس في

الكلام ويحطمونهم، فهم لا يعرفون ولا يفعلون غير ذلك، ويرى تلاميذ المدارس الإعدادية الكبار وهم يفعلون هذا، فيقلدونهم، ويعتقدون خطأ أنهم إذا لم يفعلوا ذلك لن ينجحوا في الحياة، مفترض أن يشعر التلاميذ بالخجل إذا فعلوا الخطأ، وأن يفتخروا بأنفسهم إذا فعلوا الصواب، وبذلك يصيرون في المستقبل شيئاً مشرفاً. إن البشر الذين يفعلون مثل تلك الأشياء السيئة لا يجب أن نطلق عليهم رجال أعمال، بل نطلق عليهم بلطجية، وبما أني قط ياباني فأنا أحب وطني، ولذلك عندما أرى رجل أعمال سيئاً أشعر برغبة في ضربه، فازدياد مثل هؤلاء يؤدي إلى ضعف الدولة، فإن المدرسة التي تحتوى على تلاميذ أشرار يتصفون بالصفات التي ذكرتها سابقاً هي مدرسة تحتوى على عار يدنس شرفها، والدولة التي تحتوى على رجال أعمال أشرار يتصفون بالصفات التي ذكرتها سابقاً، دولة تحتوى على عار يدنس شرفها، ولكنى لا أستطيع أن أفهم كيف يكونون عاراً علينا ومع ذلك ينتشرون في كل مكان في وطننا، ويبدو لي أن القوط عندهم شرف أكثر مما عند اليابانيين، مثلاً عندما نقارن بين رجال الأعمال الأشرار هؤلاء وسيدى الأستاذ "عطسة" فإننى أجد سيدى الأستاذ "عطسة" يسمو عنهم ويتميز عنهم كثيراً، حتى عيوبه مزايا، عدم إكماله أى موضوع إلى نهايته ميزة تُحسب له، وغباهه ميزة تُحسب له، وعدم إلحاحه ميزة تُحسب له.

وبعد أن انتهى سيدى الأستاذ "عطسة" من طعام الإفطار
بسلام، ارتدى زيًا أوروبيًا، ثم استدعى عربة، كي يذهب إلى
مركز شرطة "نيهون زوتسومى".

وعندما فتح سيدى الأستاذ "عطسة" بوابة المنزل سأل
السائق الذى كان منتظرًا بعربته:

"هل تعرف أين يوجد مركز شرطة نيهون زوتسومى؟"

فضحك السائق وقال بطريقة ساخرة:

"إنه الموجود فى منطقة يوشى وارا التى هى منطقة بنات
الهوى والملاهى الليلية".

وبعد أن خرج سيدى الأستاذ "عطسة" من المنزل وركب
العربة، ونادراً ما يحدث أن يستدعى عربة، بدأت سيدتى فى
القيام بعملها المعتاد، فأنهدت طعام إفطارها وحضت بناتها
على الإسراع فى الذهاب إلى المدرسة، إذ قالت:

"هيا إلى المدرسة بسرعة. لا تتلكأن حتى لا تتأخرن".

ولكن بدت على البنات عدم الرغبة فى لبس زى المدرسة،
وقلن بطريقة عادية:

"ماذا؟ ولكن اليوم إجازة".

فردت الأم بطريقة غاضبة:

"إجازة! لا تقلن ذلك وهيا بسرعة إلى المدرسة".

فقالت الابنة الكبيرة بطريقة تدل على عدم اقتناعها بتوجيهات أمها:

"ولكن أمس قال لنا الأستاذ إن اليوم إجازة".

فشعرت الأم أن هناك شيئاً ما غير عادى، فأخرجت من الدولاب نتيجة العام وأخذت تبحث عن الإجازات، فوجدت أنه يوم عيد ومكتوب باللون الأحمر ما يدل على أنه إجازة، وهذا يعنى أن سيدي الأستاذ "عطسة" لم ينتبه إلى أن اليوم إجازة، وبعث إخطاراً بالتغيب عن العمل اليوم، وأن سيدي لم تنتبه أيضاً إلى أن اليوم إجازة ووضعت الخطاب في صندوق البريد، ولكن هل كان البروفيسور الفشار يعلم أن اليوم إجازة ولم يخبر سيدي الأستاذ "عطسة"، أم أنه لم يكن يعلم! شيء يدعو إلى الريبة. وعندما فوجئت سيدي بأن اليوم إجازة قالت لبناتها: "حسناً، امرحن بهدوء، ولا داعى للإزعاج".

ثم أخرجت أدوات الحياكة مثل كل يوم وبدأت في الحياكة.

وبعد ذلك مر نصف ساعة، كان المنزل فيها هادئاً، لم تحدث أى حادثة تجعلنى أكتب عنها، ولكن فجأة جاءت إلى المنزل ضيفة غريبة، طالبة في سن السابعة عشرة، ترتدى حذاءً ملتوى الكعب، وتلبس رداءً نصفه السفلى أرجوانى اللون ويزحف على الأرض، وشعرها منتفخ كأنه خرز متشابك معاً، ودخلت من البوابة الخلفية للمنزل، ثم دخلت المنزل دون استئذان أحد، إنها ابنة أخت سيدي الأستاذ "عطسة"، إنها طالبة مدرسية، وفي بعض الأحيان تأتى يوم الأحد لزيارة خالها، ولكن دائماً

يحدث بينها وبين خالها شجار ما يجعلها تترك منزل خالها وترجع إلى منزلها، واسمها جميل، اسمها "النهر الثلجى"، اسم يوحى بانطباع أنها جميلة مثل منظر النهر عندما يكون مغطى بالثلوج، ولكن للأسف اسمها أجمل من وجهها، ودائمًا ما أرى فتيات على هيئتها كلما خرجت من المنزل إلى الشارع. دخلت "النهر الثلجى" حجرة المعيشة دون استئذان ثم قالت:

"السلام عليكم يا زوجة خالى".

ثم اتجهت نحو الصندوق الذى يحتوى على أدوات الحياكة وجلست بجانبه.

السيدة:

"من! لقد جئتِ مبكرًا جدًّا".

"النهر الثلجى":

"اليوم يوم العيد الكبير، ولذلك أردت الحضور مبكرًا، فخرجت من منزلى مبكرًا فى الساعة الثامنة والنصف وجئت مسرعة إلى هنا".

سيدتى:

"هل لكِ طلب؟"

"النهر الثلجى":

"لا، مجرد شعرت بشوق للقائكم، لم ألقكم منذ مدة طويلة، فجئت للقائكم، ولكنى سأمكث مدة قصيرة".

السيدة:

"أرجو أن تظلي معنا وقتًا طويلاً، وسوف يعود خالك بعد قليل".

"النهر الثلجي":

"خرج مبكرًا هكذا! شيء نادر الحدوث".

سيدتي:

"نعم، اليوم ذهب إلى مكان نادرًا ما يذهب إليه شخص،
ذهب إلى مركز الشرطة".

"النهر الثلجي":

"ماذا؟ لماذا ذهب إلى مركز الشرطة؟"

سيدتي:

"لقد ألقوا القبض على اللص الذي دخل منزلنا الربيع الماضي".

"النهر الثلجي":

"ولهذا ذهب كي يشهد على اللص، هذه الموضوعات تسبب
إزعاجًا شديدًا".

سيدتي:

"ولكنه بعد الشهادة سوف يسترد المسروقات. لقد جاء
رجل شرطة أمس خصوصًا كي يخبرنا بعودة المسروقات، ويجب
على خالك أن يذهب كي يستلمها".

"النهر الثلجى":

"أهكذا! لقد فهمت، لو لم يكن الوضع هكذا ما خرج خالى من منزله مبكرًا هكذا، كان سيظل نائمًا حتى الآن".

سيدتى:

"لا أحد يستيقظ متأخرًا أكثر من خالك، وإذا أيقظته يثور بشدة، لقد طلب منى أن أوقظه قبل الساعة السابعة صباح اليوم فأيقظته، ولكنه ظل متخفيًا تحت الفراش ولم يرد، فأيقظته مرة أخرى، فرد على من كم رداء النوم غاضبًا، إيقاظه مشكلة ليس لها حل".

"النهر الثلجى":

"ولكن لماذا ينام كثيرًا هكذا! أكيد أنه عصبى".

سيدتى:

"ماذا؟ عصبى فقط! إنه يغضب باستمرار على الصغيرة قبل الكبيرة، أنا مندهشة أن يكون من النوع سريع الغضب ويعمل فى مدرسة، والأكثر من ذلك أن يستمر فى العمل بها حتى الآن!"

"النهر الثلجى":

"ولكنى أسمع أنه هادئ فى المدرسة".

سيدتى:

"هذا يعنى أنه أسوأ مما تخيلت".

"النهر الثلجى":

"لماذا؟"

سيدتى:

"لأن معنى هذا أنه يعامل أهل منزله بغضب، والغريب بلطف، إنه لا يغضب فقط، بل إنه لا يلبى طلبات أحد، إذا قلت له يمينًا، يفعل اليسار، وإذا قلت له يسارًا، يفعل اليمين، إنه متعب ومتصلب الرأى ويحب فعل ما يخالف الآخرين، ولكن تطويعه سهل جدًا، إذا أردت أن يفعل لك شيئًا، قولى له لا تفعله، فسوف يفعله، منذ عدة أيام أردت أن أشتري مظلة على شكل وطواط، فقلت له: لا أحتاج إليها، لا أحتاج إليها، فاشترها لى فوراً".

"النهر الثلجى":

"أنتِ ذكية، سوف أفعل مثلك من الآن فصاعدًا".

سيدتى:

"نعم، إذا لم تفعلى ذلك سوف تخسرين كثيرًا".

سيدتى:

"منذ عدة أيام جاء إلى المنزل موظف من شركة تأمينات على الحياة، وعرض على خالك أن يؤمّن على حياته، وظل ساعة كاملة يشرح له الأسباب ومزايا عمل تأمين على الحياة، ولكنه رفض أن يؤمّن على حياته، رغم أننا لا ندخر نقودًا،

وعندنا ثلاث بنات، فلو عمل تأمينًا على حياته فسوف أشعر بالراحة والأمان ولو قليلاً، ولكنه لا يفكر في ذلك مطلقاً".

ثم قالت:

"فعلاً، فلو افترضنا حدوث مكروه له، تربية البنات ستكون مشكلة كبيرة".

قالت هذا الكلام الذى -عن مشكلات تربية الأبناء- يسبب الضيق، وهو كلام لا يُناسب شابة صغيرة عزباء في مستقبل العمر، سنها سبعة عشر عامًا.

ثم قالت الزوجة:

"لقد كنت أقف خارج الحجرة أستمع إلى ما دار بينهما من محادثة، فقد قال خالك بثقة شديدة: أنا متفهم أهمية عمل تأمين على الحياة، ولو لم يكن مهمًا ما كانت هناك شركات تأمينات، ولكن التأمين عديم النفع في أثناء حياة الشخص".

"النهر الثلجى":

"خالى قال هذا!"

سيدتى:

"نعم، حينئذٍ قال موظف شركة التأمينات: إذا لم تمت لا أهمية لشركات التأمينات، ولكن الإنسان يشعر بأن حياته أبدية ولكن في الواقع لها نهاية، ولا أحد يعلم متى يموت، ربما يموت في وقت لا يتوقعه. ولكن خالك قال كلامًا غريبًا، قال: ليست عندى مشكلة، لقد قررت ألا أموت".

"النهر الثلجى":

"ليس معنى أنه قرر أنه لن يموت، أنه لن يموت، لقد قررت أن أنجح في امتحانات المدرسة ولكنى للأسف فشلت".

سيدتى:

"كما أن موظف شركة التأمينات قال له: ليست للإنسان حرية أن يحدد طول عمره، لو كان الإنسان يستطيع أن يحدد أن يعيش عمراً مديداً، لما مات أحد".

"النهر الثلجى":

"موظف شركة التأمينات على صواب".

سيدتى:

"طبعاً، ولكن خالك لا يفهم ذلك، لقد قال بتعجرف: أنا لن أموت أبداً، أقسم إننى لن أموت".

"النهر الثلجى":

"شئ غريب".

سيدتى:

"فعلاً شئ غريب، بل فى منتهى الغرابة، ثم قال لموظف شركة التأمينات: لو كنت أملك مالاً أنفقه على شركة التأمينات لكان من الأفضل أن أضعه فى البنك. ثم أنهى حديثه مع موظف شركة التأمينات".

"النهر الثلجى":

"وهل يدخر مالاً فى البنك؟"

سيدتى:

"يدخر مالاً! طبعاً لا، إنه لا يهتم مطلقاً بالتفكير فى ما سوف يحدث بعد موته".

"النهر الثلجى":

"طبعاً شىء يقلق، أنا مندهشة أنه لا يفكر فى أمور مهمة هكذا، أعتقد أن أصدقاءه الذين يحضرون لزيارته هنا لا يفكرون بهذه الطريقة، هل يفكرون مثله؟"

سيدتى:

"طبعاً ليسوا مثله، خالك ليس له مثيل".

"النهر الثلجى":

"من الأفضل أن تسأل السيد سوزوكى أن يتحدث إلى خالى فى هذا الشأن، من السهل على شخص هادئ مثل السيد سوزوكى أن يقنع خالى".

سيدتى:

"ولكن للأسف خالك عنده فكرة سيئة عن السيد سوزوكى".

"النهر الثلجى":

"إن تفكيره عكسى بالنسبة إلى جميع الأمور. حسنًا، ما رأيك فى ذلك الشخص الرزين؟"

سيدتي:

"هل تقصدين الجدى؟"

"النهر الثلجى":

"نعم هو".

سيدتي:

"صعب أن أحدثه في ذلك الأمر، لقد جاء البروفيسور منذ عدة أيام ونقد الجدى نقدًا شديدًا، فشعرنا بأن الجدى لم يكن كما نتصور".

"النهر الثلجى":

"لا أعتقد ذلك، إنه إنسان رزين وعاقل وحكيم، منذ عدة أيام كان في مدرستنا يلقي ندوة".

سيدتي:

"الجدى!"

"النهر الثلجى":

"نعم الفيلسوف الجدى".

سيدتي:

"هل هو أستاذك في المدرسة؟"

"النهر الثلجى":

"لا، ليس أستاذى، ولكن فى مدرستنا نادى الفتاة الفاضلة،
ودعاه النادى كى يلقى ندوة".

سيدتى:

"وهل كان حديثه مشوقاً؟"

"النهر الثلجى":

"لم يكن مشوقاً إلى درجة كبيرة، ولكن له وجهًا طويلًا وله
لحية مثل لحية الملوك والأباطرة العظماء، ولذلك انجذبنا إليه
واستمعنا إلى حديثه بشغف".

سيدتى:

"ما كان موضوع حديثه؟"

وهنا سمعت البنات الثلاث صوت الشابة "النهر الثلجى"
يأتى من ناحية الشرفة، فجئن جريًا ودخلن باندفاع حجرة
المعيشة، وقد كن يلعبن فى منطقة الفضاء التى أمام حديقة
المنزل.

وقالت البنتان الكبيرة والوسطى بصوت عالٍ وبفرحة:

"من! ابنة خالتنا! يا لها من سعادة".

ولكن سيدتى وضعت ما كانت تحيكة بجانبها وقالت لهن:

"إن ابنة خالتكن سوف تحكى لنا حديثًا مشوقًا، فاجلسن فى
هدوء وامتنعن عن إصدار أى صوت".

فقالَت الابنة الكبيرة "طونقو":

"ماذا سوف تقصين علينا؟ أنا أحب الاستماع إلى الحكايات
جداً".

ثم قالت الابنة الوسطى "سونقو":

"هل ستقصين علينا حكاية جبل النار؟"

ثم قالت الابنة الصغيرة "بوبا":

"بوبا أيضاً تحب الحكايات".

ثم دخلت "بوبا" بين أختها "طونقو" وأختها "سونقو"
وجلست متقدمة عنهن قليلاً، ليس لتستمع إلى الحكايات،
ولكن كي تقص عليهن حكاية.

فضحكت الأخت الكبيرة وقالت:

"ماذا؟ بوبا سوف تقص علينا حكاية".

وإذا بسيدتي تثنى "بوبا" عن سرد قصتها بطريقة ذكية، إذ
قالت:

"بوبا، احكي حكايتك بعد أن تنتهي ابنه خالتك من قصتها".

ولكن "بوبا" لم ينطلِ عليها الكلام الخادع وصرخت:

"لا، لا يمكن، بابو".

فقالَت لها "النهر الثلجى" بطريقة رقيقة:

"اهدئي يا بوبا، قصي علينا أولاً حكايتك، ما عنوان الحكاية؟"

"النهر الثلجى":

"بوبا، بوبا، إلى أين تذهبين؟"

"النهر الثلجى":

"يبدو أنكِ سوف تفعلين شيئاً مشوقاً، ما هو!"

"بوبا":

"سوف نذهب إلى الحقل كي نقطع أعواد الأرز".

"النهر الثلجى":

"أهكذا! أنتِ تعرفين كثيراً عن الزراعة! أنتِ رائعة".

"بوبا":

"لا تأكلى معنا كي لا نتأخر".

فتدخلت "طونقو" كي تصوب خطأ أختها الصغرى فقالت:

"تقصدين تأتين وليس تأكلين".

فصاحت "بوبا" ضيقاً من أختها "طونقو"، ونهرتها عن

التعليق على كلامها بأن قالت كالمعتاد:

"بابو".

ولكنها نسيت ما كانت تريد قوله، فتوقفت عن الكلام

ولزمت الصمت.

فسألت "النهر الثلجى":

"هل انتهيت من كلامك يا بوبا!"

"بوبا":

"لا يبقى إلا أن أقول أنا آسفة على الريح التي سأخرجها،
فوووو".

"النهر الثلجى":

"ها ها ها، هذا شيء مقزز، من علمك فعل ذلك؟"

"بوبا":

"الخادمة".

قالت سيدتى بضيق:

"خادمة سيئة، كيف تعلم الأطفال أشياء مثل هذه؟"

ثم قالت سيدتى بطريقة حازمة:

"حسنًا حان دور ابنة خالتك كي تقص علينا حكاية، اسمعى
جيدًا يا بوبا ولا تتحدثى أبدًا".

فبدأ على "بوبا" أنها اقتنعت بكلام أمها وخضعت لأوامرها،
فصمت بعد ذلك ولم تتحدث مطلقًا.

وأخيرًا بدأت "النهر الثلجى" فى حديثها عن الفيلسوف
"جدى" فقالت:

"لقد قص علينا الفيلسوف جدى الآتى: فى قديم الزمان كان
يوجد فى مفترق طرق تمثال ضخم لبوذا يعوق مرور العربات
والخيول، فتجمع أهل المدينة وتناقشوا فى كيفية نقل هذا
التمثال ووضعها على جانب الطريق كي لا يعوق الحركة".

فقال سيدتي:

"هل هذه الحكاية حقيقية؟"

فقال "النهر الثلجي":

"لا أعرف، لم يقل الفيلسوف جدي إذا كانت حكاية حقيقية أم لا، المهم أن الجميع كان مجتمعًا يناقش هذا الأمر، وإذا بأقوى رجل في المدينة يقول:

يجب ألا نسمح باستمرار هذا الوضع، أنا سوف أزيح بوذا إلى جانب الطريق. ثم ذهب وحيدًا إلى حيث بوذا، وخلع قميصه وجذب بوذا بكل قوته، ولكن بوذا لم يتزحزح قيد أنملة".

سيدتي:

"أکید بوذا ثقيل جدًا".

"النهر الثلجي":

"نعم، ولقد شعر ذلك الرجل بالتعب الشديد فعاد إلى منزله ونام، فتجمع أهل المدينة مرة أخرى ليقرروا ماذا يفعلون، وإذا بأذكي رجل في المدينة يقول لهم: اتركوا هذا الأمر لي، سوف أحل لكم هذه المشكلة بأفضل وسيلة.

فأحضر صندوق طعام وملاه بكعك أرز، ثم ذهب أمام بوذا وأراه الكعك وقال له:

احضر إلى هنا كي تأكل هذا الكعك.

وكان يتصور أن بوذا سيتحرك من مكانه بهذه الخدعة، ولكنه لم يتحرك ولا حتى قليلاً، وعندما شعر الرجل أن هذه الحيلة لم تنجح، أحضر جوزة كبيرة وملاًها بالخمير، وحملها بإحدى يديه وحمل في اليد الأخرى كأس خمير، واقترب من بوذا وقال له:

ألا ترغب في احتساء الخمر! إذا أردت احتساء الخمر احضر إلى هنا.

واستمر ثلاث ساعات يحاول استدراج بوذا للتحرك نحوه، ولكن بوذا لم يتحرك".

وهنا قالت "طونقو":

"هل بوذا لا يجوع إطلاقاً؟"

ثم قالت "سنقو":

"أريد أن أتناول كعك الأرز".

"النهر الثلجى":

"وللمرة الثانية يفشل الذكي في زحزة بوذا، فذهب وصنع أوراقاً مالية مزورة، وقال لبوذا:

أکید أنك تريد هذه الأوراق المالية، لو كنت تريدها احضر إلى هنا كي تأخذها.

وأخذ يُبرز الأوراق المالية له ثم يخفيها كي يجذبه ليتحرك، ولكن هذه الطريقة أيضاً لم تجعل بوذا يتحرك، أكيد بوذا متحجر العقل".

سيدتي:

"متحجر العقل مثل خالك".

"النهر الثلجي":

"فعلاً مثل خالي تماماً، وفي النهاية فقد الذكي الأمل فتوقف عن محاولة زحزة بوذا، وبعد ذلك جاء المُخَادِع، ثم قال:

اطمئنوا، أنا الذي سأزيحه من طريقكم.

وكان يتحدث بثقة كأنه قَبِلَ القيام بعمل سهل".

فقالت سيدتي:

"وماذا فعل هذا المُخَادِع؟"

"النهر الثلجي":

"فعل شيئاً مضحكاً. في البداية ارتدى زي شرطي، ووضع لحية مستعارة، فصار شكله مثل شرطي مرتفع المنصب، ثم ذهب أمام بوذا وقال:

يا هذا تحرك من هنا أنت تعوق حركة مرور الجميع، تحرك بأمر الشرطة.

ولكن كما يعلم الجميع لم يعد أحد ينفذ أوامر الشرطة في أيامنا هذه".

فقالت سيدتي:

"فعلاً. وهل تحرك بوذا؟"

"النهر الثلجى":

"طبعًا لم يتحرك، ظل على ثباته مثل خالى".

سيدتى:

"ولكن خالك يخاف الشرطة جدًّا".

"النهر الثلجى":

"أهكذا! يجب ألا يخاف، لا يوجد ما يجعل الشرطة مخيفين. المهم، لم يتحرك بوذا من مكانه، وظل واقفًا كما هو، فغضب المُخَادِعُ غضبًا شديدًا، فذهب وخلع زى الشرطى، وألقى باللحىة فى صندوق القمامة، ثم لبس زى الأغنياء جدًّا وجاء أمام بوذا، وكان منظر وجهه مثل منظر وجه السيد إيواساكى رئيس شركة متسوويشى، شىء عجيب".

سيدتى:

"وكيف يكون وجه السيد إيواساكى؟"

"النهر الثلجى":

"وجهه كبير فقط لا أكثر، وظل المُخَادِعُ يلف حول بوذا وهو يدخن سيجارة وينفخ الدخان ولا يفعل شيئًا ولا يقول شيئًا".

سيدتى:

"ولماذا كان يفعل ذلك؟"

"النهر الثلجى":

"إنه كان يحاول خداع بوذا بكلامه كي يتحرك".

سيدتي:

"إنه يتصرف مثل راوى الحكايات. وهل نجح في أن يخدع بوذا ويجعله يتحرك؟"

"النهر الثلجى":

"طبعا لا، بوذا مجرد تمثال حجري، ولم يتوقف المُخَادِع عند هذا بل ذهب وجاء على هيئة أمير، إن المُخَادِع أحمق أن يفعل ذلك".

سيدتي:

"وهل كان هناك أمراء في ذلك الزمن؟"

"النهر الثلجى":

"أكيد، لأن الفيلسوف جَدَى قال أميراً، يعنى كان هناك أمراء في ذلك الوقت، طبعا الادعاء أنه أمير أمر خطير واستخفاف بالأمراء، ولكنه تمثيل، أى خداع".

سيدتي:

"ما الأمير الذى كان يدعى أنه هو؟"

"النهر الثلجى":

"لم يكن يدعى أنه أمير معين، بل أحد الأمراء دون تحديد أمير معين".

سيدتي:

"بصرف النظر عن إذا كان يدعى أنه أمير معين أم لا، ولكن هذا استخفاف بالأمراء".

"النهر الثلجي":

"فعلاً، المهم أن خدعة الأمير لم تجعل بوذا يتحرك من مكانه، فالخداع كذب لا يؤتى بنتيجة جيدة إطلاقاً. وأخيراً استسلم وقال: لا أستطيع فعل أي شيء مع بوذا".

سيدتي:

"أفضل. أنا سعيدة أنه فشل".

"النهر الثلجي":

"فعلاً، والمفروض أن ينال عقاباً بالحبس، ولكن أهل المدينة شعروا بالقلق من فشله أيضاً في هذه المهمة، وبأن المشكلة لا تُحل، فتمعنوا مرة أخرى كي يبحثوا عن محل تلك المشكلة، ولكن لم يتقدم أحد لحل المشكلة، فشعروا بالإحباط".

سيدتي:

"وهل بهذا انتهت الحكاية؟"

"النهر الثلجي":

"لا لم تنته بعد. وأخيراً استأجر أهل المدينة كثيراً من سائقي عربات الدفع باليد والبلطجية، فجاءوا وساروا حول بوذا محدثين ضوضاء شديدة، معتقدين أنهم بذلك الإزعاج سوف

ينجحون في إجبار بوذا على التحرك من مكانه، وظلوا طوال الليل والنهار يتناوبون السير حول بوذا وعمل ضوضاء".

سيدتي:

"أکید تسببوا في إزعاج شديد".

"النهر الثلجي":

"نعم، ولكن ذلك لم ينجح في إجبار بوذا على التحرك من مكانه، ظل بوذا واقفًا في ثبات كما هو".

فسألت "طونقو" بحماس:

"وماذا حدث بعد ذلك؟"

"النهر الثلجي":

"وبعد ذلك استمروا في الدوران حول بوذا وعمل الضوضاء كل يوم، ولكن ذلك لم يحقق لهم مرادهم، فشعر أهل المدينة بأنه لا فائدة من ذلك، ولكن سائقي عربات الدفع باليد والبلطجية كانوا سعداء بذلك لأنهم كانوا يتقاضون يومية على الدوران حول بوذا وعمل الإزعاج".

وحينئذٍ سألت "سونقو":

"ما معنى يومية؟"

"النهر الثلجي":

"اليومية تعني نقوداً".

"سونقو":

"وماذا يفعلون بالنقود التي يحصلون عليها؟"

ضحكت "النهر الثلجى" ثم قالت:

"أسئلتك صعبة يا سونقو، المهم أن هناك رجلاً غيباً لا يعرف شيئاً ولا يعيره أحد أى اهتمام، ولكنه عندما شاهد سائقى العربات والبلطجية يقومون بعمل ضوضاء قال:

أنا مشفق عليكم، لو ظلتم تقومون بعمل ضوضاء هكذا عدة سنوات لن يستطيع بوذا أن يتحرك من مكانه".

سيدتى:

"رغم أنه غبى لكنه عظيم أن قال الصواب".

"النهر الثلجى":

"فعلاً غبى عظيم، وعندما سمع الناس كلامه قالوا: التجربة خير وسيلة للمعرفة، سوف نطلب منه أن يتولى أمر إزاحة بوذا من مكانه، غالباً سيفشل ولكن لن نخسر إذا طلبنا منه فعل ذلك. وعندما عرضوا عليه ذلك وافق على الفور، ثم قال لهم توقفوا عن عمل هذه الضوضاء والتزموا الهدوء وأبعدوا سائقى عربات اليد والبلطجية عن بوذا، ثم ذهب مباشرة ووقف أمام بوذا".

فسألت "طونقو" سؤالاً يبين اهتمامها، ولكن كان سؤالاً غريباً أضحك كلاً من سيدتى و"النهر الثلجى"، فقد سألت:

"هل كلمة مُباشرةً هي اسم صديقة ذلك الرجل؟"

"النهر الثلجى":

"لا لىست صديقته".

"طونقو":

"إِذَا ماذا؟"

"النهر الثلجى":

"مباشرةً! لا أعرف كيف أشرح ذلك".

"طونقو":

"فهمت، كلمة مباشرةً تعنى لا أعرف كيف أشرح ذلك".

"النهر الثلجى":

"لا لىس هذا معناها، معناها".

"طونقو":

"نعم، معناها ماذا؟"

"النهر الثلجى":

"أنتِ تعرفين السيد طاطارا، ألىس كذلك؟"

"طونقو":

"بلى أعرفه، هو من أهدانا البطاطس الجبلية".

"النهر الثلجى":

"إنها كلمة تُطلق على الشخص الذى يتصرف مثل السيد طاطارا".

"طونقو":

"وهل السيد طاطارا يتصرف بطريقة مباشرة؟"

"النهر الثلجى":

"نعم هو كذلك. المهم أن الغبى ذهب فوقف أمام بوذا واضعاً يديه في جيبه ثم قال:

"يا سيد بوذا، أهل هذه المدينة يريدونك أن تتحرك من مكانك، من فضلك تحرك من مكانك.

فرد بوذا:

أهو كذلك؟ لو قلت لى هذا مبكراً لفعلت، ثم تحرك من مكانه على الفور".

ربما تكون من نوعية "الجدى"، ولكن الأخت الكبيرة، هى فعلاً أخت أكبر، فهى تعرف واجبها كأخت أكبر، فقد نظفت كوب الماء الذى كانت تستخدمه فى غسل وتنظيف فمها، ثم قالت لأختها الصغرى:

"هذه قطعة قماش لتنظيف الأرض يا أختى، ليست لتنظيف الجسم".

ثم مدت يدها وأخذتها من أختها الصغرى.

"النهر الثلجى":

"ثم بعد أن قص علينا الفيلسوف جدى هذه الحكاية، كان له تعليق".

سيدتي:

"تعليق!"

"النهر الثلجى":

"نعم، لقد قال الفيلسوف جدى الآتى:

هذه ندوة الفتاة الفاضلة، ولقد تعمدت قص الحكاية السابقة لتوضيح فكرة فى عقلى، سوف أوضّحها لكم، أرجو أن تلتمسوا لى العذر أن أقول إن معظم الإناث عندما يردن تحقيق شىء لا يطلبنه بطريقة قصيرة ومباشرة، ولكن بطريقة طويلة وملتوية غير مباشرة وغير واضحة، وطبعاً هذه الطريقة الطويلة الملتوية لا تقتصر على الإناث فقط، للأسف بعض الرجال الذين يعيشون فى عصرنا هذا تأثروا بالحضارة الغربية، وصاروا يتصرفون بطريقة نسائية، معتقدين خطأ أن هذه الطريقة تدل على تحضّر ورُقّى الرجل، أى تعامله بهذه الطريقة يجعله رجلاً جنتلمان، وصار هذا عندنا مظهرًا من المظاهر المرتبطة بالانفتاح على الغرب، وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى تأكيد، ولذلك أريد من حضراتكن أن تتذكرن هذه الحكاية القديمة، وأن تتخذن منها العبرة، وهى أنه فى وقت الأهمية، أن تتصرفن مثلما تصرف ذلك الغبى، بمعنى أن تتحدثن بطريقة مباشرة وسهلة الفهم، وأكيد بتلك الطريقة سوف يقل الصراع الذى يدور دائماً بين الزوجة وحماتها إلى الثلث، وإذا كان الشخص يشعر بالضيق من شخص آخر ولا يريد إظهار ضيقه، فسوف يكون ذلك سبباً لتعاسته، وإن سبب تعاسة الإناث مقارنةً بالذكور، هو أن الإناث يشعرن بالكراهة إلى درجة كبيرة جداً،

ولذلك فأنا أناشدكن ألا تطلبين ما تردن بحديث طويل وملتوي يصعب فهمه، بل أن تتحدثن بحديث قصير ويسير ومباشر مثل ذلك الغبى. وهذا كان ملخص تعليقه على تلك الحكاية".

سيدتى:

"أهكذا! وهل سوف تصبحين غبية كما قال؟"

"النهر الثلجى":

"أنا! طبعًا لا، لا أريد أن أصبح غبية، ولكن الآنسة غنية كانت موجودة في الندوة وغضبت من كلام الفيلسوف جدى وقالت إن ما قاله كلام قليل الحياء".

سيدتى:

"هل تقصدين بالآنسة غنية ابنة السيد أبو الذهب، البنت التى لها منزل على الناحية الأخرى من الشارع الرئيس القريب منا؟"

"النهر الثلجى":

"نعم، هى تلك الفتاة التى تحب المظاهر".

سيدتى:

"وهل هى تلميذة معك فى المدرسة نفسها؟"

"النهر الثلجى":

"لا، بل جاءت تستمع إلى الندوة فقط، ولكنها مهمة بمظهرها أكثر من اللازم، لقد اندهشت من ذلك".

سيدتي:

"ولكن يُقال إنها جميلة، ولذلك تهتم بمظهرها، أليس شيئاً جيداً أن تحضرن ندوة مع فتاة جميلة؟"
"النهر الثلجي":

"إن جمالها عادي، يبدو عليها أنها تتصور نفسها جميلة ولكنها ليست كذلك، إن أي فتاة تهتم بمظهرها وتضع مساحيق تجميل كثيرة مثلها سوف تظهر للعيان جميلة".
سيدتي:

"إذاً لو وضعتِ أنتِ مساحيق تجميل سوف تكونين أجمل منها الضعف".
"النهر الثلجي":

"لا أعرف، لا تحرجيني بكلامك المعسول هذا، ولكن تلك الفتاة تفرط في وضع المساحيق، ليس معنى أنها ثرية أن تضع مساحيق كثيرة هكذا، بطريقة مبالغ فيها".
سيدتي:

"دعيها تفرط في وضع المساحيق، فهي ثرية وهذا سبب كافٍ كي تفرط في وضع المساحيق"
"النهر الثلجي":

"ربما تكونين على صواب، ولكني أعتقد أن تلك الفتاة يجب أن تصير غبية، للأسف هي تتفاخر بنفسها أكثر من اللازم،

فإنها تدعى لكل الناس أن هناك شاعراً لا أتذكر اسمه الآن
ألفَ ديوان شعر حر عنها".

سيدتي:

"اسم من كتب الشعر السيد رياح الشرق".

"النهر الثلجي":

"ماذا؟ ذلك الشخص هو الذي كتب شعراً عنها! إنه شخص
غريب".

سيدتي:

"لكنه إنسان جاد، كتب ما شعر به، إنه يعتقد أن ما فعله
شئ طبيعي".

"النهر الثلجي":

"إن ما يفعله خطأ، لأن ذلك يشجعها على الإفراط في
افتخارها بنفسها، وهناك موضوع آخر، لقد قالت لي منذ عدة
أيام إنه وصلتها رسالة حب من شخص ما".

سيدتي:

"ماذا؟ شئ غريب! من المرسل؟"

"النهر الثلجي":

"لقد قالت إنها من مجهول".

سيدتي:

"ألم يكن هناك اسم للمرسل؟"

"النهر الثلجى":

"هناك اسم للمرسل ولكنها لا تعرفه، لم يسبق لها أن سمعت اسمه، كما أن الرسالة طويلة جداً، نحو ١٨٠ سنتيمترًا، ومكتوب فيها أشياء غريبة، مثل أنا أفكر فيك كما يفكر العبد في الرب، ولى الشرف أن أضحي بنفسى من أجلك كما يُضحون بالشاة كقربان ويذبحونها على المذبح فى المعبد، وأن قلبه على شكل مثلث وأن سهم الحب قد أصابه فى منتصف قلبه".

سيدتى:

"وهل هو جاد فى حبه لها؟"

"النهر الثلجى":

"هى تعتقد أنه جاد، ولقد قرأ هذه الرسالة ثلاث من صديقاتها".

سيدتى:

"إنها مخطئة فى أن تسمح لصديقاتها أن يقرأن تلك الرسالة، إنها تنوى الزواج بالسيد القمر، ولو علم الناس بأمر هذا الخطاب، ربما لا تتم الزيجة".

"النهر الثلجى":

"طبعا، أوافق على كلامك، أرى أن تخبرى السيد القمر عندما يأتى هنا المرة المقبلة، أكيد أنه لا يعلم ذلك".

سيدتى:

"أتصور أنه لا يعرف، فهو مشغول بالذهاب كل يوم إلى الجامعة ونحت الكرة".

"النهر الثلجى":

"هل فعلاً أن السيد القمر سوف يتزوج بتلك الفتاة! إني أشفق عليه".

سيدتى:

"لماذا؟ إنها ثرية، وإذا حدث له مكروه سيكون المال عوناً له، أفضل له أن يتزوجها".

"النهر الثلجى":

"خالى يقول إن المال شيء سيئ، وأن الحب أهم من المال، إذا لم يكن هناك حب بين الزوج وزوجه، فلن يسود الوئام بينهما".

سيدتى:

"أقال هذا! إذاً من سوف تتزوجين؟"

"النهر الثلجى":

"طبعاً لا أعلم، لا أفكر فى شخص معين".

وفى حين كان هناك حديث عميق بين "النهر الثلجى" وخالها عن الزواج، إذا بـ"طونقو" التى كانت تنصت إلى ذلك الحديث ولا تعى ما تسمع، تقول:

"أنا أريد أن أتزوج".

وكان هذا الطلب يدل على أن قائلته لم تفكر جيداً قبل أن تطلبه، فبدت على "النهر الثلجى" الدهشة من هذا الطلب، خاصة أن "النهر الثلجى" فى سن الشباب، ما يستدعى تعاطف

الجميع معها وتفكيرها في أن تتزوج، ولكن التفكير في زواج طفلة أمر غريب، ولكن سيدتي كانت طبيعية ولم تندهش مما سمعت مثلما اندهشت "النهر الثلجي"، وسألت "طونقو" بطريقة عادية وهي تضحك:

"تتزوجين بمن؟"

"طونقو":

"أريد أن أتزوج بمعبد شوقونشا، ولكنى أخاف من المرور على الجسر المؤدى إليه لوجود نهر تحته، وهذا يجعلنى مترددة أن أتزوج به".

وعندما سمعت سيدتي وبنت خالها "النهر الثلجي" كلام "طونقو"، لم تواتهما الشجاعة للتعليق على كلامها، ثم انفجرتا في الضحك من فرط غرابة ما سمعتا، وحينئذٍ تدخلت الأخت الوسطى "سونقو" في الحديث فقالت لأختها الكبرى "طونقو":

"هل تحبين معبد شوقونشا؟ أنا أحبه جدًّا، هيا نتزوج به معًا أنا وأنتِ، وإذا لم توافقى، سوف أستقل عربة بمفردى وأذهب كي أتزوج به".

ثم فجأة قالت "بوبا":

"أنا أيضًا سوف أذهب إلى معبد شوقونشا كي أتزوج به".

وإذا استطاعت البنات الثلاث معًا زواج معبد شوقونشا، فهذا سيكون أمرًا مريحًا للأب.

وفي تلك اللحظة سمعنا صوت توقف العربة أمام بوابة المنزل، وسمعنا صوتًا يقول:

"حمدًا للإله على سلامتك يا سيدي".

فلقد عاد سيدي من مركز الشرطة، ثم أعطى سائق العربة الخادمة لفافة مربوطة بمنديل كبير، ثم دخل سيدي بهدوء حجرة المعيشة وقال:

"من؟ ابنة أختي! مرحبًا مرحبًا".

وكان يحمل إناء في يده، فوضعه على الأرض بجانب المدفأة بطريقة فظة، ولكن الإناء لم يكن إناءً عاديًا، وأيضًا لم يكن يبدو عليه إناء لوضع الزهور، كان إناءً فخاريًا غريب الشكل، ولكنني مضطر إلى أن أطلق عليه إناء، لأنني لا أجد كلمة أخرى تعبر عنه.

وفي حين أخذت "النهر الثلجي" الإناء الذي كان مستلقيًا، فأوقفته وقالت:

"إناء شكله غريب، هل أعطتك الشرطة هذا الإناء؟"

فنظر إليها سيدي وقال متفخرًا:

"ما رأيك فيك؟ إناء جميل، أليس كذلك؟"

فقالت:

"جميل! هذا! لا أعتقد ذلك، لماذا أحضرت إناء لوضع الزيت؟"

سیدی:

"ماذا؟ إناء زيت! هل تعتقدین أنه إناء لوضع الزيت! لا تقولى هذا كى لا أحزن".

مَكْتَبَةُ يَاسْمِينِ

"النهر الثلجى":

"إدًا، إناء ماذا؟"

t.me/yasmeenbook

سیدی:

"إنه إناء لوضع الزهور، مزهرية".

"النهر الثلجى":

"كيف يكون إناء لوضع الزهور، رغم أنه فوهته ضيقة جدًا ومنتصفه واسع جدًا!"

سیدی:

"هذا هو الجميل فيه، أنتِ ليس عندك حس جمالى، لا تملكين حاسة التذوق الفنى، أنتِ مثل زوجتى تمامًا، ليس بينكما أى اختلاف، شىء محزن".

ثم رفع الإناء إلى أعلى فى اتجاه الضوء وأخذ يتأمله.

"النهر الثلجى":

"نحن على أى حال لسنا ذواقه فى أى شىء، ولكنى لا أستطيع أن أصدق أنك حصلت على إناء زيت من الشرطة، أليس كذلك يا زوجة خالى؟"

ولكن زوجة خالها لم تكن منتبهة إليها، لقد كانت قد فتحت اللقافة التي أحضرها وكانت مشغولة جداً بالتأكد من المسروقات التي عادت من عند الشرطة، ثم قالت فجأة:

"ماذا؟ اللصوص تطوروا جداً، لقد صاروا ينظفون المسروقات ويطوونها بشكل مهندم جداً، انظر".

سیدی:

"وهل معقول أن تعطيني الشرطة إناء لوضع الزيت! شيء غير معقول، الموضوع أنني تعبت من الانتظار الطويل في مركز الشرطة، فقامت بالتنزه قرب مركز الشرطة، فوجدت هذا الإناء فابتعته، طبعاً لن تشعرى بجمال مثل تلك الأشياء، لأنها أشياء نادرة، أنتيكات".

"النهر الثلجى":

"فعلاً، شيء نادر أكثر من اللازم، ألا تخبرنى ما المكان الذى كنت تتنزه فيه ووجدته هناك؟"

سیدی:

"كنت فى منطقة نيهون زوتسومى، حيث مركز الشرطة، ودخلت منطقة يوشى وارا، إنها منطقة مكتظة بالناس، وشاهدت البوابة الحديدية المشهورة، هل سبق لكما أن شاهدتما تلك البوابة؟"

"النهر الثلجى":

"ما الذى يجعلنا نشاهدها، لماذا نشاهدها، طبيعى ألا نشاهدها، ليس هناك ما يجعلنا نذهب إلى منطقة مخصصة للعاهرات، ولكن أليس غريباً أن تذهب إلى تلك المنطقة رغم أنك أستاذ مدرسى! شيء عجيب أن تفعل ذلك! ألا تتفقين معى فى الرأى يا زوجة خالى؟"

سيدتى:

"نعم نعم، أعتقد أن بعض المسروقات لم يرجع، هل عادت جميع المسروقات؟"

سيدى:

"نعم، ما عدا البطاطس الجبلية، لقد قال لى الشرطى أن أحضر إلى مركز الشرطة قبل التاسعة، ولكنهم جعلونى أنتظر حتى الساعة الحادية عشرة، هذا شيء غير معقول، الشرطة اليابانية سيئة."

"النهر الثلجى":

"إذا كانت الشرطة اليابانية سيئة، فأنت أسوأ، كيف تتسكع فى منطقة يوشى وارا التى هى مكان مشبوه! لو علمت المدرسة بذلك سيقيلونك من عملك، أليس كذلك يا زوجة خالى؟"

سيدتى:

"نعم فعلاً، أين حزام معطفى يا زوجى، لقد شاهدت المسروقات ولم أجدّه، لقد شعرت منذ البداية أن هناك شيئاً ناقصاً."

سیدی:

"إذا كان الناقص حزامًا واحدًا، فلتنسيه، فلقد تركوني أنتظر عندهم ثلاث ساعات، لقد أهدرت نصف يوم من وقتي المهم في لا شيء".

ثم ذهب فقام بتبديل ملابسه الغربية بزى ياباني مخصص للمنزل وجلس بجانب المدفأة مسترخيًا يشاهد إناء الزيت الذي أحضره، وبدأ على سیدی أنها وجدت أنه لا فائدة من التفكير في أمر الحزام، فكفت عن التفكير فيه، وجمعت المسروقات ووضعتها في الدولاب، ثم عادت فجلست.

"النهر الثلجي":

"إناء الزيت هذا غريب جدًا، شكله قدر، أليس كذلك يا زوجة خالي؟"

سیدی:

"هل اشتريته من منطقة يوشى وارا! إنه..."

سیدی:

"إنه ماذا؟ أنتِ لست عندك المقدرة على تقييم مثل هذه الأدوات الفنية".

"النهر الثلجي":

"ولكنه لا يُباع فقط في منطقة يوشى وارا، بل يُباع في كل الأماكن، أليس كذلك؟"

سیدی:

"لا ليس كذلك، من الصعب الحصول عليه من أي مكان، إنه أنتيكة نادرة".

"النهر الثلجي":

"أنت لا تقتنع بآراء الآخرين، تتمسك برأيك دائماً".

سیدی:

"أنتِ طفلة ورغم ذلك تتحدثين بأسلوب غير مناسب مع الكبار، طالبات هذه الأيام يتحدثن بطريقة غير لائقة، يجب أن تقرئي كتاب كيف تكونين فتاة صالحة".

"النهر الثلجي":

"أيهما تكره أكثر يا خالي، الطالبات أم التأمين على الحياة؟"

سیدی:

"لا أكره التأمين على الحياة، إنه مهم، إنه يهتم بالمستقبل ولذلك يجب على الجميع عمل تأمين على الحياة، لكن الطالبات أشياء ليست لها فائدة".

"النهر الثلجي":

"أنا لا يضيرني أن تقول ذلك، ولكنك تقول إن التأمين مهم رغم أنك لم تؤمن على حياتك، كلام متضارب".

سیدی:

"سوف أوّمن على نفسي من الشهر المقبل".

"النهر الثلجى":

"هل أنت جاد؟"

سيدى:

"نعم جاد".

"النهر الثلجى":

"أنت تمزح، أفضل لك أن تبتاع أى شىء من إضاعة المال على شركة التأمين، أليس كذلك يا زوجة خالى؟"

فتبسمت سيدتى ابتسامة سخرية، وإذا بسيدى يقول بطريقة جادة:

"أنتِ تعتقدين أنكِ سوف تعيشين حتى يبلغ عمرك مئة أو مئتى سنة، ولذلك تنظرين بسخرية إلى التأمين، ولكن لو فكرتِ بطريقة واقعية عاقلة، سوف تفهمين أن التأمين مهم، أنا قررت قرارًا لا رجعة فيه أن أومن على نفسى من الشهر المقبل".

"النهر الثلجى":

"أهكذا! ما دمت ترى هذا فافعل ما شئت، فإذا كنت تملك المال أفضل أن تنفقه على التأمين من أن تشتري شيئًا لست فى حاجة إليه كما حدث معى، فلقد اشتريت لى مظلة على شكل وطواط رغم أننى أخبرتك عدة مرات أننى لست فى حاجة إليها".

سیدی:

"إلى هذه الدرجة لم تكوني في حاجة إليها؟"

"النهر الثلجي":

"نعم، لا أريد مظلة على شكل وطواط".

سیدی:

"إذا كنتِ لا تريدينها، فأعيديها لي، سوف أعطيها لابنتي طونقو، لأنها تريد مظلة مثلها، هل أحضرتها اليوم معكِ؟"

"النهر الثلجي":

"ماذا؟ لم أتوقع منك أن تقول ذلك، كلامك قاسٍ، كيف تبتاعها لي ثم تطلب ردها، كلام غريب".

سیدی:

"لقد قلتِ إنكِ لا تحتاجين إليها، فقلتِ أعيديها، كلام لا يحمل معنى القسوة".

"النهر الثلجي":

"من ناحية أنني لا أحتاج إليها، فأنا فعلاً لا أحتاج إليها، ولكن طلبك إعادتها طلب قاسٍ".

سیدی:

"أنتِ تقولين ما لا تفهمينه، قلتِ لا أحتاج إليها، فقلتِ أعيديها، كلام ليس قاسياً، أليس كذلك؟"

"النهر الثلجي":

"لكن..."

سیدی:

"لكن ماذا؟"

"لكنه رغم ذلك كلام قاسٍ".

سیدی:

"أنتِ غبية، تكررین الكلام نفسه".

"النهر الثلجی":

"ولكنك تكرر الكلام نفسه أيضًا، أليس كذلك؟"

سیدی:

"أنا مضطر أن أكرر الكلام نفسه لأنك تكررین الكلام نفسه،

ألم تقولى الآن إنك لا تحتاجين إليها؟"

"النهر الثلجی":

"نعم قلت إننى لا أحتاج إليها، ولكنى لا أريد أن أعيدها

إليك".

سیدی:

"شئ عجيب، لا أجد وسيلة كي أجعلك تفهمين ما أقول،

لأنك غبية ومتصلبة الرأى، ألا تدرسين فى مدرستك مادة علم

المنطق؟"

"النهر الثلجى":

"أنت بدأت تنتقدنى، تريد أن تقول إننى جاهلة، قل ما تشاء، كيف تهدى شخصاً شيئاً ثم تطلب منه أن يعيده، هذا كلام جارح ويجب ألا يُقال، يجب عليك أن تقلد ذلك الرجل الغبى".

سيدى:

"ماذا؟ أقلد من!"

"النهر الثلجى":

"أقصد أن تقول بصراحة وصدق وبطريقة مباشرة ماذا تريد".

سيدى:

"أنتِ فعلاً غبية، ومتصلبة الرأى، لذلك ترسبين فى الامتحانات".

"النهر الثلجى":

"نعم أرسب فى الامتحانات، ولكنك يا خالى لست من يدفع لى مصروفات المدرسة".

وعندما ارتفعت درجة المناقشات إلى هذا الحد الملتهب، بدأت دموع "النهر الثلجى" فى الانسياب والتساقط على الجزء الأسفل من رداثها، ولكن سيدى ظل يتأمل وجهها ومكان سقوط الدموع على رداثها فى صمت كأنه يقوم بعمل بحث عن الأسباب النفسية التى تؤدى إلى البكاء.

وهنا جاءت الخادمة من المطبخ وفتحت باب الحجره
بيدها الحمراء ثم قالت لسيدى:

"جاء زائر".

فسألها:

"من؟"

فقالت وهى تنظر بطرف عينيها إلى "النهر الثلجى" وهى تبكى:
"تلميذ من المدرسه".

ولكى أعرف الأخبار الجديدة وأيضاً كي أعرف أكثر عن النفس
البشرية فقد تبعته، فتسللت بخفة وسرت ناحية الشرفة.

وكى تعرف أغوار النفس البشرية، يجب أن تختار المواقف
غير العادية التى تواجه الإنسان، وإذا لم تفعل ذلك لن تستطيع
التوصل إلى استنتاج عن ماهية النفس البشرية، وفي المواقف
العادية سوف تجد الإنسان الكبير كبيراً يتصرف بطريقة عادية
لا تحتوى على تحدٍّ أو منافسة، ولكن عندما يشعر بالخطر،
تتغير نفسيته بطريقة غريبة فى الحال، فيستجمع قوته ويقف
ويتصرف بطريقة عجيبة أو غريبة أو غير مفهومة أو مختلفة
عن تصرفه فى المواقف العادية، وفي كلمة واحدة أستطيع أن
أقول إن حقيقة الإنسان تظهر لى بوضوح كقط فى المواقف التى
تؤثر فى مصلحته، والبكاء الدامى للآنسة "النهر الثلجى" أحد
المواقف التى تدل على كيف يتصرف الإنسان عندما يشعر
بضرر على مصلحته.

فالآنسة "النهر الثلجى" التى لها قلب مثل قلوب بقية البشر، قلب غامض لا يمكن التنبؤ برد فعله، فعندما كانت تتحدث مع سيدتى كانت عادية، ولكن عندما بدأت تتحدث مع سيدى الذى عاد ومعه إناء زيت، استيقظت فجأة المشاعر التى كانت داخلها وكانت تبدو نائمة، كثورة تنين كان يبدو نائمًا ولكنه كان يتصنع النوم إلى أن حانت الفرصة ليثور، فمشاعرها التى تدل على المهارة والذكاء والغرابة والجمال الطبيعى الساحر انطلقت فجأة بغزارة وتلقائية دون مقدمات. والجمال الطبيعى الساحر صفة مشتركة بين جميع السيدات، ولكنه لا يظهر بسهولة، موجود طوال الوقت دون انقطاع، ولكن لا يظهر جليًا وبوضوح إلا نادرًا، ولحسن حظى أن سيدى غريب الأطوار، يحب أن يمرر يده على فروقى بطريقة عكس اتجاه الشعر، ولأنه غريب الأطوار فأستطيع أن أشاهد وأستمع إلى مسرحيات هزلية عندما أتبعه إلى حيث يذهب، دون حاجة إلى الذهاب إلى مسرح ومشاهدة ممثلين، وأشاهد مسرحياته الهزلية دون أن ينتبه هو ومن معه إلى وجودى، من حسن حظى أن صار لى سيد غريب التصرفات، ما يجعلنى أعرف منه الكثير عن النفس البشرية، وخاصة أن عمر الققط قصير، فعلاً أنا محظوظ.

يا ترى من الزائر الذى جاء الآن؟

نظرت فوجدت تلميذًا مساويًا للآنسة "النهر الثلجى" فى السن، أى فى نحو السابعة عشرة، شعر رأسه حُلِقَ قصيرًا لدرجة أن ترى جلد رأسه الكبير، ويقبع فى منتصف وجهه

أنف ذو مقدمة دائرية، ويجلس في ركن الحجره، ولا يوجد ما يميزه إلا جمجمة رأسه، فهى كبيرة جدًا، وربما أن شعر رأسه حلق قصيرًا جدًا فبدا رأسه كبيرًا جدًا، ولو كان أطلق شعر رأسه مثل سيدى، لكان وسيماً وجذب إليه الأنظار فوراً، ولكن سيدى يعتقد أن ملامح الرأس هذه تشير إلى أن صاحبها ليس له باع فى العلم. ربما يكون على صواب فى قوله هذا، ولكن ذلك التلميذ تبدو عليه العظمة مثل نابليون.

ويرتدى التلميذ الزى التقليدى للتلاميذ، ربما يكون رداءً مغزولاً بالقطن السادة المصبوغ أو مغزولاً بالقطن المصبوغ وخيوط بيضاء على شكل نقاط صغيرة أو مغزولاً بالقطن وخيوط على شكل مربعات، عمومًا لم أنتبه إلى ذلك جيداً، ولكنه على أى حال رداء مصنوع من الغزل، والجزء العلوى من الرداء ذو أكمام قصيرة، ولا يوجد تحته قميص أو رداء داخلى، وإن كان معروفًا أن ارتداء ملابس شتوية دون ملابس داخلية مع السير بقدمين عاريتين يعطى انطباعًا بأن مَنْ يفعل ذلك شخص ذو صحة ونشاط، إلا أنه فى الواقع فإن هذا التلميذ يبدو عليه أنه مسكين ويعانى الكثير، ولقد ترك ثلاثة آثار للإصبع الكبير لقدميه على الحُصْر مثل اللصوص، وهذا يدل على أن قدميه عاريتان، ثم جلس على مكان الخطوة الرابعة، ولكنه يجلس فى أدب شديد، وأن يجلس فى أدب وهدوء كاحترام شىء عادى لا يسترعى الانتباه، ولكن ما يسترعى الانتباه هو قصر أكمام الرداء ما يجعل منظر الذراعين البارزتين من الكمين مضحكًا، وهذا لا يتناسب مع منظر رأسه الأصلع الذى

يوحى بالهبة. وإذا كان التلاميذ يتباهون بأنهم عندما يشاهدون الأساتذة في الشارع لا يحيونهم، فأكد أن جلوس هذا التلميذ نصف ساعة بأدب مثل أي شخص أمام الأستاذ شيء قاس عليه، إنه يجلس بتواضع كأنه قمة في الأخلاق، رغم أنها المرة الأولى في حياته التي يجلس فيها بتواضع هكذا. أشعر بدهشة شديدة من تصرفه هذا وأنا أجلس في زاوية أنظر إليه من بعيد، فكيف لتلميذ مثله عندما يكون في الفصل أو في ملعب المدرسة يكون في منتهى الشقاوة، ولكن هنا يستطيع ضبط نفسه هكذا، وهذا يجعلني أشعر بالتعاطف معه، أتعاطف معه لأنه يضغط على نفسه كي يضبطها بشدة هكذا، ولكن في الوقت نفسه أريد أن أضحك من فرط دهشتي لقدرته على ضبط نفسه.

وجلس سيدي أمام التلميذ، فصار كل منهما في مواجهة الآخر، ولكن سيدي الغبي بدأ أضخم منه حجمًا عدة مرات، وهذا ما جعله يشعر بالتفوق على التلميذ.

وكما يقول المثل: "إذا تجمع الحصى تكوّن جبل"، فإذا تجمع التلاميذ الصغار تكوّن جيش جرار لا يجب الاستهانة به، فرمما يقومون بحركات معادية وإضرابات، وهذا يشبه بالضبط ظاهرة أن يحتسى جبان الخمر فيقوم بأعمال شجاعة، يقوم بعمل شغب يساوي شغب جمع من الناس، ولكن بعد ذلك يرجع إلى حالته الطبيعية فيهدأ وتنتهي المشكلة، وإذا لم يكن يشعر بأن وراءه تلاميذ آخرين ما جاء إلى منزل سيدي الملقب مؤقتًا باسم أستاذ، وبالتالي لا يمكن السخرية منه.

وقال له سيدى وهو يدفع إليه وسادة للجلوس عليها:

"تفضل".

ولم يقل بصراحة:

"تفضل بالجلوس عليها".

ولكن التلميذ الأصلع تخشب في مكانه ولم يتحرك، وكل ما فعله أن قال:

"نعم".

والوسادة قطنية بتطريز هندي ومقدمتها منحولة من فرط الاستخدام، ولكن الغريب أن التلميذ ذا الرأس الكبير ظل جالسًا كما هو لا يتحرك بل ينظر إلى الوسادة، ولقد طلبت سيدتى من المصنع أن يصنع لها وسادات من أجل الجلوس عليها وليس من أجل النظر إليها وتأملها، وعدم الجلوس عليها لهُو إهانة لها وإحراج لسيدى الذى قدمها إليه كي يجلس عليها، ولم يكن التلميذ الذى أخرج سيدى بعدم الجلوس على الوسادة والاكتفاء بالنظر إليها يكره الوسادات، ولكن فى الواقع أنه لم يكن قد جلس على وسادة منذ ولادته وحتى الآن إلا مرة واحدة عندما توفى جده وحضر العزاء، ومع ذلك ظل جالسًا على الحُصر ما أدى إلى شعوره بألم وتنميل فى قدميه، ولم يجلس على الوسادة، رغم أنها أمامه حيث تصل إليها يده، فقال له سيدى مرة أخرى مشجعًا:

"تفضل".

ولكنه لم يجلس عليها، إنه تلميذ أصلع متعب.

وإذا كان هذا الرفض تعبيراً عن الأدب، فالأحرى فعل ذلك في حالة وجود كثير من الأشخاص، مثلاً في المدرسة أو منزل إقامة التلاميذ.

ولكن إظهار الأدب بشدة في موقف لا يتطلب ذلك وعدم إظهاره في موقف يتطلب ذلك بشدة، شيء يدل على عدم الأدب، إنه تلميذ أصلع وأخرق.

ثم فتحت "النهر الثلجي" باب الحجرة بهدوء شديد وهى تحمل كوب شاي ووضعته أمام التلميذ بأدب شديد. ولو كنا في موقف آخر لقال التلميذ للأستاذ مداعباً:

"هل هذا شاي الأوباش؟"

ولكن كونه يجلس وحيداً أمام سيدي، وفوق ذلك وجود فتاة في المدرسة تقدم له فنجان الشاي بأدب شديد، جعله يشعر بحرج شديد أن يقول ذلك.

وعندما انتهت الفتاة من وضع الشاي وانصرفت وكانت على وشك غلق الباب ابتسمت له ابتسامة خفيفة، وبدا عليها أنها في سن التلميذ نفسها وأنها فتاة رائعة، لأنها مقارنةً بذلك التلميذ كانت تبدو هادئة ورزينة في تصرفاتها، وإن كانت قد اندفعت في البكاء بحرقه منذ قليل، إلا أن ابتسامتها قد غطت على تلك الدموع وتركت انطباعاً جيداً.

وبعد أن غادرت "النهر الثلجى" الغرفة دخل الطرفان في حالة صمت متبادل، وبعد برهه انتبه سيدى إلى ذلك فقطع الصمت إذ قال:

"ذكرنى باسم عائلتك".

الضيف:

"فوروى".

سيدى:

"واسمك؟"

الضيف:

"بوئيمون".

سيدى:

"فوروى بوئيمون. اسم طويل، إنه اسم قديم، أنت في الصف الرابع، أليس كذلك؟"

الضيف:

"لا".

سيدى:

"إدًا فى الثالث".

الضيف:

"لا، فى الثانى".

سيدي:

"في الفصل أ، أليس كذلك؟"

الضيف:

"في ب".

فقال سيدي بسعادة:

"إذا أنت في الفصل الذي أشرف عليه".

وفي الواقع فإن هذا الرأس الكبير دائماً أمام عيني سيدي منذ أن التحق صاحبه بالمدرسة، ولذلك مفترض ألا ينساه، إنه رأس محفور في الذاكرة لا يمكن أن يُنسى، ولكن سيدي الشارد الزهن دائماً في لا شيء لم يستطع الربط بين ذلك الرأس وذلك الاسم القديم، أنهما للتلميذ الذي في الصف الثاني الفصل ب الذي هو مشرف عليه، ولذلك عندما سمع أن صاحب ذلك الرأس الذي جذب انتباهه في الفصل الذي يشرف عليه صفق فرحاً وقال:

"لقد تذكرت الآن".

ولكن لم يستطع أن يفهم لماذا هذا التلميذ ذو الرأس الكبير والاسم القديم والذي تحت إشرافه حضر الآن إلى منزله، خاصة أن سيدي غير محبوب من التلاميذ لدرجة أنهم لا يأتون لزيارة مطلقاً في نهاية العام ولا في بداية العام، وتلك هي المناسبات المتعارف عليها أن يزور فيها التلاميذ أساتذتهم، وعلى هذا فإن الضيف التلميذ "فوروي بوثيمون" ضيف نادر لأنه أول تلميذ

يزوره، وبما أن سيدي يجهل هدف الزيارة فقد جلس صامتًا، وأكد أنه لم يأتِ في زيارة ودية لإنسان ممل مثل سيدي، ولكن إذا كان قد جاء من أجل أن ينصح سيدي بأن يستقيل من العمل في المدرسة، كان سيتحدث بثقة، وبصرف النظر إذا كان قد جاء يتحدث في أمور شخصية أم لا، فإن سيدي بدا عليه أنه مشغول بالتفكير في هدف الزيارة، ولكنه لن يستطيع التوصل إلى معرفة ذلك الهدف، وربما التلميذ نفسه لا يعرف هدف زيارته لسيدي، وعندما عجز سيدي عن أن يبدأ التلميذ في التحدث عن هدف الزيارة، لم يجد مفرًا من أن يواجهه بطريقة مباشرة.

سيدي:

"هل أتيت لزيارتي زيارة ودية؟"

الضيف:

"لا، ليس كذلك".

سيدي:

"إذًا لك حاجة، أليس كذلك؟"

الضيف:

"نعم".

سيدي:

"حاجة خاصة بالمدرسة".

الضيف:

"نعم، شيء أردت أن أتحدث إلى حضرتك عنه".

سيدي:

"نعم، ما الذي تريد التحدث عنه؟ تفضل تحدث".

فلم يتحدث الضيف، بل نظر إلى أسفل وصمت، وفي الواقع فإن الضيف تلميذ في الصف الثاني بالمدرسة الإعدادية ويتحدث كثيرًا مقارنة بزملائه، صحيح رأسه أكبر من العادي ولكن عقله أقل من العادي، ولكن بالنسبة إلى التحدث فهو ثثار مقارنة بأقرانه، بدليل أن من سأل سيدي منذ عدة أيام في الحصة أن يترجم له كيف يقول "كولومبوس" باللغة اليابانية، ما وضع سيدي في حرج شديد، كان ذلك التلميذ الذي يجلس أمام سيدي، فأنا يجلس أمام سيدي صامتًا منذ البداية مترددًا ومتلعثمًا مثل البنات أمر غريب يدعو إلى الريبة، لا يمكن أن يكون الحياء الذي منعه من التحدث، أكيد هناك سبب آخر، وعلى هذا ارتاب سيدي في حدوث شيء ما.

سيدي:

"لو كان عندك ما تريد التحدث عنه فلتتحدث بسرعة".

الضيف:

"أشعر بصعوبة أن أقول ما أريد".

فقال سيدي:

"تشعر بصعوبة أن تقول ما تريد!"

ثم نظر إلى وجه الضيف جيداً فوجده ما زال ينظر إلى أسفل، فلم يستطع أن يفهم سبب صمته، فلم يجد مفراً من أن يغير أسلوب كلامه، فقال له بطريقة لطيفة:

"قل ما تريد، لن تكون هناك مشكلة، لا أحد آخر يسمع حديثنا، ولن أخبر أحداً آخر بما تقول".

فقال الضيف وهو ما زال متلعثماً:

"هل تسمح لي أن أتحدث؟"

فقال له سيدي مؤكداً:

"طبعاً".

فقال الضيف وهو يرفع رأسه الضخم إلى أعلى وينظر إلى سيدي بعينين خجلتين:

"حسناً، سوف أتحدث".

قال ذلك وهو ينظر بعينيه اللتين بدا عليهما الرعب، وكان سيدي قد ملأ فمه بدخان السجائر ثم رفع وجهه إلى الجانب كي يلفظ الدخان بعيداً عن وجه الضيف، وحينئذٍ قال الضيف:

"في الواقع، أنا في ورطة".

سيدي:

"ماذا؟"

الضيف:

"في ورطة شديدة ولذلك جئت".

سیدی:

"فهمت أنك في ورطة ولكن ما هي هذه الورطة؟"

الضيف:

"لم أكن أريد فعل ذلك، ولكن هاماضا طلب مني بإلحاح أن أعيره".

سیدی:

"هل تقصد بـ هاماضا زميلك في الفصل هيسكيه هاماضا؟"

الضيف:

"نعم".

سیدی:

"تعيره مالاً كي يدفع إيجار بيت الطلاب؟"

الضيف:

"ماذا؟ لم أعره مالاً".

سیدی:

"إذاً أعرته ماذا؟"

الضيف:

"أعرته اسمي".

سیدی:

"أعرته اسمك! يفعل به ماذا؟"

الضيف:

"يرسل به رسالة حب".

سيدي:

"يرسل به ماذا؟"

الضيف:

"طلب مني أن يكتب اسمي على خطاب حب كي يبعثه
كرسالة بريدية".

سيدي:

"أنا لا أفهم جيدًا ماذا تريد أن تقول، لا أفهم مَنْ فعل
ماذا".

الضيف:

"أرسل رسالة حب".

سيدي:

"أرسل رسالة حب! إلى من؟"

الضيف:

"هذا ما يصعب التصريح به".

سيدي:

"هل تقول إنك أرسلت رسالة حب إلى فتاة ما؟"

الضيف:

"ليس أنا من فعل ذلك".

سيدي:

"هل أرسلها هاماذا؟"

الضيف:

"وليس هاماذا من أرسلها".

سيدي:

"إدًا من أرسلها؟"

الضيف:

"لا أعرف من أرسلها".

سيدي:

"أنا لا أستطيع أن أفهم مطلقًا ما تقول، هل تقول لم يرسل الرسالة أحد؟"

الضيف:

"اسم المرسل فقط اسمي".

سيدي:

"الاسم فقط اسمك، ولكني لا أستطيع أن أفهم ما الموضوع وما المشكلة، فكر ورتب أفكارك وقل لي ما الموضوع، من المرسل إليه المفترض أن يحصل على الرسالة؟"

الضيف:

"ابنة السيد أبو الذهب الذى له منزل بالقرب من هنا".

سیدی:

"هل تقصد بالسيد أبو الذهب رجل الأعمال الذى اسمه أبو الذهب؟"

الضيف:

"نعم".

سیدی:

"وما موضوع استعارة اسمك؟"

الضيف:

"إن تلك الفتاة متكبرة وتحب المظاهر، ولذلك أرسل إليها رسالة حب، وقال يجب أن نكتب اسم المرسل، وقال أن يكتب اسمه لأن اسمه غير جميل، وعندما ألح على أن أعيره اسمى فيكتبه على الرسالة وافقت مضطراً".

سیدی:

"وهل تعرف تلك الفتاة؟ هل لك علاقة بها؟"

الضيف:

"لا يربطنى بها أى شىء، ولم يسبق لى أن رأيت وجهها".

سیدی:

"تصرف غريب، ترسل رسالة إلى فتاة لا تعرفها ولا حتى رأيت وجهها! ما الذي دفعك إلى فعل ذلك؟"

الضيف:

"لأن الجميع قال إنها فتاة متكبرة ومغرورة ولذلك أردنا مضايقتها فقط".

سیدی:

"وهذا تصرف غريب جداً، وهل كتبت الاسم على المظروف فيراه الجميع؟"

الضيف:

"نعم، لقد كتب هاماضا الرسالة وكتب اسمي بدلاً من اسمه، وقام زميلنا إندو بحمل الرسالة ووضعها في صندوق تلقى الرسائل الخاص بمنزلها".

سیدی:

"إذاً لقد اشركتم أنتم الثلاثة في فعل ذلك".

الضيف:

"نعم، ولكن عندما فكرت لاحقاً في ما فعلناه، قلت لنفسي لو افتضح أمرنا لفُصلت من المدرسة، فشعرت بالخوف والقلق الشديد ولم أستطع النوم لعدة أيام وصرت شارداً ذهنياً لا أستطيع التركيز في شيء".

سیدی:

"وهذه حماقة كبيرة أخرى، وهل كتب بجانب اسمك أنك في مدرسة الحضارة الإعدادية وفي الصف الثاني؟"

الضيف:

"لا، لم يكتب اسم المدرسة ولا الصف."

سیدی:

"فعل حسنًا أنه لم يكتب اسم المدرسة، لو كان فعل لكنت إهانة للمدرسة."

الضيف:

"ما رأيك حضرتك، هل سوف يفصلونني من المدرسة؟"

سیدی:

"ربما."

الضيف:

"يا أستاذي، والدي رجل صعب، وفوق ذلك أمي تعاملني كأنها زوجة أبي، فإذا تم فصلي من المدرسة سوف أعاني معاناة شديدة، فهل سوف أفصل من المدرسة؟"

سیدی:

"كان يجب عليك ألا تفعل ذلك."

فقال الضيف بصوت باكِ وهو يتوسل بحرارة:

"لم يكن في نيتي فعل ذلك، ولكنى للأسف فعلته، هل يمكن أن تمنع فصلي؟"

وكانت سيدتي والآنسة "النهر الثلجي" تقفان خلف الباب تضحكان بصوت خفيض على غرابة الموقف ورد فعل سيدى بتكراره كلمة "احتمال تُفصل".

ولقد قلت "شئ غريب"، وربما يريد بعضكم أن يسألنى ما الشئ الذى تعتقد أنه غريب؟ وهذا سؤال جيد، سواء بالنسبة إلى البشر أو الحيوانات، فإن أهم شئ في هذه الحياة أن يعرف الإنسان أو الحيوان نفسه، فمثلاً إذا استطاع الإنسان معرفة ما بداخله سوف تحترمه القطط كإنسان، وفي هذه الحالة للأسف سوف أضطر إلى التوقف عن كتابة مذكراتي التى تسخر من الإنسان، ولكن سوف أقول للبعض الذى يسألنى ما الغريب فى الإنسان، إنك كما لا تعرف من نفسك طول أنفك، فإنك لا تعرف ما بداخلك، لا تعرف نفسك، ولذلك تسأل قطعاً مثلى ما الغريب فىك، رغم أنك تحتقرنى، فاعلم أن الإنسان وقح، أكيد ينقصه شئ ما، وما ينقصه أنه لا يعى أن كل كائن يملك روحاً وأن روح كل كائن ثمينة عنده، وهذا يجعلنى أريد أن أضحك بأعلى صوت سخرياً منه، ورغم أن الإنسان يملك أهم روح من بين أرواح جميع الكائنات فإنه يصيح بصوت عالٍ ويسأل:

أين أنفى؟ من فضلك قل لى أين أنفى، من فضلك قل لى أين أنفى.

وإذا سألناه:

هل تريد أن تترك روحك جسدك؟

فهو يرفض ذلك بشدة، يرفض أن تتركها حتى الموت، ولو استطاع أن يجمع بين معرفة أن يملك أهم روح ويعرف ما بداخله فسوف يكون كائنًا جذابًا جدًا، ولكنه بدلاً من أن يصير جذابًا فإنه صار أحمق ولا يرضى بما يملك.

وبالنسبة إلى حادثة هذا التلميذ، بدت على التلميذ وسيدى وسيدتى والآنسة "النهر الثلجى" الإثارة، ليس لأنهم وجدوا أنفسهم يواجهون مشكلة ويفكرون في حلها، ولكن لأن كلاً منهم كان ينظر إلى الموضوع من زاوية غير الزاوية التى ينظر منها الآخرون.

أولاً: كان سيدى يتعامل ببرود مع هذه الحادثة، ولم يبداً اندهاشاً من كون والد التلميذ صعباً أو أن أمه تعامله كأنها زوجة أبيه، وطبيعى ألا يدهشه شىء مثل هذا، فإن فصل التلميذ من المدرسة وفصل سيدى من عمله فى المدرسة موضوعان مختلفان، ففصل ذلك التلميذ من المدرسة لن يؤثر فى سيدى، فربما فصل ألف تلميذ من المدرسة سوف يكون له أثر فى حياة سيدى كأستاذ، ولكن فصل تلميذ واحد مثل هذا التلميذ لن يكون له أدنى أثر فى حياته، وبما أنه لا تأثير لحادثة التلميذ فى سيدى، فلا يوجد تعاطف من سيدى مع ذلك التلميذ، وإن ما يظهره من ملامح تدل على التعاطف مع التلميذ مثل رفع الحواجب للدلالة على الدهشة أو الزمجرة للدلالة على الغضب أو صوت الأنين للدلالة على الحزن- ليست

مظاهر تدل على تعاطف حقيقي، إنها مظاهر لا تزيد على كونها مظاهر فقط، إن الإنسان حيوان لا يتعاطف مع الآخرين وليست له القدرة على فهم ما يدور في قلب الآخر دون كلام، ولكن أحياناً عند تعامله مع الآخرين يمثل أنه يذرف الدموع ويتصنع وجهًا حزينًا كنتيجة أنه جاء إلى هذه الدنيا، يعنى ينافق، يُظهر ما يُرضى الآخرين، ولكن في الحقيقة أن التصنع فن يحتاج إلى مجهود شاق، وإن من ينجح في النفاق إنسان قوى يؤدي دوره بإتقان، يؤدي دوره بضمير، ولذلك يصدقه المجتمع ويُقدِّره تقديرًا كبيرًا، وليس هناك كائن آخر ينجح في النفاق مثل الإنسان، وإذا كنت تريد التأكد من ذلك جرب أن تنافق وستعرف، ولكن بالنسبة إلى سيدي فهو فاشل في النفاق، ولذلك فهو يُظهر ما في داخله من برود ولا يستطيع أن يخفيه عن أعين الناس، ولذلك فأنا متفهم لماذا يقول سيدي للتلميذ عدة مرات متتالية:

"احتمال تُفصّل".

ربما تقولون إنه يكرر ذلك كثيرًا لأنه إنسان بارد، نعم هو إنسان بارد ولكن لا يعنى هذا أنني أكرهه، لا يمكن أن أكره إنسانًا شريفًا مثله، كما أن البرود سمة من سمات الإنسان وُلِد بها، فهي سمة طبيعية في شخصيته، وإن الإنسان الذي لا يسعى إلى إخفاء تلك السمة لهو الإنسان الشريف، وإذا كنت تعتقد أنك قد تجد في الإنسان سمة أفضل من البرود، فمعنى هذا أنك قد أعطيته أكثر مما يستحق، وإذا كنت تتوقع أن تجد كثيرًا من البشر الشرفاء في مثل هذا الزمان، فليس أمامك

إلا أن تفتح الكتب وتأخذ منها الشخصيات الشريفة وتأتي بها وتجعلها تعيش في منازل بالقرب من منزلك، وإلا فما تطلبه مستحيل لا يمكن تحقيقه.

وبالنسبة إلى السرد عن سيدي سوف أكتفى بهذا القدر، وأنتقل إلى السيدتين اللتين كانتا تضحكان في حجرة المعيشة، كانتا تبعدان خطوة عن مكان وجود سيدي الذي كان يتعامل مع التلميذ ببرود، ولكنهما كانتا تضحكان لشعورهما بسعادة مما سمعتا من التلميذ، فلقد اعتبرتا أن ما سمعتا من التلميذ بشرى خير، وإن وقوعه في مشكلة شيء مفرح لهما.

ويا عزيزي القارئ لو سألت سيدة:

"عندما تشاهدين شخصًا في مأزق هل تضحكين عليه؟"

فأكيد أن من سُئلت سوف تقول:

"إن سائل هذا السؤال إنسان أحمق".

وإذا صمتت ولم تقل إنه أحمق سوف يُعتبر صمتها هذا احتقارًا للسائل، وربما احتقارًا للحقيقة ذاتها، لأن الضحك على إنسان في مأزق كان حقيقة، وليس طبيعيًا أن تقول سيدة:

"أنا سوف أفعل أمامك ما يجعلني حقيرة، فقل لي إنني حقيرة".

أو:

"سوف أسرق، ولكن لا تقولي لي أبدًا إنني سيئة الخلق، لأن قولك عنى إنني سيئة الخلق سوف يلوث كرامتى، وهذا سيكون احتقارًا لي".

المرأة لثيمة، تفكر بطريقة منظمة منطقيًا، ويجب على الرجل أن يتقبل الضرب والدهس بالأقدام من المرأة وتناول ما تبصق عليه ولا يلتفت إليها، بل يوهمها أن كل شيء على ما يرام، ويجب أن يتقبل ضحكاتها العالية الساخرة منه بهدوء، وإذا لم يفعل ذلك لن يستطيع التعامل مع المرأة وخاصة المرأة اللثيمة. وربما تعتقد أن الضحك على ذلك التلميذ الذي أخطأ خطأ صغيراً ويشعر بالرعب الشديد تصرف ليس أخلاقياً، خاصة أنه ما زال طفلاً لا يعي جيداً ماذا يفعل، ولكن لو غضبت ممن ضحكوا عليه سوف يقولون إنك تافه، تفكر في أمور صغيرة مثل الضحك، وعليه فإن الصمت والهدوء والرزانة في هذه الحالات هو الأفضل.

وأخيراً سوف أتحدث قليلاً عما بداخل التلميذ الذي يدعى بوئيمون، إنه تجسيد للقلق، له رأس كبير مثل نابليون، ومثلما كان عقل نابليون مليئاً بالتفكير في نجاح ساحق في حروبه، فإن عقل "بوئيمون" مليء بالقلق، لدرجة أنه على وشك أن ينفجر، وأما مقدمة أنفه التي على شكل دائرة فترتعش قلقاً، وينتقل هذا القلق إلى بقية وجهه دون تعمد منه، ما يدل على أنه يعاني من حالة عصبية شديدة، ولقد ابتلع كعكة، فدخلت معدته مثل دخول دابة في مدفع هاون، كأنه سقط إلى قاع معدته ما كان يجب ألا يدخلها ولا تعرف كيف تتعامل معه، ما يدل على أنها لم تتلقَ منذ عدة أيام ما يجب أن تتلقاه، ولما لم يجد "بوئيمون" مخرجاً مما يعاينه فتصور إنه إذا جاء

إلى منزل الأستاذ المشرف عليه وأحنى رأسه له سوف يجد حلاً لمشكلته، رغم أنه يكره أستاذه جداً.

لقد نسي هذا التلميذ تمامًا أنه عندما يكون في المدرسة يعتمد إثارة الأستاذ "عطسة"، ويحرض زملاءه عليه، يفعل كل ما يستطيع لمضايقته، ورغم كل ما يفعله في سيدي الأستاذ "عطسة" الذي هو المشرف عليه من مضايقات، فإنه متخيل أنه بما أن سيدي الأستاذ "عطسة" هو الأستاذ المشرف عليه، أكيد سوف يقلق عليه ويساعده.

تفكير ساذج جداً.

لم يقبل سيدي أن يكون مشرفاً على التلاميذ لأنه يحب أن يفعل ذلك، بل مضطراً لأن ذلك كان أمراً من مدير المدرسة، مثل القبعة التي يرتديها عم البروفيسور الفشار، قبلت أن توضع فوق رأسه لأنها لا تستطيع أن ترفض أن توضع فوق رأسه، فسيدي اسماً هو المشرف، اسماً فقط، ولكنه لا يستطيع فعل أي شيء، فإذا كان الاسم فقط مفيداً في الأوقات المهمة لاستطاعت الأنسة "النهر الثلجي" الزواج من خلال أن يسمع العريس اسمها الجميل فقط دون أن يراها، أكيد أنه تعلم أنه إذا كان أنانيًا يفعل ما يحلو له ولا يراعى مشاعر الآخرين، فلا يجب أن يتوقع أنهم أكيد سوف يقفون بجانبه ويساعدونه، واتضح هذا جلياً له من خلال ما سمعه من ضحكات السخرية منه.

جاء التلميذ "بوئيمون" إلى منزل مشرفه، ولكنه أكيد أنه اكتشف اكتشافاً جديداً بالنسبة إلى حقيقة النفس البشرية،

وأن ذلك الاكتشاف سوف يساعده كي يصير إنساناً واقعياً في المستقبل، أكيد سوف يتعامل مع قلق الآخرين ببرود، وأنه عندما يرى شخصاً في ورطة، سوف يضحك عليه سخريّة وبصوت عالٍ، فإنه كما أدين سوف يدين، وسوف تمتلئ الدنيا بمن هم على شاكلته، مثلما الدنيا الآن مليئة بأمثال السيد "أبو الذهب" وزوجته.

ومن أجل صالح "بوئيمون"، أتمنى من أعماق قلبي أن يعرف نفسه في أسرع وقت، حتى لا يصير إنساناً سيئاً، وإذا لم يحدث هذا فسوف يقلق أكثر ويحزن أكثر، ويتعد قلبه عن السعى إلى الصواب، وفي النهاية لن يصل إلى النجاح كما لم يصل إليه السيد "أبو الذهب"، وسوف يتعد عن المجتمع ثم يعزل ليعيش وحيداً، وهذه هي القضية التي يجب أن تشغل تفكيره وليس موضوع الفصل من المدرسة.

وفي حين كنت أفكر في ما يحدث وأتعجب من تصرفات البشر، فإذا بي أسمع صوت فتح باب الحديقة، ثم أرى ظل من يطل بوجهه من بوابة المنزل ويقول:
"يا أستاذ".

وكان الأستاذ غارقاً في تكرار كلمة:

"ربما" للتلميذ "بوئيمون"، ولكن عندما سمع من ينادى من ناحية مدخل المنزل ويقول "يا أستاذ"، نظر إلى ناحية مدخل المنزل وهو يقول لنفسه: "من هذا الذي يناديني؟"، فشاهد وجهاً يطل من الباب الذي كان قد فتحه قليلاً ليُدخل رأسه،

وبلا شك أن وجه ذلك الشخص كان وجه السيد "القمر البارد"
لا وجه أحد غيره.

ثم صاح وهو جالس:

"تفضل ادخل".

فسأل السيد "القمر البارد" وما زال يطل بوجهه من فتحة

الباب:

"يبدو أن عندك ضيفًا".

فرد سيدي:

"ماذا؟ لا تقلق، تفضل ادخل".

"القمر البارد":

"في الواقع لقد حضرت كي اصطحبك إلى خارج المنزل".

سيدي:

"إلى أين؟ هل إلى منطقة أكاساكا مرة أخرى؟ إذا كانت هذه
وجهتنا فأنا أعتذر عن الذهاب معك، لقد جعلتني أسير المرة
السابقة مسافة طويلة، فشعرت بإرهاق شديد، ولا أقوى على
السير جيدًا".

"القمر البارد":

"اطمئن، لن تمشي كثيرًا هذه المرة، لم نخرج معًا منذ مدة
طويلة، هيا نخرج".

سیدی:

"إلى أين نذهب؟ عمومًا تفضل ادخل."

"القمر البارد":

"إلى حديقة حيوان أوينو، كي نستمع إلى صوت زمجرة النمر."

سیدی:

"شيء ممل، ألا تعتقد ذلك! عمومًا لا تقف هكذا، تفضل ادخل."

وكالعادة كان يرتدى بنطاله رمادي اللون الذي به رُقعة على المؤخرة، ولم يتمزق البنطال بسبب عامل الزمن ولا بسبب أن مؤخرته كبيرة، ولكن طبقًا لما قاله صاحب الشأن، أن ذلك بسبب أنه في الأيام الأخيرة يتعلم ركوب الدراجة، وأن تمزُّق جزء مؤخرة السراويل ناتج عن احتكاك ذلك الجزء مع مقعد الدراجة. وعندما دخل "القمر البارد" الحجرة وجَّه تحية قصيرة إلى التلميذ "بوئيمون" وجلس بالقرب من الشرفة وهو لا يتخيل مطلقًا أن ذلك التلميذ قد أرسل خطاب حب إلى مَنْ ستكون زوجته في المستقبل والمفروض أن يحميها.

سیدی:

"الاستماع إلى صوت زمجرة النمر شيء ممل، ألا تعتقد ذلك؟"

"القمر البارد":

"لن نذهب الآن لنسمع زمجرة النمر، سوف نتمشى من الآن في أماكن عدة، ثم عندما تصير الساعة الحادية عشرة

مساءً نذهب إلى حديقة حيوان أوينو كي نستمتع إلى زمجرة النمر."

سیدی:

"ماذا؟"

"القمر البارد:"

"في ذلك الوقت سوف تكون الأشجار العتيقة الموجودة داخل الحديقة ساكنة تمامًا وزمجرة النمر شيء مرعب".

سیدی:

"ربما كما تقول، سوف تكون الحديقة غير مزدحمة مثل فترة النهار".

"القمر البارد:"

"وسوف نختار الأماكن المليئة بالأشجار التي لا يمر منها أحد في أثناء الليل ونتنزه فيها، وبذلك نشعر بأننا لا نعيش في مدينة كبيرة هواؤها ملوث، بل سوف نشعر بأننا في وسط غابة كبيرة".

سیدی:

"وبعد أن نشعر بأننا وسط غابة كبيرة ماذا سيحدث؟"

"القمر البارد:"

"سوف نبقي في هذا المكان فترة نستمتع بهذا الإحساس، وسوف نسمع صوت النمر وهو يزمر".

سیدی:

"وهل أنت متأكد من أنه سوف يزمر؟"

"القمر البارد:"

"نعم، سوف يزمر، يصل إلينا صوت زمجرته ونحن في الكلية حتى بالنهار، وعليه ففى منتصف الليل حين الهدوء التام وعدم وجود أشخاص ومع الشعور بالرعب، ومع وجود عفاريت تحوم حولنا..."

سیدی:

"عفاريت تحوم حولنا! ماذا تعنى بهذا؟"

"القمر البارد:"

"أقصد أن نتخيل من الخوف أن حولنا عفاريت".

سیدی:

"أهكذا! أول مرة أسمع كلامًا مثل هذا".

"القمر البارد:"

"ثم بعد ذلك سنسمع صوت زمجرة قوية للنمر وهو يهز أشجار الأرز العتيقة كي يسقط أوراقها، سوف يكون شيئًا مرعبًا".

سیدی:

"بالتأكيد سيكون شيئًا مرعبًا".

"ما رأيك؟ ألا تحب المخاطرة؟ ألا تذهب معي من أجل تجربة الشعور بالرعب؟ لن تستطيع أن تقول إنه سبق لك أن سمعت زمجرة النمر إلا إذا سمعته في منتصف الليل."

فرد سيدي ببرود على السيد "القمر البارد" كما رد ببرود على سؤال التلميذ "بوئيمون"، فقال:
"ربما".

وكان التلميذ "بوئيمون" صامتًا يستمع بإعجاب شديد إلى حديثهما عن النمر، ولكن عندما قال سيدي "ربما" ردًا على سؤال "القمر البارد"، تنبه التلميذ إلى ما جاء من أجله، تنبه إلى أنه يجب أن يفكر في مشكلته، فقال لسيدي:
"أنا قلق يا أستاذي، بماذا تنصحنى أن أفعل؟"

فتعجب السيد "القمر البارد" من ذلك السؤال وعقد حاجبيه ونظر باندهاش إلى ذلك الضيف الذي لا يعرفه، ولكنى حينئذٍ غادرت المكان واتجهت إلى حجرة المعيشة لقضاء أمر ما. وفي حجرة المعيشة صبت سيدتي وهى تضحك بصوت خفيض على فعلة التلميذ الشاى فى فنجان فخار مصنوع فى مدينة كيوتو، إلى أن امتلأ الكوب إلى آخره، ثم وضعت الفنجان فوق طبق صغير مصنوع من معدن الأنثيمون، ثم قالت للآنسة "النهر الثلجى":

"من فضلك خذى هذا الشاى للضيف".

فقالت "النهر الثلجى":

"أنا! لا".

فقالت سيدتى وهى مندهشة وتحاول كبت ضحكها بكل قوتها:

"لماذا؟"

فقالت "النهر الثلجى" بوجه عبوس وهى تنظر إلى الصحيفة الموضوعية بجانبها:
"دون سبب".

فحاولت سيدتى معها مرة أخرى إذ قالت:

"ما الموضوع؟ تتصرفين بغرابة. سوف تقدمين الشاى إلى السيد القمر البارد، موضوع بسيط لا يسبب مشكلة".
"النهر الثلجى":

"ولكنى لا أريد فعل ذلك".

وظلت تنظر إلى الصحيفة رغم أنها كانت فى حالة نفسية لا تسمح لها بقراءة حرف واحد، وربما تندفع فى البكاء مرة أخرى.

وحينئذٍ وضعت سيدتى فنجان الشاى على الصحيفة وقالت لها وهى تبتسم:

"لا يوجد ما يجعلك تشعرين بالخجل، فلا تخجل".

فقالت "النهر الثلجى" وهى تحاول أن تسحب الصحيفة من تحت فنجان الشاى:

"أنتِ تضغطين علىّ كى أفعل ذلك".

ولكن الصحيفة علقّت بالفنجان فانسكب الشاى على الصحيفة ثم سال فسقط على الحصىرة.

فقالت الزوجة:

"انظرى ماذا فعلت!"

"النهر الثلجى":

"ارتكبت خطأ كبيراً".

ثم أسرعّت ناحية المطبخ، وبالتأكيد سوف تحضر منشفة، ولقد شعرت بأن ما دار بينهما من نقاش كان غريباً ومضحكاً.

وكان "القمر البارد" لا يعلم عما يدور من حديث بين سيدتى والآنسة "النهر الثلجى"، وكان يجلس فى حجرة الضيوف يتحدث فى موضوعات غريبة، إذ كان يقول:

"يبدو أنك أعدت طلاء الأبواب الداخلية، من الذى فعل ذلك؟"

سيدى:

"فتاة فعلت ذلك، صارت جميلة، أليس كذلك؟"

"القمر البارد":

"فعلاً جميلة جداً، أنا منبهر بذلك، هل من فعلت ذلك الفتاة التى تحضر إلى هنا من حين إلى آخر؟"

سیدی:

"نعم، وتساعدنا في أمور أخرى كثيرة، ولقد اجتهدت في عمل ذلك، فهي ترى أن معرفة ذلك أمر مهم من الأمور التي يجب أن تتحلى بها الفتاة كاستعداد للزواج".

قال "القمر البارد":

"شئ مذهش، تفكير صائب".

ثم نظر بدقة وتفحص إلى الأبواب كي يشاهد جيداً ما فعلت.

ثم قال:

"هذا الجزء مطلى بطريقة عادية ولكن ذلك الجزء يحتوى على تموجات وأماكن مرتفعة وأماكن أخرى منخفضة".

سیدی:

"الجزء المطلى موجات مطلى بطريقة غير جيدة، وهو المكان الذى بدأت منه الطلاء، وهذه المرة هى المرة الأولى لها فى القيام بالطلاء".

"القمر البارد":

"ثم أخذ يشرح الجزء المطلى بطريقة سيئة بوصف علمى صعب من منطلق أنه باحث فى هذا المجال، فقال إن ذلك الجزء يحتوى على منحنى تجاوزى..."

ولكن سیدی جراه فى ما يقول، ولم يعلق على كلامه إلا بقول:

"نعم نعم"، و"فعلاً"، و"كما تقول"، و"صحيح".

ومن خلال سير الأحداث وضح جليًا للتلميذ أنه لا أمل في أن يصل إلى مراده، فقرر أن ينسحب، فأحنى جمجمته الضخمة إلى أن لمست الحصىرة احترامًا للأستاذ وهمم بترك المكان دون أن ينطق بكلمة واحدة، وحينئذٍ قال الأستاذ:

"هل سترجع؟"

فارتدى التلميذ في صمت قبقابه وخرج من بوابة المنزل.

شيء يدعو إلى الحزن، ربما سوف يذهب فيكتب كلمة وداع على شجرة ثم يلقي نفسه من فوق شلال "كيجون"، وسوف يكون ذلك بسبب الأنسة "غنية" ابنة السيد "أبو الذهب" التي تحب التمسح بالغرب في المظاهر، والتي تتعامل مع الناس بطريقة متكبرة، وإذا مات هذا التلميذ فأتمنى أن تأتيها روحه وتقتلها، فإذا رحل عن عالمنا هذا بعض فتيات مثلها، فلن يؤثر ذلك سلبيًا في الأولاد أبدًا، أو إذا وجد "القمر البارد" أنسة أخرى جيدة تليق به فسوف أكون سعيدًا.

"القمر البارد":

"هذا كان طالبًا عندك في المدرسة يا أستاذ؟"

سیدی:

"نعم".

"القمر البارد":

"رأسه كبير جدًا! هل هو متفوق في الدراسة؟"

سیدی:

"ليس على قدر حجم رأسه، أحياناً يسأل أسئلة غريبة، مثلاً منذ عدة أيام سألتني أن أترجم له اسم كولومبوس إلى اللغة اليابانية، فاندَهشت بشدة".

"القمر البارد":

"أكيد أن يسأل أسئلة غريبة لأن رأسه غريب، فهو كبير أكثر من اللازم، ولكن بماذا أجبته؟"

سیدی:

"ماذا؟ على ما أتذكر أننى قلت ما خطر على بالى فى ذلك الوقت".

"القمر البارد":

"ولكنك على أى حال ترجمت الاسم. موقف صعب جداً".

سیدی:

"لو لم أترجم جميع الكلمات للتلاميذ لن يثقوا بي".

"القمر البارد":

"لقد صرت سياسياً، نتحدث بصرف النظر عن محتوى الحديث، ولكن من خلال ملاحظتى لذلك التلميذ وهو جالس هنا، شعرت بأنه فى حالة سيئة، ليس شكل طالب يُسبب الضيق لأستاذه، أليس كذلك؟"

سیدی:

"فعلاً، اليوم هو صامت، إنه فتى أحمرق."

"القمر البارد:"

"ماذا حدث؟ عندما نظرت إليه شعرت بأنه حزين جداً،
ما حكايته؟"

"إنه أحمرق، لقد بعث رسالة حب إلى الأنسة غنية بنت
السيد أبو الذهب."

"القمر البارد:"

"ماذا؟ صاحب الرأس الكبير هذا فعل ذلك! شيء غريب،
تلاميذ هذ الأيام يتصرفون تصرفات غريبة لا نتوقع أن يقوموا
بها، لقد اندهشت من تصرفه هذا."

سیدی:

"أعتقد أنك شعرت بالقلق."

"القمر البارد:"

"ماذا؟ لم أشعر بأى قلق على الإطلاق، بل بالعكس شعرت
بأن ما فعله مضحك، لا مشكلة لي مهما وصلها كثير من رسائل
الحب."

سیدی:

"إذا كنت غير قلق، فلن يكون موضوعاً ذا أهمية."

"القمر البارد":

"لست قلقًا على الإطلاق، ولكنى مندهش أن صاحب الرأس الكبير يبعث رسالة حب إلى فتاة".

سیدی:

"ما فعله كان مزحة لا أكثر، لقد اشترك مع ثلاثة في إرسال رسالة حب إليها، كي يضايقوها، فهم يشعرون بضيق منها لأنها متكبرة وتبالغ جدًا في تقليد الأوروبيين من ناحية المظهر".

"القمر البارد":

"ماذا؟ ثلاثة اشتركوا في رسالة حب إلى غنية ابنة أبو الذهب! هذا كلام عجيب لم أسمع به من قبل، كأن ثلاثة أفراد تناولوا وجبة مخصصة لفرد واحد فقط، أليس كذلك؟"

سیدی:

"كل كان له دور محدد في ذلك، أحدهم كتب الرسالة وآخر وضعها في صندوق البريد الخاص بقصرها وآخر سمح لهم بكتابة اسمه كمرسل الرسالة، والتلميذ الذي كان هنا هو الذي سمح لهم بكتابة اسمه كمرسل الرسالة، إنه أكثرهم حماقة، والأكثر من هذا أنه لم يسبق أن رآها قط. أنا لا أفهم لماذا يتصرف تصرفًا أحمق مثل هذا!"

"القمر البارد":

"هذا أحدث موضوع كبير وغريب سمعت عنه، إنها حادثة كبيرة، صاحب الرأس الكبير هذا يبعث رسالة حب إلى فتاة! شيء مضحك جدًا".

سيدي:

"ألن يضايقك هذا؟"

"القمر البارد":

"ماذا؟ طبعًا لا، لم يبعث الرسالة إليّ، بل بعثها إلى ابنة أبو الذهب، وعليه إذا كان من يجب أن يشعر بالضيق فهم وليس أنا".

سيدي:

"ولكنك ربما تتزوج ابنة أبو الذهب".

"القمر البارد":

"ولأنه ربما، فهذا لا يضايقني، كما أن هذا لن يضايق عائلة أبو الذهب".

سيدي:

"إنه موضوع لا يضايقك، ولكن ربما يضايق عائلة أبو الذهب".

"القمر البارد":

"اطمن، لن يضايق عائلتها".

سیدی:

"فهمت موقفك وموقف عائلة أبو الذهب، ولكن ذلك التلميذ بعد فعلته هذه شعر بالندم على ما فعل، وخاف من عواقب ما فعل، فجاء إلى كي أساعده في الخروج من ذلك المأزق".

"القمر البارد":

"أهكذا! ولذلك كان يبدو عليه أنه حزين وقلق، واضح أنه من النوع الذي يفكر في صغائر الأمور، وطبعاً قلت له ما يجعله يشعر بالراحة، أليس كذلك؟"

سیدی:

"يبدو أن ما يقلقه بشدة من عواقب ما فعل أن يتم فصله من المدرسة".

"القمر البارد":

"لماذا يُفصل من المدرسة؟"

سیدی:

"لأنه فعل شيئاً غير أخلاقي".

"القمر البارد":

"ماذا؟ ما فعله ليس فعلاً يصل إلى درجة أن نقول عنه إنه فعل غير أخلاقي، أنا لا أشعر بالضيق مما فعل، كما أن

عائلة أبو الذهب سوف تشعر بالفخر من ذلك، وأكد سوف ينشرون الخبر في كل مكان".

سیدی:

"معقول يفعلون ذلك!"

"القمر البارد":

"على كل حال، أشعر بالحزن عليه، أنا متعاطف معه، حتى لو قلنا إن ما فعله تصرف غير أخلاقي، فلا يجب أن نتركه يتعذب إلى هذه الدرجة، نحن بذلك نقتل شاباً صغيراً في مستقبل العمر، صحيح أن رأسه كبير ولكن شخصيته ليست سيئة إلى درجة كبيرة، ليس من الرحمة أن نتركه يرتعد هكذا، لقد كان على وشك البكاء من الخوف".

سیدی:

"أنت تتحدث مثل البروفيسور، كلاهما يتصرف بطيبة أكثر من اللازم في مثل هذه الأمور".

"القمر البارد":

"ماذا؟ تصرفاتنا تساير الزمن الذي نحياه، ولكنك تتصرف بطريقة قديمة تفسر كل شيء بطريقة معقدة، طريقة لا تساير هذا الزمن".

سیدی:

"ولكن أليس هو أحمق؟ يبعث رسالة حب إلى فتاة لا يعرفها، أليس هذا تصرفاً لا يتفق مع العرف والآداب العامة؟"

"القمر البارد":

"طبعًا مثل هذا المزاح ليس من العرف ولا الآداب العامة، ولكن يجب أن تنقذه مما فيه، افعل خيرًا، إذا تركته هكذا ربما سوف يذهب إلى شلال كيجون".

سيدي:

"ربما".

"القمر البارد":

"تحرك بسرعة، أكبر منه سنًا ويمزحون بطريقة سيئة جدًا ومع ذلك لا يفكرون في ما يفعلون ولا يشعرون بالندم على ما يفعلون، إذا كنت تفكر في معاقبته بالفصل من المدرسة على فعلته هذه، فيجب أن تعاقب كل من قام بفعل غير أخلاقي، وإذا لم تفعل ذلك فلن تكون عادلًا".

سيدي:

"فعلًا".

"القمر البارد":

"حسنًا، وبالنسبة إلى موضوع الذهاب إلى حديقة الحيوان لسماع صوت زمجرة النمر، هل ستذهب؟"

سيدي:

"النمر!"

"القمر البارد":

"نعم، هيا نذهب، في الواقع هناك أمر سوف يجعلنى أعود إلى مسقط رأسى لمدة عدة أيام، وبالتالي لن أستطيع مقابلتك الفترة المقبلة، ولذلك جئت اليوم كي أصطحبك ومنتزه معًا، وأرجو قبول دعوتى".

سیدی:

"فهمت الآن سبب دعوتك لى، سوف تعود إلى مسقط رأسك! هل عندك ظروف تجعلك تعود إلى مسقط رأسك؟"

"القمر البارد":

"نعم عندى ظروف، المهم الآن أن نخرج للتنزه، أألن تخرج؟"

سیدی:

"بلى سوف أخرج".

"القمر البارد":

"هيا نذهب، وسوف أدعوك إلى طعام العشاء، ثم نسير كنوع من الرياضة إلى حديقة الحيوان، وسوف نصل في وقت مناسب جدًا لزيارة الحديقة".

فقال ذلك محفزًا سیدی على الذهاب معه، ما جعل سیدی يتحفز، فخرج معه.

وبعد أن خرجا انفجرت سیدی والآنسة "النهر الثلجى" في الضحك بمختلف أنواعه، ضحكنا قهقهة وقرقرة وكركرة.

الفصل الحادى عشر

وأمام ركن الزينة، جلس كلُّ من "البروفيسور الفشار" والسيد "جدى" فى مواجهة بعضهما يلعبان لعبة الطاولة اليابانية.

البروفيسور الفشار:

"لن ألعب دون مقابل، الخاسر يدعو الفائز إلى طعام أو شراب، هل أنت موافق؟"

فرد عليه السيد "جدى" وهو يتحسس لحيته التى تشبه لحية الجدى قائلاً:

"إذا فعلنا ذلك سوف نحول المباراة من شىء راقٍ إلى شىء مبتذل، الرهان سوف يجعلنا لا نفكر إلا فى الفوز فقط وهذا شىء سخيف، التفكير فى الفوز كتفكير شخص فى حفرة فى جبل،

تفكير ضيق جداً، أما عدم التفكير في ذلك مثل الخروج من تلك الحفرة الجبلية والنظر إلى الجبل والسماء الرحبة والسحاب الجميل وما حولك من طبيعة خلابة".

البروفيسور الفشار:

"لقد عدت مرة أخرى إلى هذا الكلام الغريب. التعامل مع شخص مجذوب مثلك يجعلنى أشعر بالإرهاق الشديد، أنت شخص غريب مثل الشخصيات الغريبة التى تظهر فى كتب الأساطير الصينية القديمة".

"الجدى":

"كمن يعزف على قيثارة دون أوتار".

البروفيسور الفشار:

"أو كمن يرسل تلغرافاً دون وجود خطوط تلغراف".

"الجدى":

"على العموم، هيا نبدأ اللعب".

البروفيسور الفشار:

"هل تريد اللعب بالأحجار البيضاء؟"

"الجدى":

"لا أمانع فى اللعب بالأحجار البيضاء أو اللعب بالأحجار السوداء".

البروفيسور الفشار:

"أنت فعلاً كما توقعت، إنسان غريب، لا تفكر في التفصيلات، بل في عموم الأمور فقط، عمومًا استخدم الأحجار البيضاء وسوف أستخدم الأحجار السوداء، حسنًا، هيا تفضل أبدأ من أي مكان تحب".

"الجدى":

"قوانين اللعبة تقول من يستخدم الأحجار السوداء يبدأ المباراة".

البروفيسور الفشار:

"حسنًا، بما أن القوانين تقول ذلك، سوف أتواضع وأبدأ اللعب، وسوف أضع أول حجر هنا، هنا في أفضل مكان كضربة البداية".

"الجدى":

"هذا ليس أفضل مكان لضربة البداية".

البروفيسور الفشار:

"ليس مهمًا ألا يكون كذلك بالنسبة إليك، إن هذا المكان اكتشاف جديد قمت به أنا".

ولأن تعاملاتي مع البشر قليلة، فكانت هذه هي المرة الأولى التي أشاهد فيها لعبة الطاولة اليابانية، لقد كانت قاعدة وأحجار اللعبة غريبة الشكل، كانت قاعدة اللعبة مربعة الشكل ولكن ليست كبيرة، وكانا يضعان الأحجار البيضاء والسوداء هنا

وهناك في صفوف بسرعة تجعل المشاهد يشعر بدوار، وكانا يتصببان عرقًا ويصيحان "فزت" أو "خسرت" أو "مات" أو "عاش"، وكانت مساحة القاعدة نحو خمسة وثلاثين سنتيمترًا، وأستطيع بقدميَّ الأماميتين أن أنثر الأحجار المصطفة على القاعدة هنا وهناك بسهولة، وإذا استطاع اللاعب صف عدة أحجار يكون بذلك قد كوّن له ما تسمى "قلعة"، وإذا أزال الأحجار المتراصة يكون بذلك عاد إلى الوضع الأصلي الذي يسبق تكوين قلعة، ويُطلق عليه "أرض فضاء". موضوع سخيف، والأفضل أن يضع الشخص يديه في جيبيه ويشاهد ماذا يفعلان.

ولا توجد مشكلة عند رص أول أربعين حجرًا، ولكن بعد ذلك تصل إلى الوقت الذي يتحدد عليه الفوز أو الخسارة، وهو أصعب وقت في المباراة، إذ يتنافسان على رص الأحجار إلى أن تمتلئ القاعدة تمامًا، ويصاحب ذلك ارتفاع أصوات الحماس والفرحة والدهشة والحزن، ولا يستطيع حجر أن يطلب من الآخر أن يفسح له المكان لأن المكان ضيق، أو يأمر الحجر الذي أمامه أن يترك مكانه ويرحل إلى مكان آخر، بل يرتضى بنصيبه ويظل ساكنًا لا يتحرك، فلا مفر من الاستسلام للرضى والصمت والسكون. وبما أن من اخترع هذه اللعبة هو الإنسان، فإنها تحتوى على جزء مما يحبه الإنسان، وبما أن أحجار هذه اللعبة يجب أن تصطف في مكان ضيق جدًا، فإنها تدل على أن شخصية مخترع هذه اللعبة شخصية إنسان ضيق المشاعر والتفكير، ولو وصفت شخصية الإنسان من خلال أحجار تلك اللعبة، فسوف أقول إن الإنسان يحب أن يضيق بنفسه على

نفسه الكون الفسيح، فيقتطع لنفسه من الكون بخنجر مساحة لا تسمح له إلا بالوقوف على قدميه فقط دون قدرة على تحريكهما أبدًا، وفي جملة واحدة أستطيع أن أقيم الإنسان هكذا:

الإنسان كائن يحب أن يجلب لنفسه المتاعب

أنا مندهش جدًا، بأى منطق يجتمع البروفيسور المستهتر والحكيم "جدى" اليوم، فيُخرجان من الأدراج قاعدة الطاولة القديمة والأحجار ويبدآن في لعب لعبة سخيفة عديمة الفائدة تؤدي إلى الإرهاق لا أكثر. ورغم أنهما اجتمعا فكما توقعت، حدث في بداية اللعب أن وضع كل منهما أحجاره في مكان بعيد عن الآخر، ولكن عندما صارت الأماكن الشاغرة قليلة، فطبعي أن يحدث تسابق على احتلال تلك الأماكن، سواء أكان أحدهما مستهترًا أم كان الآخر حكيماً.

"الجدى":

"أنت تلعب بطريقة سيئة يا بروفيسور، لا يحق لك الدخول هنا".

البروفيسور الفشار:

"على طريقة لعب الحكماء مثلك، لا يمكن الدخول هنا، ولكن على طريقة لعب المحترفين مثلي، عادى جدًا، ولذلك ليس لك حق في الاعتراض".

"الجدى":

"خسارة، سوف يموت".

البروفيسور الفشار:

"لا أخشى أن يموت، وسوف أضع هذا هنا".

"الجدى":

"وضعتُه هنا! حسنًا، النسيم المحمل بالعطر يأتي من الجنوب يدخل الدار فيلطف الجو ويرد الروح يا روح الروح، وإذا وضعت أنا هذا بجانب هذا فأتقدم خطوة نحو الفوز".

البروفيسور الفشار:

"ماذا؟ لعبة جيدة، أنت ذكي، كنت أتصور أنك لن تنتبه إلى فعل ذلك، لا تدق يا جرس المعبد كي لا يستيقظ حبيبي. حسنًا، سوف أضعه هنا، فكيف ستحل هذه المشكلة؟"

"الجدى":

"ليست مشكلة، جيشي جاهز للقضاء عليك، سوف أقضي عليك هكذا".

البروفيسور الفشار:

"ماذا؟ أنا في ورطة شديدة، لو قتلته تكون نهايتي، فعلاً، أنا لا أمزح، انتظر قليلاً".

"الجدى":

"لقد قلت لك هذا منذ قليل، حذرتك وقلت لك ألا تدخل هنا".

البروفيسور الفشار:

"أعتذر، أنا أخطأت، لو سمحت حرّك هذا الحجر الأبيض من هنا إلى مكان آخر."

"الجدى":

"أنا علىّ الدور، وأنت تطلب ألا أعب، وفوق ذلك أحرّك هذا الحجر أيضًا!"

البروفيسور الفشار:

"ومن فضلك حرّك الحجر الملاصق له أيضًا."

"الجدى":

"أنت إنسان بارد، أليس كذلك؟"

البروفيسور الفشار:

"ماذا؟ لا تقل هذا، ألسنت أنا وأنت صديقين؟ من فضلك حرّك الحجر من أجلي، إنها مسألة حياة أو موت بالنسبة إليّ، وهنا يظهر البطل من بين الجمهور وينادى الأشرار انتظروا انتظروا، ثم يسير فيصعد على خشبة المسرح ويضربهم ضربًا مبرحًا."

"ناجى".

"أنا لا أفهم ما تقول."

البروفيسور الفشار:

"ليس مهمًا أن تفهم كلامي، ولكن المهم أن تحرك هذا الحجر لو سمحت".

"الجدى":

"ولكن هذه هي المرة السادسة التي تطلب مني أن أحرك حجر من مكان أنا قد وضعت فيه، أليس كذلك؟"

البروفيسور الفشار:

"أنت ذاكرتك ممتازة، لن أسألك بعد ذلك المزيد، من فضلك حرك هذا الحجر لو سمحت، أنت متحجر العقل، كنت أتوقع أن تدريبات اليوجا التي تقوم بها ستجعلك أكثر مرونة".

"الجدى":

"ولكن إذا لم أقتل حجرك هذا فسوف أنهزم في المباراة".

البروفيسور الفشار:

"ألم تقل في البداية إن الفوز أو الهزيمة موضوع غير مهم؟"

"الجدى":

"لا يهمني أن أخسر ولكن لا أريد أن أجعلك تفوز".

البروفيسور الفشار:

"هذا ليس كلام حكماء، هل نسيت مقولة: سقوط السيف كضربك لي بالصاعقة؟"

"الجدى":

"لقد قلتَ ذلك بالعكس. الصواب أن تقول: ضربك لى بالسيف كسقوط صاعقة على رياح، أى عمل عديم الفائدة".

ضحك البروفيسور الفشار ثم قال:

"قلتها هكذا كي تصحها أنت، الحقيقة ظهرت، مفترض أن تكون سلبياً وتتركنى أفوز، ولكن يبدو أنه ليس أمامى إلا الاستسلام".

"الجدى":

"التفكير فى الحياة والموت شىء مهم للإنسان، ولكن الأهم التفكير فى الوقت، استسلم".

البروفيسور الفشار:

"نعم".

ثم ألقى الحجر الذى كان فى يده بعنف فى مكان بعيد عن قاعدة الطاولة.

وفى حين كان السيد "جدى" والبروفيسور الفشار يجلسان أمام ركن الزينة فى حجرة الضيوف يتصارعان بكل قوتهما على الفوز فى لعبة الطاولة، كان يجلس على ناحية مدخل الحجرة السيد "القمر البارد" والسيد "رياح الشرق" بجانب بعضهما، ويجلس بجوارهما سيدى الأستاذ "عطسة" وكان وجهه مصفراً، وكان أمام "القمر البارد" عدد ثلاث أسماك "قد" مجففة، وكان

منظرها فريداً، فلقد كانت عارية ومتراصة بعضها بجانب بعض بعناية فائقة.

ولقد جاء بها "القمر البارد" إلى المنزل داخل جيبه الكبير، وكانت الأسماك منزوعة القشر، عارية ولكنها كانت دافئة، وتستطيع أن تعرف ذلك من خلال وضعها على باطن يدك، وكان سيدي الأستاذ "عطسة" والسيد "رياح الشرق" ينظران بغرابة إلى تلك الأسماك، وظلا يحملقان في تلك الأسماك، وأخيراً فتح "القمر البارد" فمه موجهاً كلامه إلى الأستاذ:

"في الواقع لقد رجعت من مسقط رأسى منذ أربعة أيام مضت، ولكنى كنت مشغولاً بكثير من الأمور ما جعلنى أذهب إلى أماكن كثيرة، ولذلك لم أستطع زيارتك هنا بسرعة بعد الرجوع من مسقط رأسى".

فبادره سيدي الأستاذ "عطسة" بأسلوبه البارد كالعادة قائلاً:

"لا توجد أهمية لزيارتى بهذه السرعة".

"القمر البارد":

"فعلاً كان ممكن ألا أزورك بسرعة، ولكن كنت قلقاً من أن أتأخر في إهدائك هذه الأسماك".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أليست أسماكاً مجففة؟"

"القمر البارد":

"نعم، إن مسقط رأسى مشهور بهذه الأسماك".

فأمسك سيدى الأستاذ "عطسة" بأكبر سمكة وقربها من أنفه وشمها وقال:

"أشهر مأكولات مسقط رأسك! عندنا هنا فى طوكيو الكثير منها".

"القمر البارد":

"لا تستطيع أن تحدد إذا كانت لذيذة المذاق أم لا من خلال رائحتها".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"هل هى أشهر مأكولات مسقط رأسك لأنها أكبر حجمًا من الموجودة هنا فى طوكيو؟"

"القمر البارد":

"المهم المذاق، تفضل تناولها وستعرف".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"طبعًا سوف أتناولها بصرف النظر عن أى شىء، ولكن الجزء الذى ناحية الذيل ناقص".

"القمر البارد":

"وهذا هو السبب الذى جعلنى أقلق وأحضرها بسرعة".

"لماذا؟"

"القمر البارد":

"لماذا؟ لأن فأرًا أكل ذلك الجزء".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"شيء خطير، إذا تناولتها سوف أصاب بمرض الطاعون".

"القمر البارد":

"ماذا؟ لا تخف، القطعة التي أكلها الفأر صغيرة لا تسبب
أى مشكلة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أين أكل الفأر هذا الجزء؟"

"القمر البارد":

"في داخل السفينة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"داخل السفينة! وكيف حدث هذا؟"

"القمر البارد":

"لم أجد حقيبة أضع فيها الأسماك فقط، فوضعتها في حقيبة
آلة الكمان، ثم صعدت السفينة، ولبلاً حدث ما حدث، وإذا
كان قد اقتصر على أن يأكل الفأر جزءاً من هذه السمكة لكان
موضوعاً هيناً، ولكن المصيبة أنه أخطأ وأكل جزءاً من الكمان
على أنه السمكة المجففة".

فقال سيدى الأستاذ "عطسة" وهو ما زال ينظر إلى السمكة بتركيز كأنه يتحدث إلى نفسه:

"فأر غبى، ربما لأنه يعيش في السفينة فلم يعد يستطيع التفرقة بين السمكة المجففة منزوعة القشر والخشب لتشابه الشكل".

"القمر البارد":

"ماذا؟ الفأر فأر، بصرف النظر عن مكان المعيشة، إنه فأر غبى، ولذلك عندما وصل إلى منزلى هنا فى طوكيو خفت أن تأكل الفئران الأسماك، ولذلك وضعتها ليلاً بجانبى فى فراش النوم ثم نمت".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"الأسماك تبدو قذرة".

"القمر البارد":

"ولذلك قبل أن تتناولها اغسلها قليلاً".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"غسلها قليلاً لن يجعلها تصير نظيفة".

"القمر البارد":

"إدّاً ضعها فى صودا ثم بعد ذلك ادعكها جيداً بفرشة".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"وهل نمت وأنت تعانق الكمان؟"

"القمر البارد":

"لا يمكن أن أفعل ذلك لأن حجم الكمان كبير، لكن..."

فقاطعه البروفيسور الفشار الذى كان يجلس فى الناحية الأخرى من الحجرة، وقال بصوت عالٍ حاشراً نفسه فى المحادثة الدائرة بين سيدي الأستاذ "عطسة" و"القمر البارد":

"ماذا تقول؟ النوم معانقاً الكمان؟ طبعاً، هذا نوع من التذوق الفنى، وهناك بيت شعر يقول:

وحان رحيل الربيع حبيبي والعود ثقيل على قلبي

طبعاً هذا شعر قديم، فقد كان لاعبو الكمان العظماء فى القرن الثامن عشر ينامون وهم يعانقون الكمان كي يصبحوا أعظم من سابقهم.

الليل الطويل واللحاف الكبير يدفئنا والكمان يحضننا

ما رأيك يا "رياح الشرق" فى ذلك الشعر؟ أليس من الممكن أن يندرج تحت نوع الشعر الحديث؟"

فقال "رياح الشرق" بطريقة جادة:

"الشعر اليابانى الحديث يختلف عن الشعر اليابانى التقليدى المسمى هايكو، ولذلك ليس من اليسير قرض الشعر اليابانى الحديث بسرعة كما فعلت، يجب أن تعبر عن المشاعر الحساسة لروح الإنسان وبإيقاع موسيقى جذاب".

ولكن البروفيسور الفشار ترك لعب الطاولة وقال مداعبًا
"رياح الشرق":

"أهكذا! كنت أتصور أنك تقصد بالروح، روح الميت وقت
الدفن ونحن نضع البخور وندعو له بالرحمة، ولكن هل
يستطيع الشعر الياباني الحديث أن يجعل الموتى يرجعون مرة
أخرى إلى الحياة؟"

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" محذرًا البروفيسور الفشار:

"هذا كلام عديم الفائدة. ركز في اللعب وإلا ستخسر مرة
أخرى".

البروفيسور الفشار:

"سواء كنت أريد الفوز أو الخسارة، فإن الطرف الآخر في
مأزق لن يستطيع الخروج منه، لا حول ولا قوة له، ولقد
مللت من انتظار أن يلعب، فكنت مضطرًا إلى أن أشارككما
حديثكما عن الكمان كي لا أشعر بالملل".

وعندما سمع "الجدى" هذا الكلام رد بأسلوب غاضب وصریح:

"أنا الذى ينتظر، لأنه دورك فى اللعب".

البروفيسور الفشار:

"ماذا؟ هل لعبت؟"

"الجدى":

"نعم. منذ مدة".

البروفيسور الفشار:

"أين لعبت؟"

"الجدى:"

"لقد وضعت حجرًا أبيض بجانب الأحجار البيضاء الموجودة في هذا الصف."

البروفيسور الفشار:

"فهمت، ما فعلته سوف يجعلني أخسر المباراة، لو فعلت هذا سوف أخسر المباراة، لا أجد لعبة جيدة ألعبها، سوف أسمح لك بأن تلعب آخر لعبة لعبتها مرة أخرى، العبها في أي مكان آخر تشاء."

"الجدى:"

"هل هناك قواعد تقول أن أتراجع عن آخر لعبة وألعبها في مكان آخر؟"

البروفيسور الفشار:

"بما أنك لا تستجيب لكلامي، سوف أضع حجرى في هذا الركن، يا سيد قمر، الفأر أكل الكمان لأنه ينتقم منك أنك ابتعت كمانًا رخيصًا، يجب أن تتخذ قرارًا شجاعًا وتبتاع كمانًا جيدًا، هل تريد أن أتصل بإيطاليا كي تبتاع كمانًا من هناك قديمًا منذ ثلاثمئة عام؟"

"القمر البارد:"

"نعم، من فضلك، وأرجو أن تسأل لى عن طريقة الدفع أيضًا."

ورغم أن سيدي الأستاذ "عطسة" لا يعرف شيئاً عن الكمان فإنه اندفع قائلاً بحدة ناقدًا البروفيسور الفشار:

"أکید أن کمانًا قديمًا جدًا كهذا لن يكون مفيدًا".

البروفيسور الفشار:

"أنت تنظر إلى الكمان القديم والإنسان الممسّن على أنهما متساويان، فبالنسبة إلى البشر هناك إنسان مثل أبو الذهب كلما كبر سنًا قلّ الإقبال عليه، أما بالنسبة إلى الكمان، كلما ازداد قديمًا كان أفضل وزاد الطلب عليه، ويا سيد جدى، من فضلك أسرع في اللعب، لأننا في الخريف ونهار الخريف قصير".

"الجدى":

"اللعب مع إنسان مزعج مثلك شيء متعب، لا وقت للتفكير أو عمل أى شيء آخر، سوف أضطر إلى وضع حجر هنا كي أنتهى من دورى فأتجنب إزعاجك".

البروفيسور الفشار:

"أخيراً لعبت، لعبة سيئة لى، لم أتوقع أن تضع حجرًا هنا، لقد تعمدت أن أشغلك بالكلام وأحثك على اللعب بسرعة، ولكن الخطة لم تنجح".

"الجدى":

"طبيعى أن تفشل، لأنك لا تلعب بل تغش".

"هذا ما نستطيع أن نقول عنه اللعب بطريقة طوكيو أو طريقة أبو الذهب أو طريقة المحترمين في هذا العصر، يا أستاذ، فعلاً السيد جدى حكيم كما قلت، يبدو أنه بفضل ذهابه إلى معبد مدينة كاماكورا، وتناول وجبات الأرز مع خضراوات هناك جاء بنتيجة، يجب أن نحترمه ونقدره كثيراً، إنه خصم مُتعب في لعب الطاولة، ولكنه هادئ ورزين وعاقل".

فقال سيدى الأستاذ "عطسة" وهو ينظر إلى الخلف:

"ولذلك شخص مثلك غير رزين يجب أن يتعلم منه ويقلده في تصرفاته".

فأخرج البروفيسور الفشار لسانه الأحمر من فمه دهشة مما قاله سيدى الأستاذ "عطسة"، ولكن "الجدى" لم يبدِ أى تأثير بما سمع كأنه كلام لا علاقة له به، بل قال محفزاً البروفيسور الفشار:

"دورك، هيا العب".

وقال "رياح الشرق" موجهاً كلامه إلى "القمر البارد":

"منذ متى بدأت تعزف على الكمان؟ لأنى أريد أن أتعلم العزف عليه، ولكنى سمعت أن تعلم العزف عليه صعب جداً".

"القمر البارد":

"أى شخص يستطيع تعلم أسس العزف عليه".

"رياح الشرق":

"إن الشعر والموسيقى فنان متشابهان، لذلك مَن يهوى
الشعر يستطيع تعلم عزف الموسيقى بسهولة ويتقنها بسرعة،
ألا تعتقد ذلك؟"

"القمر البارد":

"بلى، وأكد أنك ستتقن العزف عليه".

"رياح الشرق":

"متى بدأت تعلم الكمان؟"

"القمر البارد":

"منذ الدراسة في مرحلة المدرسة الثانوية، لقد حكيت لك
قصة تعلمي الكمان يا أستاذ، أليس كذلك؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"لا، لم أسمعها".

"رياح الشرق":

"هل درست الكمان منذ مرحلة المدرسة الثانوية على يد
أستاذ موسيقى؟"

"القمر البارد":

"لا، لم يكن عندنا في المدرسة الثانوية أستاذ موسيقى، لقد
علمت نفسي".

"رياح الشرق":

"أنت عبقرى".

"القمر البارد" ببرود:

"ليس معنى أنني علمت نفسى العزف على الكمان أنني بالضرورة عبقرى".

"رياح الشرق":

"بصرف النظر عن ذلك الكلام، المهم أن تحكى لنا كيف تعلمت عزف الكمان، هذا الكلام سيكون مفيداً لى فى تعلم العزف عليه".

"القمر البارد":

"هل تسمح لى أن أحكى قصة تعلمى العزف على الكمان يا أستاذ؟"

سيدى الأستاذ "عطسة":

"نعم تفضل".

"القمر البارد":

"حاليًا الشاب يسير فى أى مكان وهو يحمل الكمان فى صندوق، ولكن وقت أن كنت طالبًا فى المدرسة الثانوية لم يكن هناك شاب يتعلم العزف على الآلات الموسيقية الأوروبية، فالمدرسة التى كنت أتعلم فيها كانت فى قرية بدائية جدًا وأهلها بسطاء جدًا إلى درجة أنهم لم يكونوا يرتدون نعالاً مصنوعة من أعواد نبات القنب، حتى الخف المصنوع من

أعشاب القنب لم يكونوا يرتدونه، وطبعًا لم يكن هناك أحد من طلاب المدرسة يتعلم طريقة العزف على الكمان أو أى آلة موسيقية أخرى".

البروفيسور الفشار:

"يبدو أن السيد قمر يتحدث عن موضوع مشوق، هيا نتوقف عن اللعب كي نستمع إليه يا جدى".

"الجدى":

"لم تبقى إلا لعبتان أو ثلاث فقط".

"ليست مشكلة أن تبقى لعبتان، سوف أتركهما لك كهدية".

"الجدى":

"حتى لو قلت ذلك فلن أقبل الحصول عليهما".

البروفيسور الفشار:

"رغم أنك عالم فى مذهب زن فإن التدقيق فى الصغائر ليست من صفات علماء مذهب زن، حسنًا هيا نلعب ولكن بسرعة، يا سيد قمر، حكايتك تبدو مشوقة، وهل كنتم تذهبون إلى المدرسة الثانوية حفاة؟"

"القمر البارد":

"لا ليس كذلك".

البروفيسور الفشار:

"ولكنى سمعت أنكم كنتم تقومون بالتدريبات العسكرية وأنتم حفاة، وخاصة للخلف دُر، ما جعل أقدامكم تزداد سمكًا".

"القمر البارد":

"ماذا؟ من قال هذا الهراء؟"

البروفيسور الفشار:

"ليس مهمًا من قال، ولكن قيل أيضًا إن الطالب في مدرستك كان يأخذ كرة أرز كبيرة كوجبة غداء، وكان يضعها حول حصره مثل الليمون الصينى (سترون) إلى وقت تناولها، وفي الحقيقة هو لا يأكلها ولكن يمضغها إلى أن يصل إلى ثمرة الخوخ اليابانى المملح التى داخلها، فيأكل ما حولها من أرز وهو يشعر بسعادة، وكان هذا يجعله قويًا ونشيطًا، أكيد أن هذا الكلام يعجبك".

"القمر البارد":

"نعم طلاب يتميزون بالبساطة والصدق والشرف".

البروفيسور الفشار:

"وهناك شىء آخر غريب جدًا، لا تُباع فى تلك القرية مطفأة سجائر، كان لى صديق يعمل هناك، وذهب كى يشتري مطفأة فبحث ولم يجدها تُباع فى كل المتاجر، فتعجب من هذا الأمر وسأل عن عدم وجود مطفأة سجائر فى أى متجر، ف قيل له ليست هناك أهمية لبيعها، فأى شخص يستطيع صنعها من

أعواد الخيزران الموجودة خلف القرية، وهذا دل على بساطة أهل تلك القرية، البساطة جَمال، أليس كذلك يا جدى؟"
"الجدى":

"هذا موضوع آخر، المهم أننى سوف أضع حجرًا هنا كي تكتمل المباراة".

البروفيسور الفشار:

"تكتمل المباراة! فعلاً بهذا انتهت، ولكنى مندهش مما سمعت عن تلك القرية، وأشعر بالتقدير لك والإعجاب بك يا قمر أنك استطعت تعلم الكمان فى مكان ناء مثل ذلك، استطعت أن تعلم نفسك بنفسك وحيداً دون مساعدة من أحد. هناك مقولة مشهورة فى الكتب الصينية القديمة تقول:

العزلة تخلق العظمة

أنت بالنسبة إلى اليابان الحالية مثل الشاعر الصينى العظيم كيو يان".

"القمر البارد":

"أنا أكره ذلك الشاعر".

البروفيسور الفشار:

"حسناً فلتكن فتر هذا العصر، فتر بطل قصة آلام فتر للقاص الألماني جوته. ماذا تفعل يا جدى! تقوم بتعداد الأحجار! أنت دقيق جداً، دون أن تقوم بتعداد الأحجار، أكيد أنا الخاسر".

"الجدى":

"ولكن دون تعداد لن نعرف بدقة من فاز ومن خسر".

البروفيسور الفشار:

"حسنًا، قم أنت بالتعداد، أنا لست مكتب محاسبة، يجب أن أسمع أسرار تعلم فرتر اليابان للكمان، أنا آسف يا جدى يجب أن أتركك".

ثم انسحب من مكانه تجاه مكان "القمر البارد".

"القمر البارد":

"وبما أن كل منطقة لها خصوصيتها، فإن الناس في مسقط رأسى متحجرو العقول جدًّا، وإذا كان هناك طالب رقيق تصير سمعته سيئة حتى بين طلاب المحافظات المجاورة، ويتخذ الآخرون ضده موقفًا قاسيًا يصل إلى درجة الامتناع عن التحدث معه، شيء فظيع".

البروفيسور الفشار:

"الكلام عن طلاب مسقط رأسك كلام له شجون، لماذا يرتدون تنورات لونها كحلى سادة، بجانب أنهم يتعرضون إلى هبوب الرياح من ناحية البحر المالح ما يجعلهم يبدون سود البشرة، والبشرة السوداء بالنسبة إلى الرجال لا تكون مشكلة، ولكن بالنسبة إلى النساء تكون مشكلة".

وهكذا عندما تدخل البروفيسور الفشار في الحديث، تحول الحديث المهم إلى اتجاه آخر ما.

"القمر البارد":

"فعلًا النساء سوداوات".

البروفيسور الفشار:

"ولكن الشيء العجيب أنهن يجدن من يتزوج بهن".

"القمر البارد":

"بما أن كل النساء هناك سوداوات، فلا مفر إلا أن يتزوج الرجل فتاة سوداء".

البروفيسور الفشار:

"فعلًا. سبب يؤدي إلى نتيجة، ألا تعتقد ذلك يا أستاذ؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"اللون الأسود أفضل، لأن السيدة إذا نظرت إلى المرأة ووجدت بشرتها بيضاء سوف تشعر بالغرور، فالنساء أشياء لا تُطاق".

قال ذلك ثم تنفس الصعداء.

فسأل "رياح الشرق" السؤال الطبيعي، إذ قال:

"بما أن الجميع في مسقط رأسك سود، ألا يتفاخر الأكثر سوادًا بأنه أكثر سوادًا؟"

فقال سيدي الأستاذ "عطسة":

"على كل حال، المرأة شيء ليست له أي أهمية مطلقًا".

فضحك البروفيسور الفشار وحذره قائلاً:

"لا تقل ذلك حتى لا تتشاجر زوجتك معك بعد ذلك".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ماذا؟ لا مشكلة أن أقول ذلك".

البروفيسور الفشار:

"ليست موجودة، أليس كذلك؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"اصطحبت الأطفال وخرجت منذ قليل".

البروفيسور الفشار:

"لذلك المنزل هادئ، أين ذهبت؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"لا أعلم أين ذهبت، إنها تخرج من تلقاء نفسها عندما تريد الخروج".

البروفيسور الفشار:

"وهل تعود من تلقاء نفسها؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"نعم، ولكنك محظوظ أنك أعزب".

وعندما قال سيدى الأستاذ "عطسة" هذا، بدا على وجه
"رياح الشرق" الضيق، ولكن "القمر البارد" ابتسم ابتسامة
ساخرة، وحينئذٍ قال البروفيسور الفشار:

"كل من يتزوج يقول ذلك، أليس كذلك يا جدى؟ زوجتك
صعبة، أليس كذلك؟"
"الجدى":

"ماذا؟ انتظر قليلاً، ستة وأربعون، أربعة وعشرون، خمسة
وعشرون، ستة وعشرون، سبعة وعشرون، يوجد ستة وأربعون،
توقعت أن أفوز بفارق أكبر، ولكنى فزت بفارق ثمانية عشر
حجرًا فقط، ماذا كنت تقول يا بروفيسور؟"

البروفيسور الفشار:

"قلت إن زوجتك صعبة".

ضحك "الجدى" بشدة وقال:

"لا ليست صعبة، لأنها تحبنى".

البروفيسور الفشار:

"أنا آسف، هذا هو الجدى الذى أعرفه جيدًا".

وإذا بالسيد "القمر البارد" يتطوع للدفاع عن زوجة سيد
المنزل فيقول:

"ليست زوجة السيد جدى فقط، هناك أخريات كثيرات".

وإذا بالسيد "رياح الشرق" يتوجه إلى البروفيسور الفشار ويتحدث بجديته المعهودة، فقال:

"وأنا أتفق معه، ومن وجهة نظري أن الإنسان يستطيع الوصول إلى السعادة من خلال طريقتين فقط، هما الحب والفن، وحب الزوج مثال على ذلك، وإذا لم يكمل الإنسان سعادته بزواجه بمن يحبه، فهو بذلك يعارض الفطرة التي خُلِقَ عليها، ألا تتفق معي في هذا يا بروفيسور؟"

البروفيسور الفشار:

"كلام عظيم، ولكن إنساناً مثلى لن يصل إلى تلك السعادة".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" بوجه عابس:

"وإذا تزوجت سوف تبتعد أكثر عن الوصول إلى السعادة".

"رياح الشرق":

"على أي حال، نحن الشباب العزب ننجذب إلى الفنون كي نصل إلى السعادة، وإذا لم نفعل ذلك لن نعرف طعم الحياة، ولذلك سألت منذ قليل السيد قمر كيف أتعلم عزف الكمان".

وأخيراً قرر البروفيسور الفشار ألا يقاطع كلام "القمر البارد"، ولكنه قال موجهًا كلامه إلى "رياح الشرق":

"نعم نعم، أنت كنت تريد سماع قصة كيف تعلم فرتر اليابان عزف الكمان، تفضل تكلم يا فرتر اليابان، لن أقاطعك".

وهنا تدخل "الجدى" متممًا شخصية الناصح الأمين الذى يعطى محاضرة فى ما الصواب وما الخطأ، فقال:

"إن الطريق المستقيم الذى يؤدى إلى سعادة الإنسان ليس عزف الكمان ولا ما شابه ذلك، خطر جدًا أن تعتقد أن هذا اللهو سوف يقودك إلى فهم حقيقة هذا الكون، إذا أردت أن تعرف ذلك، يجب أن تمتلك الروح التى تحثك على البعد عن ملذات الحياة وعمل ما يرضى الإله فى العالم الآخر".

ولكن "رياح الشرق" الذى لا يعرف أى شىء عن مذهب زن لم يبدِ أى اهتمام بما قاله "الجدى"، بل قال:

"أهكذا! احتمال أنت تكون على صواب، ولكن الفنون تعبّر عما فى أعماق قلب الإنسان من أحاسيس، ولذلك يجب ألا نستخف بها ونتجاهلها".

قال "القمر البارد" موجهًا كلامه إلى "رياح الشرق":

"بما أنك ترى أن كلامى عن الكمان مهم فسوف أستمر فى كلامى. ولم أواجه صعوبات فقط مع بداية تعلمى الكمان، بل بدأت الصعوبات والمتاعب الكثيرة قبل أن أبدأ تعلمه، فبدأت منذ أن قررت شراء كمان".

"رياح الشرق":

"طبيعى ألا يُبتاع كمان فى قرية بدائية لا يُباع فيها حتى نعل مصنوع من أعواد نبات القنب".

القمر البارد:

"لا، يُباع في القرية، وقد كنت ادخرت المال اللازم لشرائه مسبقًا، ولكن كان صعبًا جدًا أن أبتاعه."

"رياح الشرق:"

"لماذا؟"

القمر البارد:

"لأن مسقط رأسى قرية صغيرة جدًا، فإذا ابتعته سوف يعلم الجميع في الحال ذلك، وإذا علموا سوف يغضبون ويقاطعونى."

فأبدى "رياح الشرق" تعاطفه معه فأضاف:

"منذ قديم الزمن والعبارة دائمًا يُضطهدون."

"القمر البارد:"

"عبقرى! مرة أخرى! أرجو ألا تصفنى بالعبقرى من فضلك، حسنًا، سوف أستكمل الحديث. ولقد كنت كل يوم أتنزه فأسير أمام المتجر الذى يبيع الكمان، وكنت أقول لِنفسى لو استطعت شراء كمان سوف أكون سعيدًا، كم سأكون سعيدًا وأنا أحمله تحت يدي، أريده، أريد شراءه، ولم يمر يوم علىّ إلا قلت لِنفسى فيه ذلك".

فقال البروفيسور الفشار مادحًا "القمر البارد:"

"أنا متفهم لمشاعرك".

فقال سيدى الأستاذ "عطسة" ما يوضح أنه غير متفهم لما
قاله "القمر البارد":

"أنا لا أفهم سر انجذابك الشديد إلى الكمان إلى هذه الدرجة،
شئ غريب".

فقال "رياح الشرق" ما يعبر عن تقديره واحترامه لـ "القمر
البارد":

"لا شك أنك عبقرى".

ولكن "الجدى" ظل يتحسس لحيته في صمت كما يفعل
دائمًا.

"القمر البارد":

"وربما يتساءل البعض من حضراتكم لماذا يوجد متجر
بييع الكمان في هذه القرية، ولكن طبيعى أن يوجد متجر
بييع الكمان في هذه القرية، والسبب في ذلك وجود مدرسة
بنات في القرية وتوجد حصص تعليم للكمان في المدرسة، وهى
مادة يومية، ولذلك يجب عليهن تعلم الكمان، طبعًا لا يوجد
كمان بمواصفات جيدة في المتجر، ولكنه كمان رخيص ومتعب
في العزف، وصاحب المتجر يعلق أمام متجره ثلاث قطع كمان
فقط، وهذا يعنى أنه غير مهتم جيدًا ببيعه، وأحيانًا عندما
أسير أمام المتجر أسمع صوت الكمان، ربما بسبب هبوب
الرياح التى تهز أوتاره أو بسبب أن بعض المارة من الأطفال
يلمسون أوتاره، فأشعر بانفطار قلبى، ولا أستطيع تحمل
الوقوف أمامه".

فقال البروفيسور الفشار ساخرًا من "القمر البارد":

"هذا خطر على صحتك، هناك أشياء كثيرة تؤدي إلى سقوط الإنسان مغشيًا عليه، مثل فوبيا النظر إلى البحر، أما في حالتك أنت يا فترت اليابان، فعندك فوبيا الكمان".

فتحمس "رياح الشرق" وقال متأثرًا بمشاعر "القمر البارد":

"لا، لو لم تكن له مشاعر مرهفة إلى هذه الدرجة ما صار فنانًا حقيقيًا، هذا دليل قوى على أنه عبقرى بالفطرة".

"القمر البارد":

"نعم، ربما كما تقول يا بروفيسور، إنها فوبيا الكمان، ولكن صوت الكمان الذى سمعته وقتها كان صوتًا جميلًا إلى درجة أننى منذ بدأت العزف وإلى الآن لم أسمع صوتًا جميلًا مثله، نعم، لا أجد ما أصف به ذلك الصوت، لا أجد الكلمات التى تعبّر عن ذلك".

فقال "الجدى" ما يصعب على الآخرين فهمه، شىء مؤسف ألا يتجاوبوا معه، لقد قال:

"كصوت تلامس حبات السبحة، أليس كذلك؟"

"القمر البارد":

"كل يوم كنت أسير أمام المتجر الذى يبيع الكمان، وفي المرة الثالثة التى استمعت إلى ذلك الصوت الروحانى الفريد قررت أن أبتاعه مهما حدث لى، حتى لو افترضنا أن أهلى عنفونى على شرائه أو احتقرنى أهل المحافظات الأخرى أو قيدونى وضربونى

وعذبوني إلى أن ألفظ أنفاسي الأخيرة، أو حتى لو وصل الأمر إلى فصلى من المدرسة، لن أراجع أبدًا عن شراء الكمان".

فقال "رياح الشرق" دون توقف وهو يشعر بالإعجاب الشديد تجاه "القمر البارد":

"أنت عبقرى، لو لم تكن عبقريةً ما فكرت فى الأمر إلى هذا الحد، أنا أحسدك على هذا، أتمنى منذ فترة أن يصل إحساسى بالكمان إلى ما وصلت أحاسيسك، ولكن للأسف لم يحدث، عندما أذهب إلى الحفلات الموسيقية أنصت جيدًا إلى الكمان، ولكن لا تصل أحاسيسى إلى ما وصلت إليه أحاسيسك".

"القمر البارد":

"الأفضل ألا تصل أحاسيسك إلى ما وصلت إليه أحاسيسى، أنا أتحدث الآن بطريقة عادية، ولكنك لا تستطيع أن تتخيل إلى أى مدى عانيت من صنوف الآلام والعذاب لتعلمه فى تلك الأيام، وأخيرًا تشجعت وابتعته".

"رياح الشرق":

"وكيف اشتريته؟"

"القمر البارد":

"حدث ذلك فى الليلة السابقة ليوم عيد ميلاد الإمبراطور، أن ذهب مالك المنزل الذى كنت أقيم فيه مع عائلته إلى الإقامة فى منطقة العيون الساخنة، ولم يتبقى أحد فى المنزل، وفى ذلك اليوم قلت إننى مريض، كما أنى تغيبت ذلك اليوم عن

الذهاب إلى المدرسة، وظللت مستلقياً في الفراش، وكنت أفكر فقط في أنني سوف أخرج ليلاً وأبتاع الكمان".

"رياح الشرق":

"تغيبت عن الذهاب إلى المدرسة مدعيًا أنك مريض؟"

"القمر البارد":

"فعلًا هذا ما حدث".

فقال البروفيسور الفشار بشيء من الضيق:

"فعلًا، أنت تمتلك قليلاً من صفات العبقرية".

"القمر البارد":

"وظللت في الفراش أنتظر هبوط الليل، ولكنني شعرت بالملل فأخرجت رأسي من اللحاف، فوجدت أن الليل لم يهبط بعد، فلم أجد مفرًا من أن أدخل رأسي مرة أخرى تحت اللحاف وأغلق عيني وأنتظر، ولكنني لم أستطع الانتظار طويلاً على هذا الوضع، فأخرجت رأسي من اللحاف، فوجدت أشعة شمس الخريف القوية تسقط على الباب الفاصل بين الحجرة والشرفة، فشعرت بالضيق، وكان هناك ظل على شكل مستطيل أعلى الباب يتحرك بفعل الرياح الخريفية".

"رياح الشرق":

"ظل ماذا هذا الظل مستطيل الشكل؟"

"القمر البارد":

"كنت قد نزعت قشر الكاكا وعلقته في الشرفة كي أُجفِّفه".

"رياح الشرق":

"فهمت، وماذا حدث بعد ذلك؟"

"القمر البارد":

"لم أتحمل النوم في الفراش، فخرجت من الفراش ثم فتحت باب الشرفة ودخلتها وأخذت كاكا من المعلقة هناك كي تجف ثم أكلتها".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" بطريقة طفولية:

"وهل كانت لذيذة؟"

"القمر البارد":

"نعم، الكاكا المزروعة في مسقط رأسي لذيذة جدًا، ليس لها مثل هنا في طوكيو".

"رياح الشرق":

"دعك من الحديث عن الكاكا وقل لنا ماذا حدث بعد ذلك؟"

"القمر البارد":

"وبعد ذلك رجعت إلى الفراش ودخلت تحت اللحاف وأغلقت عيني، ثم دعوت الإله في سرى أن تغرب الشمس بسرعة، وبعد ثلاث أو أربع ساعات قلت لنفسي أكيد أن الشمس غربت، فأخرجت رأسي من تحت اللحاف ونظرت ففوجئت بما

لا يصدق عقله، وجدت أن الحال لم تتغير، الشمس تضرب بقوة باب الشرفة، وأعلى الباب ظل على شكل مستطيل يتأرجح".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"لقد قلت ذلك سابقاً".

"القمر البارد":

"لقد حدث هذا عدة مرات، أرجع إلى الفراش وأدخل تحت اللحاف وأغلق عيني، وأدعو الإله في سري أن تغرب الشمس بسرعة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنت تكرر الكلام نفسه، أليس كذلك؟"

"القمر البارد":

"يا أستاذ، أرجو ألا تتعجل استماع التالي من فضلك. وبعد ذلك رجعت إلى الفراش وتحملت ثلاث أو أربع ساعات، ثم قلت لنفسى أكيد أن الشمس غربت، فأخرجت رأسي من تحت اللحاف ونظرت ففوجئت أن الشمس تضرب بقوة باب الشرفة، وأعلى الباب ظل على شكل مستطيل يتأرجح".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنت تكرر الكلام نفسه مرة بعد أخرى، أليس كذلك؟"

"القمر البارد":

"ثم بعد ذلك خرجت من الفراش ثم فتحت باب الشرفة ودخلتها وأخذت كاكا من المعلقة كي تجف ثم أكلتها".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أكلت واحدة أخرى! لو كل مرة أخذت فيها كاكا سوف نتحدث عنها لما كانت نهاية لكلامك".

"القمر البارد":

"أنا أيضًا أشعر بضجر من تكراري لكلامي".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ولكن المستمع إلى كلامك يشعر بالضجر من تكرار الكلام نفسه كثيرًا".

"القمر البارد":

"ولكنك يا أستاذ متسرع جدًا، وهذا يجعلني لا أستطيع التحدث على سجيتي".

فأعرب "رياح الشرق" عن ضجره من ذلك بصوت خفيض، إذ قال:

"المستمعون يشعرون بقليل من الضجر".

"القمر البارد":

"بما أنكم تشعرون بالضيق، فليس أمامي مفر إلا أن أختصر، وبناءً عليه، كنت آخذ ثمرة كاكا أتناولها ثم أذهب إلى الفراش، ثم أقوم آخذ واحدة أخرى أتناولها ثم أذهب إلى الفراش،

وظللت هكذا إلى أن تناولت جميع ثمار الكاكا المعلقة في الشرفة".

"رياح الشرق":

"أكلت جميع ثمار الكاكا يعنى الليل حل".

"القمر البارد":

"ولكن هذا لم يحدث، بعد أن تناولت آخر ثمرة كاكا ودخلت الفراش، ثم قمت بعد ذلك أخرجت رأسى من اللحاف فوجدت الشمس تضرب باب الحجره بقوة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"لا أستطيع الإنصات أكثر من هذا، الكلام يتكرر إلى ما لا نهاية".

"القمر البارد":

"وأنا أيضًا كمتحدث أشعر بالملل الشديد".

وبدا على البروفيسور الفشار أنه لم يستطع التحمل أكثر من ذلك، إذ قال:

"ولكن بما أنك صبور هكذا، فإنك تستطيع النجاح في أى عمل، لو كنا صمتنا لكنت ظللت تقول شمس الخريف تضرب بشدة إلى صباح الغد، ولكننا نريد أن نعرف متى وكيف اشترت الكمان".

ولكن "الجدى" ظل صامتًا كما هو، حتى لو استمر كلام حديث "شمس الخريف تضرب بشدة" إلى صباح الغد أو صباح بعد غد لما تحرك أبدًا، لقد كان هادئًا تمامًا.

"القمر البارد":

"تسألوننى متى ابتعته، وأنا أقول عندما يهبط الليل، ولكن المؤسف أنه كلما أخرجت رأسى من تحت اللحاف وجدت الشمس ساطعة بشدة، وإن شعوركم بالملل والضيق الشديد من تكرار حديثى والرغبة فى معرفة التالى ليس شيئاً مقارنةً بما كنت أشعر به حينذاك من ملل وضيق ورغبة فى حلول الليل، وفى آخر مرة أخرجت رأسى من تحت اللحاف وشاهدت الشمس ساطعة، سألت دموعى على وجنتى وأخذت فى البكاء الشديد، بكيت من الحزن على نفسى".

فقال "رياح الشرق" بنية صافية وهو مبتسم:

"نعم، أنا متفهم لما تقول، أعلم أن الفنان فى الأصل إنسان سريع التأثر، ولذلك أنا متعاطف معك أنك بكيت، ولكن ألا تستطيع أن تُسرِّع فى سرد قصتك؟"

"القمر البارد":

"نعم، أريد أن أحكى لكم القصة بسرعة ولكن إذا لم تغرب الشمس لن أستطيع ذلك".

فبدا على سيدى الأستاذ "عطسة" أنه لا يستطيع التحمل أكثر من ذلك أبداً، فقال:

"إذا كنت لن تستطيع الاستمرار فى سرد قصتك إلا إذا غربت الشمس، فلتتوقف الآن عن إكمال تلك القصة".

"القمر البارد":

"لن أتوقف عن إكمال القصة، لأننى سوف أقص أهم جزء فيها الآن".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"حسنًا، سوف أستمع ولكن اعتبر أن الشمس قد غربت وأكمل القصة".

"القمر البارد":

"هذا طلب صعب الانصياع له، ولكن لأنك عزيز علىّ، فسوف أتحامل على نفسي وأعتبر أن الشمس غربت".

وإذا بـ"الجدى" يقول فجأة:

"هذه فكرة جيدة".

وما إن انتهى من قوله هذا حتى انفجر الجميع في الضحك معًا.

"القمر البارد":

"وأخيرًا غربت الشمس وجاء الليل، فتنفست الصعداء شعورًا بالأمان وخرجت من الحجرة التي أستأجرها في منزل في قرية كورا كاكيه (くらかけむら) 鞍懸村، لأنى في الأصل أنا أكره الأماكن الضوضاء، ولذلك تجنبت السكن في المدن رغم أنك تستطيع الحصول على ما تريده بيسر فيها، وسكنت في حجرة صغيرة جدًا في منزل فلاح في تلك القرية الفقيرة المنعزلة جدًا".

فعارض سيدى الأستاذ "عطسة" كلام "القمر البارد" قائلاً:

"قلت قرية منعزلة جداً، ولكن هذا كلام مبالغ فيه."

ثم عبّر البروفيسور الفشار عن ضيقه قائلاً:

"قلت حجرة صغيرة جداً وهذا وصف غير موضوعي، كان أفضل أن تقول حجرة مساحتها سبعة أمتار مربعة ونصف، وبذلك يكون وصفاً موضوعياً."

ولكن "رياح الشرق" هو الوحيد الذى مدحه قائلاً:

"بصرف النظر عن الموضوعية، فهو يتحدث بأسلوب شعري له وقع جميل على النفس."

وهنا سأل "الجدى" بوجه تبدو عليه الجدية:

"أكيد كان صعباً عليك أن تذهب إلى المدرسة من مسكن كهذا، كم كانت المسافة من المسكن إلى المدرسة؟"

"القمر البارد":

"نحو خمسمئة متر، المدرسة كانت فى القرية."

فسأله "الجدى" وبدا عليه عدم الاقتناع بما يقوله "القمر البارد":

"وهذا يعنى أن كثيراً من الطلاب كانوا يستأجرون مساكن فى تلك المنطقة."

"القمر البارد":

"نعم، غالباً كان فى كل منزل فلاح يكون طالب أو اثنان."

وحينئذٍ هاجمه بطريقة مباشرة قائلاً:

"إِذَا كَيْفَ تَكُونُ قَرْيَةٌ مَنعَزَلَةٌ جَدًّا؟"

"القمر البارد":

"لو لم تكن هناك مدرسة لكانت قرية منعزلة تمامًا. وبعد ذلك ارتديت ملابس الخروج وكانت معطفًا قطنيًا وفوقه معطف الزى المدرسى ذو الأزوار ذهبية اللون، ثم فوقه معطف شتوي طويل، ثم وضعت رأسي في قبعة غطته تمامًا، وهكذا ارتديت ما يجعلني مجهولاً لمن يراني، وكان الوقت وقت سقوط أوراق أشجار الكاكا، فكان الطريق الضيق من مسكني إلى أن أخرج إلى الطريق الرئيس نانجو ملء إلى آخره بأوراق الكاكا المتساقطة عليه، وكلما سرت خطوة سمعت أصوات احتكاك، فشعرت بالقلق أن يكون هناك من يتتبعني.

والتفت إلى الخلف فشاهدت غابة معبد طوريجي وكانت شديدة السواد بسبب الظلام الذي سببته الأشجار الكثيفة والمتجاورة، وذلك المعبد أنشأته عائلة ماتسوزايرا في سفح جبل قوشنيا، ولا تزيد المسافة بين مسكني وذلك المعبد على مئة متر، وهو معبد منعزل وهادئ جدًّا، وأعلى الغابة تظهر السماء بما فيها من نجوم، ويتقاطع درب التبانة في السماء مع نهر ناجاسيه الذي يمتد إلى هاواي في الأرض".

البروفيسور الفشار:

"أنت قفزت قفزة بعيدة جدًّا عن الموضوع".

"القمر البارد":

"ثم وجدت نفسى بعد السير فى الطريق الرئيس نانجو قد دخلت الحى الثانى، ثم إلى منطقة طاكانوضى، ومنها دخلت وسط المدنية، ومررت بمنطقة قوچو، ثم انحنيت فاتجهت إلى منطقة سنجوكو، وجعلت منطقة كيشيروا على يمينى ثم مررت على الحى الأول والحى الثانى والحى الثالث من مدينة طورى، وبعد ذلك مررت من خلال منطقة أووارى، ومنطقة ناجويا ومنطقة شاتشهووقو، ومنطقة كامابوقو و..."

فقال سيدى الأستاذ "عطسة" بضيق:

"ليس مهمًّا أن تذكر لنا كل تلك الأماكن التى مررت عليها، المهم هل اشتريت الكمان أم لا".

"القمر البارد":

"متجر الآلات الموسيقية الذى أقصده هو متجر كانيه زن، وهو موجود فى منطقة كانيكو زنبى، ولذلك فالمسافة ما زالت طويلة إلى أن أصل إلى المتجر".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"اترك موضوع الطريق لأنه ليس مهمًّا، وتكلم بسرعة عن موضوع شراء الكمان".

"القمر البارد":

"سمعًا وطاعة. وعندما وصلت إلى المتجر، وجدت مصابيح الإنارة ساطعة و...."

فتدخل البروفيسور الفشار على الفور قاطعًا على تكملة الحديث، فقد قال له:

"ساطعة! ممكن أتحمل سماع كلمة ساطعة مرة أو اثنتين، ولكن أن تكرر كثيرًا الشمس ساطعة ثم مصابيح الإنارة ساطعة، شيء غير مقبول."

"القمر البارد":

"لا تقلق، بالنسبة إلى كلمة ساطعة، قلتها مرة واحدة عن مصابيح إنارة المتجر ولن أكررها. وبعد ذلك نظرت وسط الأضواء فشاهدت الكمان، وكان جسم الكمان يعكس أشعة قمرية اللون، وكان بعض أوتاره أبيض ويتلألأ، و..."

وهنا قال "رياح الشرق" مادحًا "القمر البارد":

"يا سلام، ما أحلى أسلوبك الوصفى."

"القمر البارد":

"قلت لنفسى هذا هو الكمان الذى أتمنى، وفجأة شعرت بدوار ورعشة فى ساقىّ و..."

وهنا ضحك "الجدى" سخريةً.

"القمر البارد":

"فأسرعت بالدخول، وأخرجت من الجيب السرى حافظة النقود، ثم أخرجت منها عملتين ورقيتين، كل واحدة بخمسين يناً، و..."

فسأله سيدى الأستاذ "عطسة":

"وأخيرًا ابتعته، أليس كذلك؟"

"القمر البارد":

"كنت على وشك شرائه، ولكنى قلت لنفسى: انتظر، يجب أن أكون حذرًا، لو ابتعته الآن سوف أسبب لنفسى المتاعب، فتراجعت عن شرائه".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ماذا؟ تراجع عن شرائه! إنه مجرد كمان واحد فقط، يستطيع أى شخص حمله، أليس كذلك؟"

"القمر البارد":

"أستطيع حمله ولكن لا أستطيع شراءه، ما باليد حيلة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"لماذا لا تستطيع شراءه؟"

"لم يكن هناك ظلام تام، كانت الرؤية ما زالت ممكنة لأننا كنا في بداية الليل، وكان المارة كثيرين".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" باندفاع:

"وما المشكلة في ذلك؟ لا مشكلة في مرور مئتي شخص أو ثلاثئة، أليس كذلك! أنت شخص غريب جدًا".

"القمر البارد":

"ليست المشكلة أعداد بشر، حتى لو كان عددهم ألفًا أو ألفين، ولكن المشكلة في الطلاب الذين يشمرون عن سواعدهم ويحملون عصي كبيرة ويسيرون في الشوارع في كل مكان، ما

يجعلنى لا أستطيع شراء الكمان، وخاصة جماعة الطلاب الذين يحبون الحصول على أدنى الدرجات، ونطلق عليهم نحن جماعة طلاب القاع، وهؤلاء بالذات يجيدون رياضة الجودو، ولذلك لا أستطيع وضع يدي على الكمان أمامهم، فأنا لا أستطيع توقع ماذا سيصينى منهم، بلا شك أننى أريد اقتناء الكمان، ولكن حياتى غالية علىّ، أن أعيش ولا أعزف على الكمان أهون علىّ من أن أموت وأنا أعزف عليه".

فقال سيدى الأستاذ "عطسة" متشككاً:

"وهذا يعنى أنك لم تشتري الكمان، أليس كذلك؟"

"القمر البارد":

"لا بل اشتريته".

"أنت إنسان متعب، عندما تشتري إما أن تشتري بسرعة أو لا تشتري".

فأشعل "القمر البارد" سيجارة، وبعد أن أخرج الدخان من فمه ضحك سخريّةً ثم قال ببرود:

"الأمور فى هذه الدنيا لا تسير بيسر كما يريد الشخص".

فبدأ على سيدى الأستاذ "عطسة" أنه شعر بالضيق ولم يستطع التحمل أكثر من ذلك، فقد قام فجأة ودخل مكتبته، ولكنه عاد حاملاً كتاباً مكتوباً باللغة الإنجليزية، ثم استلقى على بطنه وبدأ فى قراءة الكتاب، وأما "الجدى" فقد كان انسحب إلى ركن الزينة ولا أعرف متى فعل ذلك، ولكنه جلس

أمام الركن يلعب مع نفسه الطاولة، ورغم أن موضوع حديث "القمر البارد" كان جذابًا، فإن طريقة العرض استنفذت وقتًا طويلاً ما أدى إلى تناقص عدد المستمعين فرداً بعد فرد، ولم يتبقَّ إلا "رياح الشرق" المتهشوق إلى الفنون، والبروفيسور الفشار الذي لم يتذمر من طول الوقت الذي استخدمه "القمر البارد" كي يقص حكايته مع الكمان.

ثم أخرج "القمر البارد" سحابة دخان كثيفة من فمه دون مراعاة لمن حوله، ثم استمر في سرد حكايته مع الكمان بطريقة السابقة نفسها.

"القمر البارد":

"ولقد فكرت في الآتي يا سيد رياح الشرق، بما أن الشمس غربت منذ قليل ولم تُظلم الدنيا تمامًا، فلن أستطيع شراء الكمان، وإذا جئت مرة أخرى إلى متجر الكمان في منتصف الليل سيكون مغلقًا، وعليه يجب أن أحضر مرة أخرى بعد أن تخلو الشوارع من المارة، وفي الوقت نفسه قبل أن يغلق متجر الكمان، ولكن كان صعبًا أن أحدد ذلك الوقت".

"رياح الشرق":

"فعلًا صعب أن تحدد ذلك الوقت".

"القمر البارد":

"لقد توقعت أن يكون الوقت المناسب لذلك نحو الساعة العاشرة، ويجب عليّ أن أستهلك الوقت منذ وصولي إلى المتجر إلى الساعة العاشرة في شيء ما، ولكن الرجوع إلى المنزل ثم

العودة إلى المتجر مرة أخرى نحو الساعة العاشرة أمر شاق، كما أن الذهاب إلى منزل صديق وتبادل الحديث معه أمر محرج وممل، ولذلك ليس أمامي إلا أن أتزّه في منتصف المدينة إلى أن يحين ذلك الوقت، ولكن في تلك الليلة بالذات كان مرور الوقت بطيئًا، لأنني كنت أحلم بلحظة شراء الكمان منذ زمن طويل".

قال ذلك وتعهد أن ينظر تجاه البروفيسور الفشار.

فقال البروفيسور الفشار:

"هناك مثل يقول:

المنتظر موقد مشتعل

بمعنى الشخص المنتظر شيئًا ما يعاني أكثر من الشخص الذى جعله ينتظر، وربما يكون الكمان المعلق على المتجر هو الذى يعاني من انتظار أن تشتريه، ولكن أنت كنت تعاني مثل المخبر الذى يسير فى كل مكان دون هدف معين، أو كنت مثل كلب مات سيده، أو مثل كلب ليس له مأوى ويهيم على وجهه فى الشوارع".

"القمر البارد":

"كلب! هذا قول مشين، لم يسبق أن قارن شخص بينى وبين كلب".

فقال "رياح الشرق" باغياً تطيب خاطر "القمر البارد":

"عندما أستمع إلى حديثك أشعر أننى أقرأ قصص حياة الفنانين القدماء العظماء، ما يجعلنى أشعر بإعجاب شديد

بك، وإن ما ذكره البروفيسور الفشار ما هو إلا مزاح، فلا تأخذ كلامه على نحو جاد، واستمر في حديثك الجذاب".

وإن كان هذا الكلام لم يطيّب خاطر "القمر البارد"، لكنه طبعًا كان ينوى الاستمرار في حديثه.

"القمر البارد":

"ولذلك سرت في منطقة أوكاتشى ومنطقة هياكى ومنطقة ريوجايه ومنطقة تاكاجو، ثم قمت بعد أشجار السرو القديمة الموجودة أمام مبنى المحافظة، ثم قمت بعد مصابيح الإضاءة الموجودة بجانب المستشفى، ثم دخنت سيجارتين فوق جسر كونيا، وشاهدت ساعتى و..."

البروفيسور الفشار:

"هل صارت العاشرة؟"

"القمر البارد":

"للأسف لا، وبعد أن عبرت جسر كونيا، انحنيت شرقًا وسرت على ضفة النهر حيث كان هناك أشخاص يعملون في التدليك، وكان هناك كلب ينبح دون توقف، ويا بروفيسور..."

البروفيسور الفشار:

"وفي ليل الخريف الطويل صوت نباح كلب على حافة النهر، هذا أسلوب مسرحى جميل ومؤثر جدًا، أنت في هذا الموقف تقوم بدور المحارب المهزوم الهارب".

"القمر البارد":

"هل أبدو كشخص مخطئ ارتكب جريمة؟"

البروفيسور الفشار:

"سوف تفعل ذلك من الآن."

"رياح الشرق":

"للأسف إذا كان شراء كمان خطأ، فإن جميع تلميذات مدارس الموسيقى مخطئات".

البروفيسور الفشار:

"لو فعلت ما لا يعترف به الناس، حتى إن كان شيئاً جيداً فأنت مخطئ، وأكثر شخص عديم الفائدة هو الشخص المخطئ، وأن تشتري أيها الفتى الوسيم كماناً في هذا المكان يعنى أنك مخطئ".

"القمر البارد":

"سوف أعتبر نفسي مخطئاً كما تقول، ولكن الساعة لم تصر بعد العاشرة".

البروفيسور الفشار:

"قل أسماء المناطق التي مررت عليها مرة أخرى، وإذا لم يكف الوقت كرر أن شمس الخريف كانت ساطعة بشدة، وإذا لم يكف الوقت تناول ثلاثين ثمرة كاكا، سوف أستمع إليك كما تشاء إلى أن تصير الساعة العاشرة".

فضحك "القمر البارد" خجلاً.

"القمر البارد":

"يبدو أنه ليس أمامي إلا الاستسلام، سوف أستسلم لكم وأتخطى الجزء المقبل من حكايتي وأفترض أن الساعة صارت العاشرة، وعلى هذا، كما كنت قد قررت سابقاً أن أذهب إلى المتجر الساعة العاشرة، فذهبت إلى المتجر في الساعة العاشرة، وكان الجو بارداً في تلك الليلة، ولذلك كانت شوارع منطقة ريوجايه خالية من المارة، وكانت هادئة لدرجة عدم سماع صوت القباقيب نهائياً، وكان صاحب متجر الكمان قد أغلق الباب الكبير لدخول المتجر بإحكام، ولم يترك إلا باباً صغيراً للدخول منحنى الرأس، ففتحت الباب الصغير وأنا قلق و..."

وحينئذٍ أراح سيدي الأستاذ "عطسة" بصره عن الكتاب ذي الغلاف المتسخ الذي كان يقرؤه وسأل:

"أخيراً اشتريت الكمان، أليس كذلك؟"

فأجاب "رياح الشرق":

"سوف يتكلم عن الشراء منذ الآن".

فقال كأنه يتحدث إلى نفسه:

"لم يتحدث بعد عن ذلك! لقد أطل الحديث جداً".

ثم عاد إلى قراءة الكتاب، أما "الجدى" فقد كان مشغولاً بوضع الأحجار البيضاء والأحجار السوداء على قاعدة الطاولة في صمت.

"القمر البارد":

"فقفزت داخل المتجرة مرة واحدة وأنا أرتدى غطاء الرأس، ثم قلت: أريد كمانًا. وإذا بنحو خمسة فتیان وشباب يتسامرون حول مدفأة في الداخل، فنظروا تجاهى في دهشة، فجذبت غطاء الرأس إلى الأمام بيدي اليمنى كي لا يروا وجهى".

فقلت مرة أخرى:

"أريد كمانًا".

وإذا الفتى الذى كان أقربهم لى وكان ينظر إلىّ ويتفحص وجهى يقول بتكاسل:

"نعم".

ثم أنزل قطع الكمان الثلاث المعلقة وجاء بها إلىّ، فسألته كم ثمن الواحدة فقال خمسة ينات وعشرون سنًا، و..."

فقال البروفيسور الفشار:

"ماذا؟ أليس رخيصًا جدًّا! هل هو كمان حقيقى! أليس كمانًا لعبة أطفال!"

"القمر البارد":

"لقد سألت إذا كان الجميع السعر نفسه أم لا، فقال لى الجميع السعر نفسه وتمت صناعته بإتقان، فهو قوى، فأخرجت من حافظتى النقود ودفعت المطلوب ووضعت الكمان فى مفرش كبير كنت قد أحضرتة معى من أجل تغطيته، وفى أثناء فعلى ذلك كان البائعون قد توقفوا عن الكلام وأخذوا يحدقون إلىّ،

وبما أن وجهي مغطى بغطاء الرأس فلم يستطيعوا معرفتي، ولكني كنت مشغولاً بلف الكمان في المفرش كي أخرج بسرعة وأرجع إلى منزلي، وبعد مجهود كبير استطعت لفة في المفرش بإحكام ثم أخفيته تحت المعطف وغادرت المتجر، ولكن عندما كنت على وشك مغادرة المتجر إذا بصوت رئيس المتجر وبقية العاملين في آن واحد يقولون بصوت عالٍ: شكرًا على الشراء. فاندحشت من قولهم لأني كنت خائفًا أن يقولوا شيئًا آخر.

وعندما خرجت إلى الشارع نظرت يمينًا ويسارًا، فلم أجد أحدًا، ولكن على بعد نحو مئة متر كان هناك عدة أشخاص يسرون وهم يغنون، فقلت لنفسي خطر أن يشاهدوني، فاتجهت إلى الناصية الغربية للمتجر ثم سرت على جانب الممر المائي المجاور للمتجر إلى أن وصلت إلى طريق يكوأوچی، ثم سرت إلى سفح جبل قوشن، ثم سرت إلى منزلي، وعندما وصلت كانت الساعة قد صارت الثانية وعشر دقائق صباحًا.

فقال "رياح الشرق" متعاطفًا معه:

"هذا يعني أنك سرت طوال الليل".

فقال البروفيسور الفشار متنفسًا الصعداء:

"أخيرًا اشتريت الكمان، لقد قمت برحلة طويلة جدًا ومحفوفة بالمخاطر".

"القمر البارد":

"ما قلته حتى الآن كان مجرد مقدمة فقط، وما سوف أقوله من الآن أهم ما يجب أن تسمعه".

البروفيسور الفشار:

"ألم تنته الحكاية بعد! هل ما زالت لها بقية! أنت شخص طويل البال، لا يستطيع أحد أن ينتصر عليك".

"القمر البارد":

"إذا توقفت هنا ولم أكمل الحكاية، سوف أكون مثل مَنْ طهى طعامًا ونسى أن يضع فيه الملح، ولذلك سوف أستمر في قص حكايتي".

"رياح الشرق":

"طبعًا لك الحق أن تتحدث كيفما تشاء، وأنا مستمر في الاستماع إليك".

البروفيسور الفشار:

"ما رأيك يا أستاذ أن تسمع ما يقول، لقد قال إنه اشترى الكمان، يا أستاذ، رد".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"وهل سوف يتحدث عن أنه باعه بعد ذلك؟ إذا كان سيتحدث عن ذلك لا أريد الاستماع إلى حديثه".

"القمر البارد":

"لن أبيعها الآن".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"وأنا لن أستمع إليك".

"القمر البارد":

"هذا محزن، أنت فقط يا سيد رياح الشرق من تستمع إلى باهتمام، وهذا يجعلني غير متحمس كثيراً للاستمرار في الحديث، ولذلك سوف أختصر حديثي".

"رياح الشرق":

"لا تختصره، كلامك مشوق، تكلم على سجيتك كيفما تريد".

"القمر البارد":

"وأخيراً حصلت على الكمان الذي كنت أتمنى الحصول عليه، ولكن المشكلة الأولى التي واجتني بعد ذلك هي إيجاد مكان مناسب لإخفائه، خاصة أن كثيراً من الأصدقاء يأتون إلى حجرتي، وعليه لن أستطيع تعليقه أو وضعه في مكان ظاهر للعيان، وكما أن حفر حفرة ووضعها فيها ثم إخراجه منها كلما أردت العزف عليه ثم وضعه في الحفرة مرة أخرى - موضوع شاق".

فقال "رياح الشرق" كأنها مشكلة صغيرة:

"أخفيته في الفراغ الذي بين سقف الحجرة وسطح المنزل".

"القمر البارد":

"أنا في قرية ولا يوجد هذا الفراغ في منازل الفلاحين، إنهم عندما يشيدون المنازل لا يتركون فراغاً بين سطح حجرات الدور العلوى وسقف المنزل، سقف حجرات الدور العلوى هو نفسه سقف المنزل".

"رياح الشرق":

"إدًا فهي مشكلة صعبة الحل، فأين أخفيته؟"

"القمر البارد":

"حزر أين أخفيته!"

"لا أعرف، هل وضعته في الفراغ الموجود خلف باب

الحجرة؟"

"القمر البارد":

"لا".

"رياح الشرق":

"هل كنت تلفه بفراش النوم وتضعه في دولاب تخزين

فراش النوم؟"

"القمر البارد":

"لا".

وفي حين ظل "القمر البارد" يسأل "رياح الشرق" عن توقعه

للمكان الذي أخفى فيه الكمان، كان سيدي الأستاذ "عطسة"

والبروفيسور الفشار يتحدثان حديثًا خاصًا بهما، فقد سأل

سيدي الأستاذ "عطسة" البروفيسور الفشار:

"هل يمكن أن تقرأ لي هذا؟"

البروفيسور الفشار:

"أين؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هذين السطرين".

البروفيسور الفشار:

"ما هذا؟ مكتوب

Quid aliud est mulier nisi amicitiae inimical

أنت تعرف لغة لاتينية، أليس كذلك؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنا أفهمها ولكن اقرأ لي هذين السطرين".

فشعر البروفيسور الفشار بقلق من سؤال سيدي الأستاذ
"عطسة"، فقال محاولاً التهرب من الإجابة:

"ولكنك قلت إنك تفهمها وهذا يعنى أنك تستطيع
قراءتهما".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"طبعاً أستطيع قراءتهما ولكن ما معناهما؟"

البروفيسور الفشار:

"تقول إنك تستطيع قراءتهما ثم تسألني ما معناهما! كلام
غريب".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ترجمهما إلى اللغة الإنجليزية".

البروفيسور الفشار:

"ترجمهما! تأمرني كأنني جندي مكلف بخدمة لواء".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ليس مهمًا أن تكون جنديًا أم لا، ولكن المهم أن تقول لي معناهما".

البروفيسور الفشار:

"دعنا نتكلم في هذا لاحقًا، المهم الآن أن نستمع إلى كلام القمر، أنا أحاول أن أفهم ما يريد قوله، الآن هو يتحدث عن أهم جزء في حكايته، إنها النقطة الفارقة في الحكاية ويترتب عليها أن نفهم الحكاية أم لا".

ثم اتجه إلى "القمر البارد" قائلاً:

"وماذا حدث بعد ذلك؟"

وبدأ في الإنصات إلى حديث "القمر البارد"، وبذلك تهرب من الإجابة عن سؤال سيدي الأستاذ "عطسة"، وترك سيدي الأستاذ "عطسة" وحيدًا حزينًا، ولكن "القمر البارد" تحمس لشرح مكان إخفاء الكمان بعد أن اهتم البروفيسور الفشار بالاستماع إليه.

"القمر البارد":

"وأخيرًا اهتديت إلى أن أخفى الكمان في سلة كبيرة وقديمة مصنوعة من أعواد النباتات المتسلقة، كانت جدتي قد أهدتها لي عندما تركت قريتي وكانت قد ملأتها بالقرص كهدية لي،

وقد قالت لى إن تلك السلة كانت قد استخدمتها وقت زواجها لنقل ملابسها من منزل أبيها إلى منزل زوجها".

البروفيسور الفشار:

"إنها قديمة جدًا، فكيف تضع كمانًا جديدًا في سلة قديمة! إنهما لا يتناسبان معًا، أليس كذلك يا رياح الشرق؟"
"رياح الشرق:"

"فعلًا، ليس بينهما تناسب".

وحينئذٍ هاجم "القمر البارد" "رياح الشرق" قائلاً:
"وهل الفراغ الذى بين سقف الحجرة وسطح المنزل سيكون متناسبًا مع الكمان!"
سيدى الأستاذ "عطسة":

"اطمئن، طبعًا لا يناسب ولكن ربما صار شعرًا، لقد ألفت بيت الشعر التالى:

ها هو الكمان وحيدًا مختبئًا في سلة وقت الخريف
ما رأيكما في هذا الشعر أيها السيدان؟"

البروفيسور الفشار:

"أنت اليوم تجيد قرض الشعر".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ليس اليوم فقط، أنا دائماً أقرض الشعر ولكن داخل قلبي، وأنا موهوب جداً إلى درجة أن الشاعر الراحل مسا أوكا فتح فمه دهشة من موهبتي الشعرية الفذة".

فسأله "رياح الشرق" الصادق في كلامه وتصرفاته بطريقة مباشرة قائلاً:

"هل كنتما صديقين وكنتما تتقابلان؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ماذا؟ وحتى لو لم نكن صديقين ولا نتقابل، لكن كنا صديقين روحانيين وكنا نتقابل في الخيال، تقابل القلوب والأفكار".

وعندما سمع "رياح الشرق" هذا الكلام من الأستاذ، شعر بالدهشة الشديدة من هذا الهراء الذي قاله فصمت، أما "القمر البارد" فضحك ثم استمر في سرد حكايته، إذ قال:

"وبعد أن حددت مكان إخفاء الكمان، واجهت مشكلة إخراجها من السلة، والمشكلة ليس إخراجها فقط، فإخراجها دون أن يشاهده أحد أمر يسير، أخرجها في لحظة لا ينظر ناحيتي أي شخص، ولكن بعد أن أخرجها من السلة لن أظل أنظر إليه فقط، إذا لم أعزف عليه فلن يكون مفيداً لي، وإذا عزفت عليه سوف يصدر صوتاً، وإذا صدر صوت منه، سوف ينكشف أمرى في الحال، وفي الجنوب سور مصنوع من أخشاب شجرة

الكركديه السريانية، وبعد هذا السور بقليل يوجد منزل زعيم جماعة طلاب القاع، ولذلك يجب أن أكون شديد الحذر".

فقال "رياح الشرق" متعاطفًا معه:

"أنت في موقف لا تُحسد عليه".

البروفيسور الفشار:

"فعلاً، مشكلة صعبه الحل، بما أن الصوت سوف يُسمَع، سيكون هناك دليل واضح على وجود كمان، كما حدث مع زوجة الإمبراطور عندما هربت واستطاع الإمبراطور الوصول إلى زوجته من خلال سماع صوت آلة القانون التي كانت تحب العزف عليها، إذا كنت ستسرق طعامًا تأكله أو تزور عملة مالية ورقية فربما تستطيع إخفاء ذلك، ولا ينكشف أمرك، ولكن لا تستطيع إخفاء صوت الآلة الموسيقية".

"رياح الشرق":

"إذا كانت هناك وسيلة لعدم خروج الصوت، سوف تعزف كيفما تشاء دون مشكلة".

البروفيسور الفشار:

"انتظر قليلاً، معنى عدم خروج صوت، يعنى عدم القدرة على إخفاء الصوت، عندما كنت طالبًا كنت أسكن بجانب معبد في منطقة كويثشيكواوا، كان هناك زميل اسمه فوجى، وكان يحب احتساء الخمر، كان يحب شراء الخمر ووضعها في

قارورة جعة ثم احتساءها بمفرده، وفي يوم ما خرج كي يتنزّه،
ولكن الأستاذ سرق بعضاً من الخمر واحتساه و..."

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنا أحتسى خمر فوجى! أنت الذى فعلت ذلك".

البروفيسور الفشار:

"ماذا؟ اعتقدت أنك مشغول بقراءة الكتاب ولذلك لا تنصت
إلى حديثى، ولكنى كنت مخطئاً، أنت تنصت جيداً إلى ما أقول،
أنت شخص لا يُستهان به، أنت تنصت إلينا جيداً وفي الوقت
نفسه تقرأ الكتاب جيداً، ينطبق عليك المثل القائل أذنه وعينه
حادة، فعلاً أنا أيضاً احتسيت الخمر ولكن من كشف ذلك كان
أنت، أيها السيدان استمعاً، للأسف إن الأستاذ غير معتاد احتساء
الخمر، ولكنه احتسى كثيراً جداً من خمر ذلك الصديق، وكانت
مصيبة كبرى، فلقد احمر وجهه احمراراً شديداً، لدرجة أننى لا
أريد رؤية وجهه أحمر هكذا مرة أخرى".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"اخرس، انظر إلى نفسك، أنت لا تعرف اللغة اللاتينية".

فضحك البروفيسور الفشار ثم قال:

"وعندما عاد السيد فوجى أمسك بقارورة الخمر ورجها،
فوجد أنها قد نقصت إلى النصف، فقال هناك من شرب منها،
وعندما نظر في الحجرة وجد الأستاذ مستلقياً في ركن من
الحجرة مثل تمثال لا يتحرك".

فانفجر الثلاثة في آن واحد ضحكًا على الأستاذ، وأما الأستاذ فكان يبتسم وهو يقرأ الكتاب، ولكن "الجدى" الذى كان مندمجًا جدًّا في لعب الطاولة مع نفسه، بدا عليه الإرهاق من فرط التركيز في اللعب، ثم سقط دون أن يشعر أحد على قاعدة الطاولة فنام وغط وهو نائم.

البروفيسور الفشار:

"ليس الصوت فقط الذى يكشف المستور، ولكن هناك أشياء أخرى تكشف المستور، مثلاً، منذ زمن كنت قد ذهبت إلى العين الساخنة أوباقو وأقمت في فندق مع رجل مسن في الحجرة نفسها، ولكنه كان على المعاش وكان يستمتع بوقته، ولا أعرف بدقة إذا كان يعمل قبل المعاش في متجر بيع أقمشة جديدة أو ملابس مستعملة، وهذا موضوع ليس مهمًا، ولكن المهم أنه حدث لى ما جعلنى في مأزق، ألا وهو أنه بعد أن وصلت إلى العين الساخنة وبعد مرور ثلاثة أيام، للأسف انتهت السجائر التى كانت معى، وكما تعلمون حضراتكم أن العين الساخنة أوباقو تقع في سط منطقة جبلية، لا توجد فيها إلا تلك العين الساخنة وفندق إقامة ومطعم ملحق به ولا يوجد غير ذلك أى شىء آخر، وطبعًا انتهاء السجائر كارثة، فعندما يفقد الإنسان شيئًا، تزداد رغبته في الحصول عليه، فعندما كنت أفكر في عدم وجود سجائر كنت أشعر برغبة شديدة في تدخينها في الحال، وكان ذلك الرجل المسن قد أعد نفسه جيدًا للحضور إلى العين الساخنة، فلقد أحضر منديلًا كبيرًا ممتلئًا بالسجائر، وكان يجلس أمامى يربع رجليه ويأخذ سيجارة

تلو أخرى يدخنها ويُخرج الدخان قليلاً قليلاً، وإذا كان يُخرج الدخان بطريقة عادية لن توجد مشكلة، ولكنه كان يُخرجه في اتجاه دائري أو في اتجاه رأسي أو اتجاه أفقي، أو يُخرجه على شكل خط دخان ممتد أفقيًا أو يستنشقه مرة أخرى، أو يُخرجه من أنفه ثم يستنشقه مرة أخرى، يعنى كان يتباهى بتدخينه السجائر".

"رياح الشرق":

"ماذا؟ ما معنى يتباهى بتدخينه السجائر؟"

البروفيسور الفشار:

"كما يتباهى شخص ما بملابس أو أدوات يمتلكها، فذلك الرجل المسن كان يتباهى بسجائره".

"رياح الشرق":

"بدلاً من أن تتعذب شوقاً لتدخين سيجارة وأنت تنظر إليه يدخن السجائر، كان المفروض أن تطلب منه بعض السجائر".

البروفيسور الفشار:

"لا أستطيع أن أطلب منه".

"رياح الشرق":

"لماذا لا تستطيع أن تطلب منه؟"

البروفيسور الفشار:

"يمكن أن أطلب منه ولكنى لا أريد أن أفعل ذلك، أنا رجل مثله ولى كرامة".

"رياح الشرق":

"إذًا ماذا فعلت؟"

البروفيسور الفشار:

"لم أطلب منه سجائر ولكنى سرقتها".

"رياح الشرق":

"ماذا؟ سرقتها! أمر غير معقول".

البروفيسور الفشار:

"وفي إحدى المرات عندما أخذ الرجل الملسن منشفة وذهب إلى العين الساخنة للاستحمام، شعرت بالسعادة وقلت لنفسي هذه فرصة كي أدخن السجائر، ولكن بعدها بلحظات قليلة فوجئت أن الباب يُفْتَح، وهو يدخل".

"رياح الشرق":

"لم يذهب إلى العين الساخنة؟"

البروفيسور الفشار:

"كان في طريقه إلى العين الساخنة، ولكنه تذكر أنه نسي أن يأخذ الحقيبة الصغيرة التي يضع فيها حافظة النقود وبعض المتعلقات الأخرى، فعاد إلى الحجرة كي يأخذها، ولكنى شعرت بالضيق أن يفكر أن أحدًا سوف يسرقها".

"رياح الشرق":

"لا أعرف ماذا أقول لك، ولكن هل استطعت إخفاء تدخين سجائره؟"

ضحك البروفيسور الفشار ثم قال:

"الرجل المسن رجل حكيم، بصرف النظر عن موضوع حقيبة اليد التي بها حافظة نقوده، ولكنه عندما فتح باب الحجرة، وجد دخانًا كثيفًا داخل الحجرة، كأنه دخان تدخين يومين متتالين ومحبوس داخل الحجرة، وكما يقول المثل أخبار المصائب تنتقل بسرعة إلى الجميع، فلقد فهم في الحال أنني كنت أذخن سجائره".

"رياح الشرق:"

"وهل كان له تعليق على ذلك؟"

البروفيسور الفشار:

"كان كما توقعت، رجلاً عاقلاً، لم يقل شيئاً، بل قام بوضع نحو خمسين سيجارة في ورقة ولفها وأعطاني إياها قائلاً: آسف، ليست معي إلا سجائر ذات نوعية سيئة ولكن تفضل دخنها. ثم تركني وذهب إلى العين الساخنة".

"رياح الشرق:"

"هل هو حكيم وكريم هكذا لأنه من أهل طوكيو؟"

البروفيسور الفشار:

"لا أعرف إذا كان تصرفه هذا لأنه من أهل طوكيو أو لأنه بائع أقمشة، المهم أننا بعد ذلك صرنا صديقين حميمين، وقضينا أسبوعين معاً، حيث استمتعنا بالرحلة، ثم رجعت أنا إلى هنا".

"رياح الشرق":

"وظلت طوال الأسبوعين تدخن سجائر هدية من ذلك الرجل المسن؟"

البروفيسور الفشار:

"فعلاً، هذا ما حدث."

قلب سيدي الأستاذ "عطسة" الكتاب على وجهه وقال وهو يقوم من مكانه:

"هل انتهيت من حكاية الكمان أم لا؟"

"القمر البارد":

"لا، من الآن سوف أقص عليكم أظرف موقف في الحكاية، أنصتوا من فضلكم، وبالمناسبة ما اسم هذا السيد النائم فوق قاعدة الطاولة؟ نعم تذكرت السيد جدي، أرجو أن يستيقظ ويسمع ما سأقول، النوم هكذا ضار بالصحة، أرجو أن يوقظه أحدكم".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"استيقظ يا جدي، سوف تستمع إلى حديث مشوق، استيقظ، النوم هكذا ضار بالصحة، زوجتك سوف تقلق عليك".

فرفع "الجدي" رأسه وقال:

"ماذا؟"

مَكْتَبَةُ يَاسْمِينِ

وكان يسيل على لحيته التي مثل لحيّة الجدى لعابه على
هيئة خط متصل وطويل ولامع مثل حيوان الحلزون.
"الجدى":

"لقد نمت، كأني كنت سحابًا أبيض فوق قمة جبل، إحساس
جميل، كانت قيلولته جميلة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"نمت لأننا تركناك تنام، لو سمحت استيقظ".

"الجدى":

"حسنًا، سوف أستيقظ، ولكن هل سوف أسمع حديثًا
مشوقًا يوجب الاستيقاظ؟"

البروفيسور الفشار:

"سوف نستمع إلى أكثر جزء مشوق في حكاية الكمان، إنني
متشوق أن أعرف عما سيتحدث، هل تعرف عما سيتحدث يا
أستاذ؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"كيف لي أن أعرف؟ لا أستطيع التخمين أبدًا".

"القمر البارد":

"سوف أتحدث من الآن عن العزف على الكمان، احضر إلى
هنا واجلس كي تسمع يا أستاذ".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هل ما زلت سأستمع حديثًا عن الكمان؟ هذا شيء ممل".

البروفيسور الفشار:

"أنت يا أستاذ تعزف قانونًا ليست فيه أوتار، ولذلك لا تؤذى أحدًا، ولكنه يعزف الكمان بأصوات عالية وصارخة، فيصل إلى الجيران بوضوح، فيزعجهم بشدة".

"الجدى":

"أهكذا! ألا تعرف يا قمر أن تعزف دون أن يصل إلى الجيران صوت الكمان؟"

"القمر البارد":

"ألا أعرف! وهل هناك طريقة لذلك! إذا كانت هناك طريقة لذلك أخبرني".

"الجدى":

"ليس مهمًا أن تسأل أحدًا، لو هداك الإله إلى طريقه المستقيم سوف تعرف".

فشعر "القمر البارد" بأن كلام "الجدى" غير مفهوم، وأنه يعتمد قول ذلك من أجل الاستخفاف والسخرية والضحك، فقرر أن يتجاهل الرد عليه وأن يستمر في قص حكايته مع الكمان.

"القمر البارد":

"وأخيراً خطرت على بالى فكرة، كان اليوم التالى يوم الاحتفال السنوى بعيد ميلاد الإمبراطور، ولذلك كنت موجوداً فى حجرى منذ الصباح، فكنت أنزع الغطاء الذى على السلة التى بداخلها الكمان ثم أضعه مكانه مرة أخرى، وظللت أفعل ذلك طوال اليوم إلى أن غربت الشمس، وسمعت صوت أزيز مرصور الحقل من داخل السلة، فانتزعت الغطاء وأخرجت الكمان وقوس العزف".

فقال "رياح الشرق":

"أخيراً وبعد طوال انتظار سوف تعزف".

فقال البروفيسور الفشار محذراً "القمر البارد":

"عزف الكمان هكذا يعرضك للخطر".

"القمر البارد":

"أولاً فحصت القوس من أوله إلى آخره و.."

فقال البروفيسور الفشار يغيظه:

"تفحصه! تفعل مثل المبتدئ فى استخدام السيف".

"القمر البارد":

"فى الواقع شعرت أن روحى فيه، وكما يهتم المحارب بالسيف المشهور، فىقوم بسنه وتلميحه جيداً، ثم يُخرجه بعد ذلك من جرابه ليلاً كي يتفحصه على ضوء الشموع، كنت أفعل أنا

هكذا مع قوس الكمان، ولقد شعرت بهزة شديدة في جميع أنحاء جسدي وأنا أحمل القوس".

فقال "رياح الشرق":

"يا سلام، هزة بسبب أنك عبقرى".

فقال البروفيسور الفشار:

"بل الهزة بسبب أنه مريض صرع".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة":

"اعزف بسرعة لو سمحت".

أما "الجدى"، فكان حال وجهه يقول إنه يشعر بضيق.

"القمر البارد":

"وشعرت بالراحة أن القوس ليس به أى ضرر، وبعد ذلك أخذت الكمان بالقرب من المصباح وأخذت أتفحصه جيداً، سواء من الأمام أو الخلف، وقد استغرق ذلك خمس دقائق، ولكن لا تنسوا أنه فى أثناء فحصي للكمان كنت أسمع أزيز الصرصور الموجود فى قاع السلة، و..."

سيدي الأستاذ "عطسة":

"اطمئن لن ننسى ذلك ولا أى شىء آخر، المهم أن تعزف بسرعة".

"القمر البارد":

"لن أعزف الآن، ولحسن حظى أن الكمان لم يكن به أى ضرر، فوقفت فوراً و..."

البروفيسور الفشار:

"أين ستذهب؟"

"القمر البارد:"

"لو سمحت، استمع في صمت، لا أستطيع مواصلة الكلام وأنت تعلق على كل جملة أقولها".

البرفيسور:

"أيها السادة، سكوت تام، اخرسوا".

"القمر البارد:"

"أنت فقط الذى يتكلم".

البروفيسور الفشار:

"ماذا؟ أنا! حسنًا، أنا آسف، سوف أنصت في صمت".

"القمر البارد:"

"وضعت الكمان تحت إبطى، وعلقت النعل في قدمى ثم سرت عدة خطوات وخرجت من الباب، ولكنى توقفت برهة
و..."

سيدى الأستاذ "عطسة":

"كما توقعت، سوف تتوقف في مكان ما، وتتجنب الحديث
عن العزف".

البروفيسور الفشار:

"لا تقل إنك ستعود إلى الحجرة وتأكل كاكأ، لم تعد هناك كاكأ".

"القمر البارد":

"بما أنكم تعلقون على كل جملة أقولها، فلن أستطيع الرد عليكم جميعًا، لأننى لا أريد التطويل فى سرد الحكاية، ولذلك سوف أتحدث فقط إلى السيد رياح الشرق، لأنه الوحيد المهتم بسماعى ولا يقاطعنى، ويا سيد رياح الشرق، بعد أن توقفت برهة رجعت إلى الحجرة حيث وضعت البطانية الحمراء التى كنت قد ابتعتها عند خروجى من مسقط رأسى بثلاثة ينات وخُمس ين، ثم أطفأت المصباح فصار المكان مظلمًا تمامًا، ولم أستطع تحديد مكان وجود النعل".

البروفيسور الفشار:

"شئ غريب! أين تذهب؟"

"القمر البارد":

"استمع دون مقاطعة، وأخيرًا وجدت النعل وارتديته وخرجت من المنزل، وكانت ليلة قمرية، إذ أحمل الكمان تحت إبطى وأضع بطانية حمراء فوق رأسى وأسير على أوراق الكاكا الساقطة على الأرض، وظللت أسير صاعدًا ناحية اليمين إلى أن وصلت إلى جبل كوشن، حيث سمعت صوت جرس معبد طوريه يدوى فجأة، فاخترق صوته البطانية ثم اخترق أذنى، ثم اخترق رأسى إلى وسطه وانتشر صدى صوته داخل رأسى، وهل تعرف متى كان الوقت حينذاك يا سيد رياح الشرق؟"

"رياح الشرق":

"لا أعرف".

"كانت الساعة التاسعة، وكنت في فصل الخريف وفي الليل، وليل الخريف طويل، ومن ذلك الوقت كنت سوف أصعد طريقًا جبليًا طوله تسعمئة متر إلى مكان اسمه أوضيرا، ورغم أنني بطبيعتي وحتى في الأيام العادية جبان، ولذلك في موقف مثل هذا مفترض أن أشعر برعب شديد، ولكن ما حدث في الواقع أنني لم أشعر بأى خوف، لم تهتز شعرة من شعري خوفًا، وهذا شيء عجيب، والسبب في عدم شعوري بأى خوف هو أنني كنت أفكر فقط في العزف على الكمان.

ومنطقة أوضيرا هذه تقع في الناحية الجنوبية لجبل كوشن، وهى منطقة مستوية وبها أشجار صنوبر، وعندما تصعد إلى تلك المنطقة في اليوم الذى يكون الجو فيه جيدًا وتنظر إلى أسفل، تستطيع أن تشاهد منطقة القلعة، ومساحة منطقة أوضيرا نحو ثلاثمئة وخمسين مترًا مربعًا، وتوجد في وسطها صخرة كبيرة نحو ثلاثة عشر مترًا مربعًا، وفي الجهة الشمالية توجد بركة اسمها بركة أو نو نوما وحولها ثلاث أشجار كافور وهى متعانقة، ولا توجد منازل في هذه المنطقة، يوجد كوخ واحد فقط يعيش فيه شخص يعمل في تصنيع النفطالين من أشجار الكافور، والمكان حول البركة لا يبعث على السعادة، حتى لو منتصف النهار، ولحسن الحظ أن قام مهندسو الجيش بشق طريق من أجل تدريباتهم العسكرية، وذلك الطريق هو الذى يَسّر عملية صعود ذلك الجبل.

وبعد مجهود وصلت إلى الصخرة الكبيرة وصعدت فوقها وفرشت البطانية وجلست فوقها، وكانت المرة الأولى التي أصد فيها ليلاً والجو بارد جداً هكذا، وعندما جلست فوق الصخرة شعرت ببعض الراحة، وبدأت أشعر بالهدوء النفسى شيئاً فشيئاً حتى امتلأ قلبي شعوراً بالهدوء، وفي هذه الحالة، فإن الشيء الوحيد الذى يفسد ذلك الشعور، هو الشعور بالخوف، وإذا انتزعنا الشعور بالخوف لن يتبقى إلا الشعور الأبيض الصافي الروحاني، وظللت لمدة عشرين دقيقة أشعر بأننى أعيش في هدوء بمفردي داخل قصر مصنوع من الكريستال، وفوق ذلك شعرت بأن جسدى، بل ليس جسدى فقط ولكن قلبي وروحي أيضاً صارت نسيماً بارداً يمر داخل كل شيء، ولم أعد أعرف إذا كنت أشعر بأننى داخل قصر مصنوع من الكريستال، أم داخل قصر مصنوع من الكريستال و..."

وهنا تدخل البروفيسور الفشار وقال جاداً:

"لقد خرجت عن الموضوع، أليس كذلك؟"

فتبعه "الجدى" وبدا عليه الإعجاب بما قاله "القمر البارد":

"حالة خيالية جميلة وجذابة".

"القمر البارد":

"لو استمرت حالتى هكذا، لكنك ظللت جالساً فوق الصخرة إلى صباح اليوم التالى دون عزف الكمان و..."

"رياح الشرق":

"ألم توجد ثعالب في تلك المنطقة؟"

"القمر البارد":

"وفي تلك الحالة الشعورية التي كنت أمر بها، لم أستطع التفرقة بينى وبين ما هو حولى، ولم أعرف إذا كنت حيًا أم كنت ميتًا، ولكن في أثناء كل تلك الأحاسيس سمعت فجأة صوتًا غريبًا يأتي من آخر البركة".

"رياح الشرق":

"وأخيرًا ظهر ما كنت أتوقع ظهوره".

"القمر البارد":

"وكان صدى ذلك الصوت يصل إلى الأماكن البعيدة، وصل إلى أطرف الجبل، ثم فجأة عاد إلى وعيى و..."
فقاطعه البروفيسور الفشار وهو يضع يده على صدره ويقول:
"هكذا شعرت بالطمأنينة".

وهناك قال "الجدى" وملامح وجهه تعبر عما يعنى:

"عندما يترك الإنسان كل شيء يصل إلى الإيمان الحقيقى".

ولكن "القمر البارد" لم يفهم ما قاله "الجدى"، ولذلك استمر فى حديثه فقال:

"وبعد أن عاد إلى وعيى، نظرت حولى فوجدت السكون فى كل مكان فى الجبل، لدرجة عدم سماع صوت الأمطار التى

تتساقط، فاندَهشت وسألت نفسي: ما الصوت الذى سمعته منذ لحظات وكان صوتًا غريبًا! إنه صوت أرفع من صوت البشر، وأضخم من صوت الطيور، هل توجد قرود هناك!

وبدأ عقلى يسألنى: صوت ماذا؟ ما هذا الصوت! وعندما حاولت الإجابة عن هذا التساؤل زال السكون الذى كنت قد شعرت به، وحل محله اختلاط والتباس وتداخل، مثلما حدث بالضبط عندما جاء الأمير الإنجليزي آرثر دوق كونوت إلى اليابان وقابله أهل طوكيو بترحاب هستيرى".

"القمر البارد":

"وشعرت بأن شجاعتي وعزيمتي وقدرتي على الحكم على الأشياء وهدوئي قد تبخر بسرعة مثل الكحول.

وكان قلبى يهتز بشدة تحت عظام القفص الصدرى، وساقاى تتمايلان بشدة فى كل اتجاه مثل خيط طائرة ورقية فى أثناء التحليق فى عاصفة.

فلم أستطع التحمل.

وفجأة، وضعت البطانية على رأسى، والكمان تحت إبطى، وقفزت من فوق الصخرة بسرعة الرياح، ولم أشاهد إلا طريق النزول من فوق الجبل، فانطلقت كالريح العاصفة تجاه سفح الجبل ثم المنزل حيث قفزت فى الفراش ولففت نفسى فى الغطاء ونمت، ولكنى عندما أفكر الآن فى ذلك الذى حدث يا سيد رياح الشرق، أجد أن ذلك أكثر شىء مفرع حدث لى فى حياتى".

"رياح الشرق":

"وماذا حدث بعد ذلك؟"

"القمر البارد":

"لم يحدث بعد ذلك شيء، وهكذا انتهت الحكاية".

"رياح الشرق":

"ألم تعزف على الكمان؟"

"القمر البارد":

"كنت أريد ذلك ولكن لم أستطع، الصوت الذي سمعته أفرغني، لو كنت مكاني لما عزفت أيضًا".

"رياح الشرق":

"أشعر بأن هناك شيئًا ما ناقصًا في هذه الحكاية".

"القمر البارد":

"حتى لو شعرت بذلك، فإن ما سردته عليك حقيقة، ما رأيكم في حكايتي مع الكمان؟"

فضحك البروفيسور الفشار وقال:

"عظيم، أكيد أنك عانيت بشدة كي تقص علينا هذه القصة التي انتهت بهذه النهاية، لقد توقعت أن تصير ساندرا بيلوني اليابان، ولذلك كنت أستمع إليك باهتمام شديد".

قال ذلك وتوقع أن يسأله أحد الحضور:

من ساندرا بيلوني هذا؟

فيجدها فرصة كي يستعرض ثقافته، ولكن أحدًا لم يسأله عن ذلك، فاستمر في حديثه فقال:

"كان ساندرا بيلوني يعزف على قيثارته ويغنى أوبرا إيطالية في الغابة على ضوء القمر، ولقد توقعت أن تفعل أنت كما كان يفعل وعلى المستوى نفسه ولكن مع اختلاف المكان، إذ ستعزف على جبل كوشن، واختلاف الآلة الموسيقية، إذ ستستخدم آلة الكمان، وفي حالة ساندرا بيلوني، فلقد انبهر من مشاهدة إلهة القمر تهبط إليه من سحر موسيقاه، أما في حالتك فشيء محزن أنك قد فزعت من صوت شبح كلب راكون جاء من البركة القديمة، فرق بين حكاية ساحرة، وحكاية ساخرة، ما حكيتنا لنا شيء يدعو إلى الأسف."

فرد "القمر البارد" بطريقة عادية:

"ليست حكاية سيئة إلى درجة الأسف كما تقول."

وأضاف سيدي الأستاذ "عطسة":

"توقعت أن يكون أجمل مشهد في الحكاية مشهد عزفك بالكمان على الجبل، ولكنني صُدمت أن ذلك لم يحدث."

فتنهد "الجدى" حسرة وقال:

"تظنونه خيرًا وهو شر، يا لها من حسرة".

وكل ما يقوله "الجدى" بالنسبة إلى السيد "القمر البارد"،
كلام غير مفهوم على الإطلاق، ومَن لا يفهم كلام "الجدى" ليس
"القمر البارد" فقط، بل الجميع.

ثم بعد برهة غير البروفيسور الفشار موضوع الحديث، إذ قال:
"حسنًا، وهل ما زلت تذهب كالمعتاد كل يوم إلى الجامعة
كي تنحت كرة زجاجية؟"
"القمر البارد":

"لا، لقد كنت في مسقط رأسي في الفترة السابقة، ولذلك
لم أذهب إلى الجامعة، لقد شعرت بالملل من نحت الكرة
الزجاجية، وفي الواقع أفكر في التراجع عن فكرة نحتها".
فرفع سيدي الأستاذ "عطسة" حاجبية دهشة وقال:

"ولكن إذا لم تنحت كرة زجاجية لن تحصل على درجة الدكتوراه".
فرد "القمر البارد" بهدوء غير متوقَّع فقال:
"درجة الدكتوراه! الحصول على درجة الدكتوراه لم يصر مهمًّا".
سيدي الأستاذ "عطسة":

"ولكن ربما هذا سوف يؤدي إلى فشل الزواج وكلاكما سوف
يحزن بسبب ذلك".
"القمر البارد":
"زواج! زواج من؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"زواجك".

"القمر البارد":

"أنا أتزوج بمن؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"غنية ابنة أبو الذهب".

"القمر البارد":

"ماذا؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أنت وعدتهم أن تتزوج بابنتهم، أليس كذلك؟"

"القمر البارد":

"أنا لم أعدهم بذلك، لا تنشر كلامًا مثل هذا، إنهم يعتقدون ذلك، وهم أحرار يعتقدون ما يرون".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ماذا؟ كلام غريب. ما رأيك يا بروفيسور، أنت كنت معي وقت الحوار الذي دار بيني وبين تلك السيدة وهو سر بيني وبينك".

البروفيسور الفشار:

"تلك السيدة! نعم تقصد السيدة منخار، ذلك الحوار ليس سرًا بيني وبينك، إنه سر عام، سر تعرفه البشرية جمعاء،

الموضوع صار معروفًا، الجميع يعرف ذلك لدرجة أن الصحافيين يسألونني كثيرًا متى سيتزوجان كي ننشر صورتهم وخبر زواجهما، والسيد رياح الشرق قد كتب قصيدة شعر طويلة عن قصة حبكما وينتظر منذ ثلاثة أشهر كي يلقيها بمناسبة عقد قرانكما، فإذا لم تحصل على درجة الدكتوراه لن تكون لما كتبه من شعر أى قيمة، ما تقوله يقلق السيد رياح الشرق جدًّا، أليس كذلك يا سيد رياح الشرق؟

"رياح الشرق":

"الموضوع لم يصل إلى درجة القلق، لقد كتبت شعرًا من أعماق قلبي وسوف أقرؤه على الملأ عندما أجد الفرصة المناسبة لذلك".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"انظر، حصولك على درجة الدكتوراه أو عدم حصولك عليها له تأثير في الجميع. لو سمحت تحمّل واجتهد في نحت الكرة الزجاجية".

ضحك "القمر البارد" ثم قال:

"أعتذر عن تسببي لكم في كل هذا القلق، ولكن لم تعد هناك ضرورة للحصول على درجة الدكتوراه".

البروفيسور الفشار:

"لماذا؟"

"القمر البارد":

"لماذا؟ بوضوح لأنى عندي زوجة".

البروفيسور الفشار:

"ماذا؟ متزوج! أنا لا أصدق ما أسمع، هل تزوجت سرًا دون أن تخبرنا! الدنيا صارت غريبة، يحدث فيها ما لا يتوقعه أحد، هل سمعت يا أستاذ؟ يقول إنه متزوج وعنده زوجة وأطفال".

"القمر البارد":

"ليس عندي أطفال بعد، ولكن سوف يولد لي طفل في خلال شهر من الآن".

وحينئذٍ سأله سيدي الأستاذ "عطسة" لأنه قاضٍ وهو مذنب، فقال له:

"متى وأين تزوجت؟"

"القمر البارد":

"هى من مسقط رأسى وكانت تنتظر عودتى كى نتزوج، وعندما عدت تزوجنا، والأسماك التى أحضرتها اليوم لك كانت هدية من أهل زوجتى بمناسبة الزواج".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ثلاث سمكات فقط! أهل زوجتك بخلاء".

"القمر البارد":

"ماذا؟ تلقيت الكثير ولكنى أحضرت للأستاذ ثلاثاً فقط".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"وهل بشرتها قائمة اللون؟"

"القمر البارد":

"نعم قائمة جداً، مثلى تماماً".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"وماذا ستفعل مع السيد أبو الذهب؟"

"القمر البارد":

"ليس هناك ما أفعله معه، لن أفعل شيئاً".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"ولكن ذلك سوف يكون سوء أدب منك، أليس كذلك يا

بروفيسور؟"

البروفيسور الفشار:

"ليس سوء أدب، لأن السيد أبو الذهب سوف يزوجها بغيره، الزواج يعنى رجلاً وامرأة يجتمعان معاً في مكان مظلم، وإذا لم يجتمعا معاً في مكان مظلم، فظلم أن نجمعهما معاً في مكان مظلم بالضغط، وليس مهماً من يجتمع مع من في مكان مظلم، ما دام ليس بضغط ولكن بإرادتهما، إذ إن ذلك لن يسبب لهما مشكلة، ولكن ما يجعلني أشعر بالحزن هو السيد رياح الشرق الذي كتب شعراً لهذه المناسبة التي لن تحدث".

"رياح الشرق":

"ماذا؟ ليس هناك ما يحزن، فسوف أقوم بتعديل الشعر كي يكون مناسباً له وسوف ألقيه له، وسوف أقرض شعراً آخر لابنة السيد أبو الذهب".

البروفيسور الفشار:

"فعلاً أنت شاعر متمكن، تقرض الشعر كيفما تشاء".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" وهو ما زال قلقاً بشأن السيد "أبو الذهب":

"هل أخبرت السيد أبو الذهب واعتذرت له؟"

"القمر البارد":

"لا، ليس هناك سبب أن أفعل ذلك، لأنني لم أطلب منه أن أتزوج بابنته، ولذلك سوف أصمت، يكفي الصمت، أكيد هناك عشرات التحريات الخاصة به والذين يتلصصون عليّ، ويعلمون كل شيء عني، وينقلون إليه جميع أخباري".

وعندما سمع سيدي الأستاذ "عطسة" كلمة "تحريات خاصة" ظهر على وجهه الضيق فقال:

"إذا الصمت أفضل".

ويبدو أنه لم يشعر بأن الكلام عن التحريات الخاصة إلى هذا الحد كافٍ، لذلك تحدث باستفاضة عنهم كأنه يلقي محاضرة مهمة، فقال:

"إن مَنْ يأخذون ما في جيوب الآخرين عندما يكونون غير متبهين يكونوا لصوصاً، وإن مَنْ يحصلون على معلومات عن الآخرين دون أن يكونوا متبهين يكونوا تحريين خاصين، وإن مَنْ يفتحوا نوافذ المنازل دون معرفة أهلها ويدخلوا ويأخذوا ممتلكاتهم يكونوا لصوصاً، وإن مَنْ يستدرجوا شخصاً كي يبوح

بما في مكنون قلبه دون علمه بنيتهم من استدراجه يكونوا
تحريرين خاصين.

كما أن مَنْ يغرس السيف في أرض منزل ويهددهم لإحضار
أموالهم يكون لَصًّا مسلحًا، وإن مَنْ يُجبر شخصًا على قول ما
لا يريد قوله يكن تحريًّا خاصًا.

ولذلك فإن التحري الخاص شخص ينتمى إلى عائلة اللصوص
والنشالين وقطاع الطرق، ولذلك لا يجب أن تنظر إليهم كما
لو أنهم أعلى من بقية الناس، وعليه لا يجب الإنصات إلى
ما يقولون أو فعل ما يريدون، لا يجب أن تجعلهم ينتصرون
عليك، إنهم جواسيس".

فقال "القمر البارد":

"ماذا؟ لا تخف عليّ، حتى لو كانوا جيشًا من ألف شخص
أو ألفى شخص، وهاجموني لن يستطيعوا أن يجعلوني أشعر
بالخوف، أنا حاصل على بكالوريوس علوم، أنا مشهور بنحت
الكرة الزجاجية، أنا القمر".

فرد البروفيسور الفشار:

"يا لك من إنسان واثق بنفسه تمام الثقة، شاب يافع
متحمس وحاصل على درجة بكالوريوس وعريس جديد، ولكن
يا أستاذ، إذا كان التحري الخاص من عائلة اللصوص والنشالين
وقطاع الطرق، فماذا يكون أبو الذهب؟"

قال سيدى الأستاذ "عطسة":

"زعيم عصابة، لا يقل مستوى عن زعيم العصابة المشهور المسمى كوماساكا الذى كان يعيش فى القرن الخامس عشر".

فقال البروفيسور الفشار:

"نعم كوماسا القرن الخامس عشر كان زعيم عصابة شديد البأس، ولكنه قُتِلَ فى النهاية، أما كوماسا الذى يعيش بالقرب من هنا مرابٍ، إنسان لا يكل ولا يمل من السعى بأى وسيلة إلى تحقيق ما يريد، لو أوقع بك لن تستطيع التخلص منه أبداً طوال حياتك، احذر منه جيداً أيها القمر".

فقال "القمر البارد" بهدوء وثقة بالنفس مبيناً قدراته:

"لا تقلق علىّ، إنه لص جشع، ربما يعتقد أننى ضعيف، ولكن لو حاول الإيقاع بى سوف ألقنه درساً لن ينساه أبداً".

وحينئذٍ سأل "الجدى" سؤالاً بطريقة عادية، رغم أن السؤال ليست له علاقة قوية بمحتوى الحديث الدائر:

"بالنسبة إلى الأشخاص الذين يقومون بعمل التحريات الخاصة، فإننى أرى أن غالب البشر الذين يعيشون فى القرن العشرين، الذى هو قرننا الحالى، يكونون تحريين خاصين، ولكنى لا أعلم لماذا هم تحريون خاصون".

فقال "القمر البارد":

"أکید بسبب ارتفاع الأسعار".

وقال "رياح الشرق":

"أکید لأنهم لا یمیلون إلى الفنون ولا یمارسونها".

وقال البروفیسور الفشار:

"لأن الثقافة فقدت استواءها وصارت مدببة، لها حواف كثيرة ليست لها فائدة مثل قطع سكر النبات الياباني التي لها شكل مدبب، لا فائدة لها، ما جعل الأنسان يقلق، قلق الإنسان هو السبب".

ثم جاء دور سيدى الأستاذ "عطسة"، فقال الكلام التالى بطريقة توحى للمستمع أن موضوع الحديث مهم وخطير:

"لقد فكرت فى ذلك الموضوع طويلاً وبعمق، وإننى بعد طول تفكير توصلت إلى أن ميل أكثرية الناس فى عصرنا هذا إلى أن يصيروا تحريين خاصين يرجع إلى تفكير الإنسان فى ذاته أكثر من اللازم، إنه الإفراط فى التفكير فى الذات، وما أسميته الإفراط فى التفكير فى الذات، ووجهة نظرى هذه تختلف عن وجهة نظر الجدى، الجدى يقول إن الإنسان ليس مثل السماء أو الأرض، إن الإنسان قادر بنفسه على اكتشاف الشر والوصول إلى الهداية والطريق المستقيم".

فقال البروفیسور الفشار:

"على عكس ما توقعنت، لقد تطور الحديث إلى العمق والصعوبة الشديدة والتعقيد، وبما أنك يا أستاذ قلت رأياً يحتاج إلى نقاش كبير، فأرى أنه من واجبى أن أدلى بدلوى بالنسبة إلى ما قلت لاحقاً كي أنقد البشرية".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"قل ما تشاء، ولو أنك دائماً لا تقول شيئاً ذا قيمة".

البروفيسور الفشار:

"بل أقول ما له معنى، مثلاً أنت سابقاً احترمت شرطى التحرى كأنه إله، ولكنك الآن تقول على التحرى إنه من عائلة اللصوص وقطاع الطرق، هذا كلام متضارب، لكنى لا أغير أى رأى لى إطلاقاً".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"شرطى التحرى شرطى تحرّ، والتحرى الخاص تحرّى خاص، وسابقاً سبقاً، واليوم اليوم، هذا شيء وذلك شيء آخر، كما أن عدم تغيير الرأى إطلاقاً دليل على عدم التطور، المثل يقول:

الغبى لا يغير وجهة نظره مهما حدث

وهذا القول ينطبق عليك".

البروفيسور الفشار:

"هذا كلام جارح، فإن التحرى الخاص له أيضاً إيجابياته".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هل تقصد أننى تحرّى خاص؟"

البروفيسور الفشار:

"أنت لست كذلك، أنت إنسان شريف، دعنا نتوقف عن الشجار، ونستمع إلى بقية وجهة نظرك فى هذا الموضوع".

"إن الإنسان أفرط في التفكير في الذات، لأنه فكر في النفع والضرر، ووجد أن الفارق كبير بين النفع والضرر، ففكر في النفع لنفسه، ومع مرور الوقت وتقدم الحضارة، زاد تفكير الإنسان في التفكير في النفع لذاته، وبالتالي بدأ الإنسان في التفكير في كل صغيرة يفعلها إذا كانت نفعًا له أم لا، وبالتالي لم يعد يتصرف بتلقائية، فالشاعر الإنجليزي ويليام أرنست هينلي قال عن الشاعر الأسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون إنه لا ينسى التفكير في ذاته مطلقًا، حتى إنه كلما مر أمام المرأة لا يشعر بالراحة إلا إذا نظر إلى نفسه في المرأة، وهذا القول ينطبق على الناس هذه الأيام، فنحن نفكر في أنفسنا ونحن مستيقظين أو نائمين، وكل شخص يقول أنا وهو قائم أو وهو نائم، وصار كلام الإنسان وتصرفاته شيئًا اصطناعيًا، ليست له علاقة بفطرته، ولذلك صارت الحياة صعبة ومتعبة، وصرنا نتحدث ونتصرف بتصنع في كل يوم من حياتنا مثلما يتحدث ويتصرف شاب وشابة بتصنع في مقابلة للتعرف وتحديد إذا كان كل منهما أعجب بالآخر أم لا كي يحددا أيتزوجان أم لا".

ثم استطرد قائلاً:

"شخصية إنسان الزمن الحالي شخصية تحريّ خاص، شخص جاسوس، شخصية لص معلومات.

إن التحريّ الخاص يعتقد أنه ذكي وأن ما يفعله مفيد له، ولذلك يفعله متعمدًا أن يكون في الخفاء بعيدًا عن علم الآخرين، فهو أناني، لا يفكر إلا في نفسه، يفرط في التفكير في

فائدة ذاته، لا يستطيع أن يصير تحريّ خاص إلا إذا لم يفرط في التفكير في نفسه، وهو في الأصل أناني، في الأصل يفرط في التفكير في نفسه.

أما اللص فإنه لا يستطيع التوقف، حتى إذا تم القبض عليه، لذلك فهو مضطر إلى أن يكون أنانيًا، مضطر إلى أن يفرط في التفكير في نفسه.

فإن إنسان هذه الأيام يفكر باستمرار في ما الذي يفيد وما الذي يضره، ما يجعله يفكر بإفراط في نفسه مثل التحري الخاص أو اللص، يفكر في ذلك طوال الوقت ما يجعله قلقًا ومتوترًا ولا يستطيع الشعور بالأمان أبدًا، ويظل هكذا إلى أن يدخل القبر، إن القلق لعنة الإنسان، القلق شيء سخيّف، القلق شيء مؤرق، القلق شيء مقزز.

وهنا فتح "الجدى" فاه فجأة وقال:

"نعم، هذا تحليل مدهش".

ولا يمكن أن تتم مناقشة قضية مثل هذه ويظل "الجدى" صامتًا، طبعي أن يقول وجهة نظره، ثم استطرد فقال:

"أنا أتفق معك في وجهة نظرك يا أستاذ، ناس زمان كانوا يعلمون الآخرين ألا يفكروا في فائدة أنفسهم، ولكن الناس الآن مختلفون عن ناس زمان، ناس الآن يعلمون الآخرين أن يفكروا في فائدة أنفسهم دون توقف طوال الأربع وعشرين ساعة، إن التفكير الدائم في فائدة النفس كالوجود الدائم في جهنم الحمراء، إن أكثر ما يريح الإنسان في هذه الحياة ألا يفكر في

فائدة نفسه، لا توجد راحة أكثر من عدم تفكير الإنسان في فائدة نفسه، وإننى أريد أن أقول إن وقت منتصف الليل حين يكون القمر ساطعًا وقت مناسب كي يفكر الإنسان في جمال الطبيعة ولا يفكر في فائدة نفسه.

فإن بشر هذه الأيام حتى إن كان بعضهم طيبًا وعطوفًا يفتقدون الإحساس الطبيعي والإحساس بالطبيعة، وعلى سبيل المثال، الإنجليز يستخدمون كلمة nice (جميل) للتعبير عن الافتخار بتصرفاتهم، وهذا يدل على أنهم يفكرون في أنفسهم إلى أقصى درجة لا يتخيلها أحد، فمثلاً عندما زار إمبراطور إنجلترا إدوارد السابع الهند وجلس مع عائلة الملك الهندي يتناول الطعام، قام أفراد العائلة الملكية الهندية بالإمساك بالبطاطس بأيديهم ووضعها في طبق إمبراطور إنجلترا، وذلك التصرف بحسن نية لأنها عاداتهم المتعارف عليها في الهند، ولكن بعد ذلك احمرت وجوههم حرجًا من ذلك التصرف، إذ إن إمبراطور إنجلترا لم يتناول البطاطس التي وضعوها له في طبقه بهذه الطريقة، بل أخذ لنفسه بطاطس أخرى أمسكها بإصبعيه ووضعها في طبقه وتناولها".

وهنا قال "القمر البارد":

"هل عادة الإنجليز أخذ الطعام بإصبعين؟"

ولكن سيدي الأستاذ "عطسة" لم يجب عن السؤال واستمر في كلامه فقال:

"ولقد سمعت الحكاية التالية

"في أحد معسكرات الجيش الإنجليزي، تجمع كثير من الضباط وأقاموا وليمة لأحد أفراد صف ضابط، وبعد تناول الطعام أحضر الخدم ماء في كئوس لغسل الأصابع التي استخدمها الشخص في إمساك الطعام، وقدموا لكل شخص كأسًا، ولكن صف الضابط هذا لم يكن معتادًا حضور ولائم، ولذلك لم يكن يعلم أنها كأس لغسل الأصابع بما فيها من ماء، فأخذ الكأس الخاصة به ووضعها على فمه وشرب كل ما فيها من ماء، وإذا بقائد المعسكر يقول له في صحتك، ثم شرب ماء كأس غسل أصابعه هو الآخر، وإذا ببقية الضباط يقولون لصف الضباط هذا في صحتك ثم يشربون الماء الموجود في كئوسهم لغسل أصابعهم".

وهنا قال البروفيسور الفشار الذي لا يستطيع الصمت طويلًا:

"وعندي حكاية أخرى سوف أقصها عليكم".

ثم قال:

"عندما قابل الكاتب الأسكتلندي توماس كارليل ملكة إنجلترا للمرة الأولى، وكان ذلك في قصرها الملكي، لم يكن معتادًا بروتوكول التعامل في حضور القصر الملكي، فقال لها تفضلتي بالجلوس ثم جلس هو من تلقاء نفسه، وكان يقف خلف الملكة كثير من الخدم ونساء القصر فضحكوا على تصرفه هذا بصوت خافت، أو بمعنى أصح كانوا على وشك الضحك ولكن كتموا ضحكاتهم بصعوبة، ثم استدارت الملكة وأشارت إشارة ما فجلسوا جميعًا، وبذلك لم تخرج توماس كارليل، وهذا كان تصرفًا لطيفًا من الملكة يدل على رقتها".

وهنا علق "القمر البارد" تعليقاَ قصيراً فقال:

"بالنسبة إلى توماس كارليل، فإنه من النوعية التي لا تعبأ بأن يظل الجميع وقوفاً".

وأضاف "الجدى":

"إن تفكير الإنسان في نفسه كي يصير عطوفاً شيء ليس بسئ، وإن تطويع التفكير في النفس كي يحول الإنسان إلى شخص عطوف موضوع صعب يحتاج من الإنسان إلى بذل مجهود كبير، وإني أشفق على الإنسان الذي يحاول فعل ذلك، يُقال إنه مع تطور حياة البشر يتلاشى شعور الإنسان بصعوبة الحياة وتتحسن العلاقات بين البشر، ولكن يبدو أن هذا خطأ كبير، إذا كان الإنسان يفكر في فائدة نفسه إلى هذه الدرجة، فبالطبع لن تتحسن العلاقات بين البشر، إذا نظرنا إلى البشر من الخارج سوف نعتقد بأنه يوجد بينهم هدوء وسلام، ولكن في الواقع توجد بينهم مشكلات شديدة، إن الإنسان مثل لاعبي السومو (المصارعة اليابانية)، يقفان في منتصف الحلبة، يمسك كل منهما بحزام الآخر بكلتا يديه ولا يتحركا، من يراهما من بعيد يعتقد أنهما في قمة الهدوء والصفاء والعلاقات السلمية، ولكن بطن كل منهما يتحرك كحركة الأمواج القوية، يحاول دفع الآخر بشدة".

ثم استرسل فقال:

"وبالنسبة إلى المشاجرات، كانت المشاجرات في القديم تعتمد على استخدام العنف، ومع ذلك لم تُصنّف كجرائم، ولكن في

أيامنا هذه تطورت المشاجرات وصرنا نستخدم فيها أساليب أكثر مكرًا ودهاءً، ما جعل التفكير في النفس يزداد أكثر مقارنة بأيام زمان".

وهنا شعر البروفيسور الفشار أنه هناك من يريد الرد عليه، فقال متسرّعاً قبل أن يتحدث أحد آخر:

"الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون يقول إن الإنسان يستطيع أن يتحكم في الطبيعة إذا اتبع منهجها، وعلى هذا فإنك كي تنتصر في مشاجرة من مشاجرات اليوم يجب أن تتبع أسلوبها، فعلاً كلام بيكون صحيح جداً، إن المشاجرات مثل فنون القتال، يجب أن تستخدم فن القتال الذي يتناسب مع ما يستخدمه الطرف الآخر من فن".

فقال "القمر البارد":

"إنها مثل الطاقة الكهربائية (الطاقة الكهربائية المولدة من الماء)، بدلاً من الوقوف ضد قوة الماء، التماشي مع قوتها، أي استخدام سيرها في تحويلها إلى قوة كهربائية، وبذلك تكون مفيدة فائدة عظيمة للبشر".

وزاد "الجدى" على هذا التالي:

"لذلك الإفراط في التفكير في شيء يجعل الشخص مكبلاً بذلك الشيء، ولا يستطيع التفكير في شيء آخر، مثلاً عندما يفرط الفقير في التفكير في الفقر، فإن الفقر يجعله يصير مكبلاً بالتفكير في الفقر ولا يستطيع التفكير في غير الفقر، وهذا ينطبق على الإفراط في التفكير في الغنى أو التفوق أو السعادة.. إلخ، عندما

يفرط الشخص في شيء ينهزم من ذلك الشيء، مثلاً الإفراط في التفكير في الذكاء يؤدي إلى الهزيمة من الذكاء، والإفراط في التفكير في المعرفة يؤدي إلى الهزيمة من المعرفة، وعندما يفرط الأستاذ في التفكير في عصبته، فيتعصب فيخطئ فيصطاده عدوه".

وهنا ضحك البروفيسور الفشار وصفق للسيد "جدي"، ولكن الأستاذ ابتسم ابتسامة بدا عليها الضيق، ثم قال: "ولكن تنفيذ ما تقوله ليس أمراً هيناً، فأنا لا أستطيع التحكم في نفسي عندما أصير عصبياً".

وهنا ضحك الجميع معاً.

فقال "البروفيسور الفشار":

"إذاً، كيف تنهزم عائلة أبو الذهب؟"

فقال "الجدي":

"الزوجة تنهزم من منخارها، والزوج من أعماله السيئة، وأتباعه من التحرى الخاص، أى الجاسوسية".

البروفيسور الفشار:

"وماذا عن ابنته؟"

"الجدي":

"ابنته! لم يسبق لى أن قابلتها، ولذلك لا أستطيع أن أقول كلاماً أكيداً، ولكن غالباً من الملابس والطعام واحتساء الخمر

بكثرة، واحتمال ضعيف من الحب، وربما تسقط في الشارع وتموت مثل الميته المشهورة للسيدة صوطو باقو ماتشي".

فقال "رياح الشرق" معترضاً على هذا التشبيه، خاصة أنه مدحها منذ قليل بقصيدة شعر ياباني حديث:

"هذا كلام فظيع".

فقال "الجدى" كأنه أوتي الحكمة، وكان يتحدث بصوت خافت كأنه يتحدث إلى نفسه:

"ابتعد عن الشهوات، تصفُ نفسك".

فقال البروفيسور الفشار:

"لا تتفاخر بنفسك بكلام مثل هذا، ربما تنهزم أنت من مقولتك الشهيرة، مقولة: ضربك لي بالسيف كسقوط الصاعقة على الرياح".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" فجأة:

"على كل حال، أنا لا أريد أن أعيش إلى اليوم الذي أشاهد فيه كل شخص أنانيًا، يفرط في التفكير في فائدة نفسه".

فألقي البروفيسور الفشار كلمة سريعة وقاطعة، إذ قال:

"لن يتوسل إليك أحد ألا تموت، تفضل".

فرد سيدي الأستاذ "عطسة" بلامح وجه فظة:

"الموت أكثر كرهًا لي من الحياة حتى أشاهد ذلك اليوم".

فقال "القمر البارد" قولاً بارداً:

"عندما يقترب الإنسان من أن يولد لا يشعر بالخوف من الولادة، ولكن عندما يقترب من أن يموت يشعر بالخوف من الموت".

وفي موقف كهذا فإن السريع في الرد هو البروفيسور الفشار، فقد قال:

"هذا مثل عند اقتراض المال لا نشعر بضيق، ولكن عند سداده نشعر بضيق".

فقال "الجدى" وهو يسمو عن هذا العالم الممتلئ بالمشكلات:

"إذا كان مَنْ لا يفكر في تسديد دينه يشعر بالسعادة، فإن من يقترب من الموت ولا يشعر بالخوف سعيد".
فقال سيدي الأستاذ "عطسة":

"يبدو أنك تريد أن تقول إننا كي نتعامل مع الناس بحكمة يجب أن نتعامل معهم ببرود، فنتجاهل أقوالهم وتصرفاتهم".
"الجدى":

"نعم، هو كذلك، في مذهب زن يجب أن تكون بارداً جداً ولا تنفعل مهما يقولون أو يفعلون".

البروفيسور الفشار:

"وهل أنت نموذج لذلك؟"

"الجدى":

"لا، لست كذلك. ولكنى بدأت أشعر بالخوف من الموت، بعد أن اكتشفوا أن هناك مرضًا اسمه ضعف الأعصاب، أخشى أن أموت بسبب هذا المرض".

"البروفيسور الفشار":

"ولكنك موجود في هذه الحياة قبل اكتشاف المرض".

وبالنسبة إلى سيدي الأستاذ "عطسة" و"القمر البارد" و"رياح الشرق" فقد تفرغوا للحديث عن مساوئ التقدم، في حين استمر البروفيسور الفشار و"الجدى" في هذا الجدل الغريب.

البروفيسور الفشار:

"الإنسان يفكر في كيفية عدم رد المال الذي يقترضه، أليس كذلك؟"

"الجدى":

"نعم، ليس كذلك".

البروفيسور الفشار:

"كلامى له دلالة عميقة، ولذلك استمع إلى النهاية دون أن تقاطعنى. إن الإنسان يشعر بالضيق من رد المال الذي يقترضه، وهذه مشكلة له، ولذلك يفكر في كيفية عدم رده، وهذه المشكلة مثل مشكلة أن الإنسان يخشى مواجهة الموت بسبب الألم عند الموت، ولذلك فكر في كيفية عدم الموت، وهذا جعله يفكر في اختراع أكسير الحياة كي يجعل الشباب والحياة يستمران

إلى ما لا نهاية، ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل، واتضح أنه يجب أن يموت مهما حاول أن يعيش إلى ما لا نهاية".
"الجدى":

"ولكن ذلك كان واضحًا قبل اكتشاف الكيمياء التي استخدمها الإنسان في محاولة صنع إكسير الحياة".
البروفيسور الفشار:

"كلامى هذا له دلالة عميقة، ولذلك استمع إلى النهاية دون مقاطعة، الخوف من مواجهة آلام الموت كان المشكلة الأولى للإنسان ولكنه لم يستطع حلها بالحل الأول، ألا وهو إكسير الحياة، ولذلك لم يكن أمامه إلا الحل رقم اثنين".
"الجدى":

"وما هو الحل رقم اثنين؟"

البروفيسور الفشار:

"إذا كان لا مفر من مواجهة الموت، فالحل رقم اثنين هو الموت بطريقة لا تجعل الإنسان يشعر بألم عند مواجهة الموت، ألا وهى الانتحار، ولذلك ظهر نادٍ اسمه نادى الانتحار، وأعضاء هذا النادى هدفهم حل مشكلة الخوف من مواجهة آلام الموت، وذلك بالانتحار".

"الجدى":

"نعم".

"الموت ألم، ولكن إذا لم نمت سوف نتألم أكثر، وبالنسبة إلى من أعصابهم ضعيفة فإن الحياة آلام شديدة إذا قارناها بالموت، الموت آلام ولذلك لا يريد أحدهم أن يعاني تلك الآلام، ولذلك يفكرون في أكثر طرق الموت راحة، ولكن أكثر المرضى بضعف الأعصاب لا يتصفون برجاحة العقل والحكمة، ولذلك لا يحاولون حل هذه المشكلة، بل ينتظرون الموت على أن يأتي بطريقة طبيعية، ورغم ذلك يقوم المجتمع بمضايقتهم، ما يؤدي إلى موتهم مما يسببه لهم المجتمع من آلام، ولأنهم لا يريدون أن يموتوا بسبب آلام المضايقات من المجتمع، يقومون بعمل بحوث كثيرة عن طرق الموت وينشرون تلك البحوث على الناس كي يقترحوا عليهم أفضل طرق مريحة لمواجهة آلام الموت، ولذلك يتجه العالم من الآن فصاعداً إلى الانتحار، فعدد المنتحرين يزداد، وأكد أن كلاً منهم يفكر في طريقة مبتكرة في الرحيل عن هذا العالم بطريقة مريحة".

"الجدى":

"العالم صار في خطر كبير".

"فعلاً، وسوف يكون أخطر في المستقبل، ففي سيناريو كتبه المؤلف المسرحى الإنجليزي هنرى آرثر چونز، تحدث عن فلاسفة يؤيدون بشدة الانتحار".

"الجدى":

"الانتحار؟"

البروفيسور الفشار:

"للأسف غالبنا لا يفعل ذلك، ولكن أكيد بعد ألف سنة من الآن سوف يموت جميع الناس عن طريق أن ينتحروا، وفي خلال عشرة آلاف سنة لن يستطيع الناس التفكير في الموت إلا بالانتحار".

"الجدى":

"سوف يكون وضعًا خطرًا جدًا".

البروفيسور الفشار:

"نعم سيكون كذلك، بالتأكيد سيكون كذلك، ولذلك فإن البحوث عن الانتحار زادت جدًا، وصار الانتحار علمًا كبيرًا، وسوف يُدرّس علم الانتحار في المدارس مثل مدرسة قصر السحب الساقطة كمادة رسمية بمجموع، بدلاً من مادة الأخلاق".

"الجدى":

"شيء غريب، لقد جعلتني أتشوق لحضور ندوات عن ذلك. وهل سمعت ما قاله الأستاذ عن تلك المدرسة؟"

البروفيسور الفشار:

"سمعت، وسوف يأتي الوقت الذي يقول فيه أستاذ مادة الأخلاق في مدرسة قصر السحب الساقطة الآتي:

أيها التلاميذ، يجب عليكم ألا تتمسكوا بالسلوكيات والعادات والمعايير القديمة للأخلاق، أنتم كجزء من شباب العالم يجب عليكم أن تفكروا أولاً في الانتحار، حب للآخرين ما تحبه لنفسك، حب أن يحدث للآخرين، ولذلك فكروا في الانتحار بطريقة منفتحة وطوروا فكرته، وذلك بقتل الآخرين، فبالنسبة إلى العالم غير العالم بشيء -وأقصد به الأستاذ عطسة- فإنه يشعر بالمعاناة ويتألم أنه حي، ولذلك يجب عليكم أن تقتلوه بسرعة على قدر المستطاع، ولكن نحن الآن بلد متحضر وليس مثل بلدنا في الزمن القديم، ولذلك يجب ألا تستخدموا في قتله طرقاً وضيعة مثل استخدام حربة أو سيف أو أشياء تطلقونها عليه من بعيد كالسهم، استخدموا في قتله طريقة فكرية راقية، فإن قتله بطريقة مضايقته طريقة فكرية رفيعة المستوى وفي الوقت نفسه فإنها طريقة رحيمة له أيضاً، وسوف تكون طريقة تفتخرون بها".

"الجدى":

"طريقتك في إلقاء محاضرة مشوقة جداً".

البروفيسور الفشار:

"ما زال هناك ما سوف يدهشك، في عصرنا الحالي الهدف الأول للشرطة حماية أرواح وممتلكات المواطنين، ولكن سوف

يأتي الوقت الذي تقوم الشرطة بالمرور في الشوارع لقتل المواطنين بعضا كما يفعلون الآن مع الكلاب".

"الجدي":

"لماذا يفعلون ذلك؟"

البروفيسور الفشار:

"لماذا؟ لأن حياة المواطنين بالنسبة إليهم مهمة ولذلك تهتم الشرطة بحماية حياتهم، ولكن في المستقبل سوف يشعر المواطنون بالمعاناة والآلام بسبب الحياة، ولذلك سوف تقوم الشرطة بقتلهم كي يرحموهم من معاناتهم وآلامهم، ولكن الشخص الحساس سوف يقوم من تلقاء نفسه بقتل نفسه، أي بالانتحار بدلاً من انتظار أن تقتله الشرطة، ولكن من ينتظر الشرطة كي يقتلونه فهو إنسان ضعيف الإرادة جداً، وغبي لا يمتلك المقدرة على قتل نفسه أو معاق، يضع ورقة على باب منزله يطلب فيها من الشرطة قتله، سواء أكان رجلاً أم امرأة، وتحضر الشرطة عندما تستطيع، ويقتلونه طبقاً لغربته، وبالنسبة إلى الجثة، تقوم الشرطة بنقلها بسيارة وإلقائها في المكان الذي يروونه مناسباً، وهناك شيء مدهش آخر وهو..."

وهنا قاطعه "رياح الشرق" باهتمام شديد:

"من الواضح أن مزاحك ليست له حدود ولا نهاية".

وهنا تدخل "الجدى"، فتحسس لحيته التى تشبه لحيّة الماعز وقال بهدوء:

"ربما نستطيع أن نطلق على ما قاله البروفيسور الفشار مزاحًا، ولكن ربما لا يكون مزاحًا، مَنْ لا يعرف حقائق الأمور ولا يملك الحكمة ورجاحة العقل، لا يفكر إلا فى العالم الذى يعيش فيه فقط، فتفكيره يكون مقيدًا بذلك العالم فقط، ولذلك عندما يستمع إلى كلام ليست له علاقة بحالته بواقعه الذى يعيش فيه، يعتقد أن ذلك مزاح أو هراء".

فقال "القمر البارد" بإعجاب بما قاله "الجدى":

"ضيق الأفق لا يستطيع فهم رَحْب الأفق".

فانفجرت أسارير وجه "الجدى" دلالة على الموافقة على كلام "القمر البارد"، ثم استرسل فى حديثه فقال:

"كان يوجد فى إسبانيا مكان اسمه قرطبة".

البروفيسور الفشار:

"أليس موجودًا حتى الآن؟"

"الجدى":

"ربما ما يزال موجودًا، المهم أنه كانت هناك عادة لأهل ذلك المكان، وهى عند سماع أجراس الكنيسة وقت غروب الشمس، كانت تخرج جميع السيدات من منازلهن معًا ويذهبن ليستحمنن فى النهر".

البروفيسور الفشار:

"حتى في الشتاء؟"

"الجدى":

"لا أعرف بدقة إن كن يستحممن في النهر في الشتاء أم لا، وكن يستحممن معًا في النهر بصرف النظر عن السن إذا كن شابات أو مسنات، أو المستوى الاجتماعي إذا كن فقيرات أو غنيات، ولا لم يكن مسموحًا للرجال بنزول النهر معهن، ولكنهم كانوا يشاهدونهن من بعيد، وبما أنهن كن يستحممن في وقت الغروب حين الرؤية غير واضحة، فكان الرجال يشاهدون بصعوبة جلودًا بيضاء تتحرك ببطء على سطح النهر".

وإذا بالسيد "رياح الشرق" عندما سمع كلامًا عن أجسام عارية يهتم بمضمون الكلام فجأة ويقترب كي يسمع جيدًا ويقول:

"كلام شعري، كلام يصلح أن يصير شعرًا حديثًا، ما اسم المكان الذي حدث فيه ذلك؟"

"الجدى":

"قرطبة، حتى الصغار في هذه المدينة لا يستطيعون الذهاب مع النساء كي يستحموا معهن، وللأسف أكثر من ذلك لا يُسمح لهم حتى بمشاهدتهن من بعيد، ولكن الصغار يتحايلون على ذلك".

وعندما سمع البروفيسور الفشار كلمة "تحايل" بدت على وجهه السعادة وقال:

"ماذا؟ كيف يتحايلون؟"

"الجدى":

"يرشون عامل ضرب جرس الكنيسة، كي يضرب الجرس قبل موعد الغروب بساعة، وعندما تسمع النساء صوت الجرس، يتجمعن عند النهر ويقفنن بملابسن الداخلية في النهر، وبالطبع تمكن مشاهدتهن جيداً لأن الوقت ليس وقت الغروب".

البروفيسور الفشار:

"أكيد في أيام الخريف يكون الضوء ساطعاً جداً وتمكن مشاهدتهن بوضوح تام".

"الجدى":

"وعندما ينظرن ناحية الجسر يجدن رجالاً كثيرين يقفون فوق الجسر المقام فوق النهر، فيشعرن بالخجل وتحمر وجوههن خجلاً، ولكن ليس بأيديهن شيء يفعلنه".

البروفيسور الفشار:

"ثم ماذا؟"

"الجدى":

"ثم ما أريد أن أقوله، أن العادات -وخاصة العادات القديمة- تعمى الإنسان عن التفكير في الصواب، فينسى القيم الأساسية للحياة، ويجب علينا أن نتنبه لتلك القيم ونتمسك بها".

"نعم، خطبة عظيمة، وأنا أيضاً عندي حكاية عن العادات التي تضلل الناس عن الصواب. منذ عدة أيام قرأت مجلة، كانت تحتوى على قصة بوليسية، دعنا نتخيل أنني أملك متجر أنتيكات، وفي مدخل المتجر منتجات مثل لوحات لفنانين كبار، ومتعلقات المشاهير، بالطبع ليست أشياء مقلدة، أشياء أصلية، منتجات عالية الجودة، وليس هناك أدنى شك في أن تكون مقلدة.

وبما أنها منتجات عالية الجودة، طبعاً أن تكون مرتفعة الثمن، وهنا جاء زبون مولع بالأنتيكات وسألني عن لوحة معروضة في متجرى للرسام المشهور في القرن الخامس عشر موطونوبو، قائلاً:

كم سعر هذه اللوحة؟

فقلت:

ستمئة ين.

فقال:

أرغب في شرائها، ولكن للأسف لا أملك هذا المبلغ الكبير."

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" الذي لا يجيد فن الكلام سواء من ناحية المعنى أو الإلقاء:

"هل ما قاله ذلك الزبون جملة معروفة يتم استخدامها في حالة رفض الشراء؟"

فقال البروفيسور الفشار بوجه جاد:

"إن ما أقول مجرد حكاية افتراضية". ثم قال البروفيسور الفشار:
"فقلت له كبائع:

إذا كانت أعجبتك فخذها وليس مهمًا المال.

فبدأ على الزبون الارتباك ثم قال:

لا أستطيع قبولها دون دفع ثمن، سوف أشتريها بالتقسيط
الشهري، سوف أدفع قليلاً كل شهر على مدة طويلة، ولكن
أرجو ألا يُسبب لك ذلك مشكلة.

فقلت بثقة:

ليست هناك أى مشكلة، ما رأيك أن تدفع كل شهر عشرة
ينات؟

ثم تحدثنا قليلاً في التفاصيل، وفي النهاية بعت له اللوحة
بستمئة ين بتقسيط شهري عشرة يينات".

البروفيسور الفشار:

"الموضوع كأنك تشتري الموسوعة البريطانية بطريقة شراء
صحيفة التايمز بالدفع باشتراك شهري، وهنا تبدأ الخدعة
الخبیثة، اسمعوا جيداً، عندما تدفع كل شهر عشرة يينات فمتى
تنتهى من سداد ستمئة ين؟ يا قمر".

"القمر البارد":

"طبعًا خمس سنوات".

البروفيسور الفشار:

"وهل خمس سنوات مدة طويلة أم مدة قصيرة؟ ما رأيك يا جدى؟"

"الجدى":

"قد تكون قصيرة أو طويلة، الإحساس بمرور الوقت يختلف من شخص إلى آخر".

البروفيسور الفشار:

"ماذا تقول؟ إجابة غير واضحة كأنها عنوان محاضرة".

معنى أن تدفع كل شهر عشرةينات لمدة خمس سنوات أى تدفع ستين مرة، إنها خدعة خبيثة، خدعة تعود الدفع، لأنك تكرر الفعل نفسه مدة ستين مرة، فتتعود الدفع، وبالتالي بعد تعود دفع ستين مرة، سوف تشعر بالرغبة في دفع المرة الحادية والستين أو المرة الثانية والستين أو الثالثة والستين، أى كلما جاء موعد الدفع، إذا لم تدفع لا تشعر براحة من عدم الدفع، الإنسان ذكى ولكن العادة أكبر نقطة ضعف فيه، تعود فعل شيء يجعله مكبلاً بهذه العادة، وبالتالي لا يفكر في أشياء أخرى هامة في الحياة، ولكن بالنسبة إلىّ فإن عادته هذه شيء

جيد لي، لأنني كبائع سوف أحصل باستمرار على عشرة ينيات كل شهر حتى بعد انتهاء الستين مرة".

فضحك "القمر البارد" بشدة وقال:

"ليس معقول أن هناك من ينسى إلى حد أن يدفع أكثر من اللازم".

حينئذٍ قال سيدي الأستاذ "عطسة" بهدوء:

"لا، فعلاً هناك من ينسى ويظل يدفع أكثر من المطلوب، أنا كنت أسدد مصروفات الجامعة على أقساط شهرية، وظللت أسدد الأقساط دون أن أعرف ما سددت وكم المتبقى، وظللت أفعل ذلك إلى أن جاءني خطاب من الجامعة يقول إنني سددت جميع الأقساط وإنني أرسلت مبالغ مالية أكثر من المطلوب".

قال سيدي الأستاذ "عطسة" هذا أمام الجميع، معتقداً أن ما فعله ليس عملاً مخجلاً، لأنه لا يحدث له فقط بل يحدث لكل الناس.

البروفيسور الفشار:

"هل سمعتم! حتى هنا هناك من يفعل ذلك، ولذلك البعض سخر وضحك مما قلته منذ قليل عما سيحدث للناس في المستقبل القريب، هؤلاء مخطئون، لأنهم مثل من يدفعون أقساطهم لمدة ستين شهراً ولكنهم يظلون يدفعونها طيلة أعمارهم، ولذلك يجب على من لهم خبرة قليلة في الحياة --مثل الشاب رياح الشرق والشاب القمر- أن ينصتوا إلى ما نقوله نحن كبار السن، كي لا ينخدعوا".

"القمر البارد":

"سمعًا وطاعة، سوف أدفع القسط على ستين مرة فقط لا غير".

فنظر "الجدى" إلى "القمر البارد" وقال:

"كلام البروفيسور الفشار يبدو كأنه طرفة ولكن في الواقع كلام عميق يجب التفكير فيه بعناية".

ثم استرسل:

"مثلًا لقد قال لك الأستاذ والبروفيسور الفشار إنك تزوجت دون علم أحد، وهذا كان تصرفًا غير صائب، والمفروض على الأقل أن تُخبر أبو الذهب بأنك سوف تتزوج وتعتذر له عن عدم زواج ابنته، ونصحاك أن تذهب وتعتذر له عن أنك تزوجت فتاة أخرى، فماذا سوف تفعل، هل سوف تعتذر له؟"

"القمر البارد":

"أنا لا أريد الاعتذار له، أما إذا كان أبو الذهب يريد الاعتذار لي عن أن ابنته لن تتزوج بي فليفعل، هذا شأن خاص به".

البروفيسور الفشار:

"وإذا أمرتك الشرطة أن تعتذر ماذا ستفعل؟"

"القمر البارد":

"سوف أرفض أكثر".

البروفيسور الفشار:

"وماذا ستفعل إذا أمرك وزير أو أمير؟"

"القمر البارد:"

"سوف أرفض أكثر وأكثر."

"الجدي:"

"انظروا، لقد تغير الناس الآن عن زمان تغييراً كبيراً، زمان كان للكبير احترام وكان الأصغر ينفذ ما ينصح به الكبير، ولكن الآن لم يعد هناك احترام للكبير ولا اهتمام بما يقول، لقد صار الوزير والخفير على المستوى نفسه، لقد صرنا في زمن لم يعد هناك تقدير ولا احترام ولا هيبة لطبقة عن طبقة، وبصراحة شديدة، لقد صرنا في زمن كلما ارتفع مقامك شعر مَنْ هو أقل منك مقاماً بأنه أعلى منك مقاماً وبالتالي يتعمد معارضتك، زمن الحاضر اختلف عن زمن الماضي كثيراً، صرنا في زمن حدثت فيه ظاهرة جديدة، ظاهرة إذا كنت كبيراً لن يأبه أحد لكلامك لأنك كبير. وهذه ظاهرة لم يكن ناس زمان يستطيعون تخيل أن تحدث يوماً ما، ولكنها الآن تحدث، وصارت شيئاً عادياً، يتغير البشر من زمن إلى آخر إلى درجة تجعل الشخص يشعر بالدهشة والتعجب، وأكد أن ما قاله البروفيسور الفشار عن المستقبل من ناحية موضوع الانتحار مجرد مزاح لا أكثر، ولكن ما يشير إليه من كلامه بأن البشر يتغيرون إلى الأسوأ وهم لا ينتبهون لذلك، كلام له معنى كبير يوجب التفكير فيه وأخذ العبرة منه."

"ظهور مَنْ يقدّر كلامى ويتفهم أهميته أسعدنى وجعلنى أرغب فى استكمال حديثى عما أتوقع حدوثه فى المستقبل القريب، وكما قال الجدى إن الناس الذين يتخيلون الآن أن ارتفاع وضعهم أو امتلاكهم القوة سوف يجعلهم يحققون ما يريدون بالضغط، رغمًا عن رفض الأقل منهم مكانة أو قوة، ناس عقولهم متحجرة، تحجرت على فكرهم القديم الذى لم يعد يناسب هذا الزمن، إنهم مثل من يريد أن يركب سلة ويسابق قطارًا فيسبقه، مَنْ يفكر بهذه الطريقة غبى ولص، كان ممكن أن أفكر فى ذلك وأصمت ولا أتحدث عنه، بل أشاهد ما يحدث فى صمت، ولكن أعتقد أن نظرتى عن المستقبل ليست عن مشكلة صغيرة تخص القليل، بل هى مشكلة عامة عن البشر ككل، عن ظاهرة اجتماعية بالنسبة إلى حياة البشر ككل، ولذلك تحدثت عنها.

وعندما نفكر بعمق فى حاضر الإنسان، نستطيع أن نتخيل ماذا سيحدث من تغيرات فى المستقبل البعيد للإنسان، مثلاً الزواج سوف يصير مستحيلًا، لا تتعجبوا، نعم الزواج سيصير مستحيلًا، والسبب فى الآتى: كما ذكرت سابقًا أن عالمنا الحالى عالم الانغماس فى التفكير فى النفس، رب العائلة ممثلها، والمحافظ ممثل المحافظة، والحاكم ممثل الدولة، وليست هناك أهمية لأى شخص غير الممثل، وحتى لو كان مهمًا، لا أحد يعترف بأهميته، ولكن ذلك سوف يتغير تمامًا، سوف يعمل كل شخص على التفكير فى نفسه بلا حدود، وسوف يرى كل شخص الآخر

فيقول له أنت أنت وأنا أنا، وعندما يتقابل شخصان سوف يقول كل شخص في داخله للآخر:

أنت إنسان ولكنى أنا أيضًا إنسان.

ولن يعير أحدهما الآخر اهتمامًا، إنها طريقة تحدُّ يتحرش بها كل شخص بالآخر كي يتشاجر معه، سوف يصير التفكير في النفس قويًا إلى هذه الدرجة، وكلما صارت المساواة بين الناس قوية، ضعف الفرد، فمعنى ألا يستطيع آخر إيدائك أنك صرت قويًا، ولكن معنى أنك لا تستطيع إيداء من هو أعلى منك يعنى أنك ضعيف، وهذا يعنى أنك صرت أضعف من ناس زمان، والفرد يشعر بالسعادة إذا صار قويًا، ولكن يشعر بعدم الرضا إذا صار ضعيفًا، فلو سلبت من الإنسان ولو شعرة واحدة من رأسه فإنه يدافع عنها بكل ما أوتي من قوة، ولكن في الوقت نفسه عندما يسلب من آخر ولو نصف شعرة من شعر رأسه، فيظهر ضعفه رغمًا عنه، وهكذا لن تكون هناك سعة صدر بين الإنسان والآخر، بل احتكاك بعضهم ببعض، فيشعر الفرد بالقلق والتوتر والضييق وعدم الطمأنينة لدرجة الامتلاء، ويؤدي تضخم تلك المشاعر السلبية إلى الشعور بالضييق، وعندما يشعر بالضييق فسوف يلجأ إلى شتى السبل للتباعد عن الآخرين.

وهكذا فإن ما يصيبكم من شر أعمالكم، فإن الإنسان سوف يشعر بالمعاناة من سوء أفعاله، وكى يتخلص الإنسان من هذه المعاناة اقترح أن يعيش الأبناء في منازل خاصة بهم وليس مع الوالدين، ولكن إذا ذهبنا إلى قرية بدائية داخل الجبال

في اليابان، سوف تجد أن أفراد العائلة يعيشون معًا، ولا يفترق أحد في الاهتمام بنفسه، وحتى إذا كان هناك موقف يوجب أن يفكر الشخص في نفسه بطريقة أنانية، فإنه لا يفعل، ولذلك تسير الحياة بطريقة طبيعية سلسة، ولكن بالنسبة إلى الناس المتحضرين، فإنهم يعتقدون أنك يجب أن تكون أنانيًا وتفكر في نفسك على قدر المستطاع، حتى في الأمور التي بين الوالدين والأبناء، يجب على الوالدين أن يفكروا في نفسيهما بأنانية، وكذلك الأبناء يفكرون في أنفسهم بأنانية، ولذلك كي يستمر السلام بين الوالدين والأبناء يجب على الأبناء أن يعيشوا في منازل غير التي يعيش فيها الآباء.

وبما أن أوروبا متقدمة عن اليابان، فإن نظام انفصال الأبناء عن الآباء في العيش في مساكن منفصلة قد تم، وفي حالات قليلة جدًا في أوروبا تجد آباء وأبناء يعيشون معًا، ولكن إذا اقترض الابن مالاً من أبيه فإنه يقترضه بفائدة، ويدفع معه إيجار المسكن كأنه شخص غريب، وإذا احترم الوالدان حرية أن تكون للابن شخصيته المستقلة فيمكن أن يستمر الأبناء في الإقامة مع الآباء ويتحول ذلك إلى عادة جيدة، وعمومًا في أوروبا الأقارب يعيشون منفصلين والأبناء يعيشون منفصلين، وهذا يؤدي إلى تطوير شخصية الأبناء، وبالتالي يزداد تقدير الوالدين لأبنائهما من يوم إلى آخر دون حدود، ويجب على اليابانيين أن يأخذوا تلك الطريقة من أوروبا، ولكن ذلك لا يحدث الآن في اليابان، فالوالدان والأولاد يعيشون معًا، ما يجعل الحياة بالنسبة إلى الجميع غير مريحة.

ولكن بما أن الآباء والأبناء يعيشون الآن في مساكن منفصلة في الغرب، فربما يعتقد البعض أنه لا انفصال أكثر من ذلك بين الأسرة، ولكنى أتوقع أن ينفصل الزوج والزوجة أيضًا، وفي الحاضر نحن في اليابان نعتقد أن الزوج والزوجة هما الشخصان اللذان يعيشان معًا، ولكن هذا سوء فهم كبير، كي يعيش الزوج والزوجة معًا يجب على كليهما أن يجعل شخصيته تتوافق مع شخصية الآخر، وزمان كان هذا يحدث ولم يكن أحد يجعل موضوع توافق الشخصية مشكلة، وكانوا يقولون:

الزوجان روح واحدة في جسدين مختلفين

وأن الزوجان في الظاهر يبدو للعين أنهما شخصان ولكن في الباطن هما شخص واحد، ولذلك يقولون إن الزوجين هما الشخصان اللذان يعيشان معًا ويشيخان معًا وبعد الموت يدفنان في القبر نفسه معًا، وحتى إذا ماتا تخرج من قبرهما روح واحدة، ولكن طبعًا هذا كلام ناس متخلفين.

اختلفت الدنيا الآن، ولم يعد هناك من يؤمن بذلك، فالزوج وزوج والزوجة زوجة، فحتى لو ارتدت الزوجة زى معهد النساء وذهبت للتعلم في ذلك المعهد، وعملت على تكوين شخصية قوية لها، ووصفت شعرها بطريقة حديثة، فلن تصير كما يريد زوجها أن تكون أبدًا.

والزوجة التي تصير كما يريد زوجها ليست زوجة ولكن دمية يحركها زوجها كما يريد، وكلما كانت الزوجة ذكية تتغير شخصيتها بسرعة وتصير شخصية مستقلة، وكلما صارت لها شخصيتها المستقلة زادت درجة عدم التوافق بينها وبين زوجها،

وإذا زادت درجة عدم التوافق مع زوجها طبعاً أن يحدث بينهما تصادم، ولذلك فإن الزوجة التي يُقال عنها زوجة ذكية تكون دائماً الصدام مع زوجها من الصباح إلى المساء، وكلما كانت الزوجة ذكية زادت درجة المتاعب بينها وبين زوجها، وكما أن الاختلاف بين الماء والزيت يكون واضحاً حتى لو كانا مختلطين، فإن الاختلاف بين الزوج والزوجة يكون واضحاً كماختلاف الماء والزيت، وحتى إذا حدث هدوء سطحي لخليط الماء والزيت، فإنه في الداخل تحدث حركات في كل منهما، ما يؤدي إلى فوران ارتفاعاً وانخفاضاً كزلزال كبير، وهذا دائماً يحدث بين الزوجين، وعليه يشعر الزوجان أن الحياة معاً في مسكن واحد تؤدي إلى خسارة لكل منهما، فيتغير كل منهما تدريجياً و..."

فقاطعه "القمر البارد" قائلاً:

"وينفصل الزوجان، شيء مقلق".

واسترسل البروفيسور قائلاً:

"ينفصلان، أكيد انفصالان، سوف انفصل جميع الأزواج في أي مكان في الدنيا، كان المجتمع ينظر إلى الزوجين على أنهما من يعيشان معاً، ولكن من الآن فصاعداً سوف ينظر المجتمع إلى الزوجين اللذين يعيشان معاً على أنهما ليس لهما الحق في أن يعيشا معاً".

فقال "القمر البارد" وبدا عليه الشعور بالخطر على ما يجمعه بزوجته من علاقة حميمة:

"وبناء على كلامك سوف ينظر الناس إلى شخص مثلى يعيش مع زوجته على أنه يفعل ما لا يجب فعله".

البروفيسور الفشار:

"أنت سعيد أنك ولدت في هذا العصر، الذى هو عصر الإمبراطور ميچى، ولكنى أتحدث عن نظيرتى فى ما سوف يحدث فى المستقبل، فعقليتى متقدمة عدة خطوات عن تفكير الناس فى عصرنا هذا، ولذلك فأنا اخترت أن أظل عزبًا كما أنا، والغريب أن الناس الذين أحبوا ولم يستطيعوا الزواج بمن أحبوهم يندبون حظهم ويشكون مما حدث لهم، ولكن فى الواقع تفكيرهم بهذه الطريقة تفكير سطحى، وهذا يجعلنى أشفق عليهم، إنهم مساكين.

وعلى كل حال دعونى أستمر فى شرحى لنظيرتى عما سيحدث فى المستقبل. لقد ظهر أحد الفلاسفة الكبار فجأة كأنه جاء من السماء وقدم نظرية جديدة فريدة لم يقدمها أحد قبله، فقد قال إن الإنسان حيوان له شخصية خاصة به، وإذا لم تستمر شخصيته الخاصة به فسوف يفنى الجنس البشرى، وكى يكون للإنسان جوهر يجب أن يدفع الثمن كى يحافظ على شخصيته ويطورها، وقد تقيد الإنسان بالعادات السيئة التى جعلته يتزوج، فالزواج عادة سيئة ضد طبيعة الإنسان، وتعوقه عن التطور، وإن عدم إعادة التفكير فى أضرار الزواج واعتبار الزواج شيئًا طبيعيًا وجهة نظر غير صائبة، ولكن الآن وصل

تطور الإنسان إلى درجة كبيرة، ولم يعد هناك سبب منطقي كي نحاول أن نجعل شخصيتين تتقاربان ترتبطان وتتصلان إحداهما بالأخرى إلى درجة غير عادية، أي لا أهمية للزواج، ورغم أن أسباب عدم منطقية الزواج واضحة فإن الشباب غير المتعلم من الجنسين ينحدر بمشاعره إلى التفكير في أشياء مبتذلة مثل الجنس فيتزوج، وهذا تصرف ليست له علاقة بالأخلاق ولا بالمنطق، وكى نحافظ على إنسانيتنا وكى نحافظ على حضارتنا وثقافتنا وكى نحافظ على الشخصية الخاصة بالشباب والشخصية الخاصة بالشابة يجب أن نعارض بكل ما استطعنا من وسائل المعارضة تلك العادة غير المتحضرة، تلك العادة البربرية المسماة بالزواج".

وهنا تدخل "رياح الشرق" فضرب بكف يده على ركبته وقال بكل ثقة:

"أنا ضد هذه النظرية تمامًا، من وجهة نظري أن أهم ما فى هذه الحياة الحب والجمال، ولا يعلو عليهما شيء آخر، هما أقيم وأثمن ما فى هذه الدنيا، بفضلهما نحن نشعر فى هذه الدنيا بالراحة والرضا والسعادة، بفضلهما تصير مشاعرنا جميلة وتصبح أخلاقنا نبيلة، ونشعر بمشاعر الآخرين، ولذلك لا يمكن لنا نحن البشر أن نتخلى عن الحب والجمال، بصرف النظر عن العصر الذى نولد فيه، والحب يظهر فى الحياة الواقعية فى شكل الزواج، والجمال يظهر فى شكل الشعر والغناء والموسيقى، وعليه فما دام الإنسان يعيش فوق سطح الأرض، فإن الزواج والفن لا يمكن أبدًا أن ينتهيا ويحدث لهما فناء".

"شئ جميل إذا لم تفنّ البشرية، ولكن الفيلسوف الذى ذكرته منذ قليل قال إن الناس فى المستقبل سوف يتوقفون عن الزواج، أى أن الزواج سوف يفنى، وعليه فليس هناك ما نستطيع فعله، ولذلك يجب أن تتراجع عن وجهة نظرك، أما بالنسبة إلى الفن، فسوف يكون مصيره مصير الزواج، فإن تطور الشخصية يعنى الحرية الشخصية، كى تتطور الشخصية يجب أن تكون هناك حرية شخصية، ومعنى الحرية الشخصية أن أنا وأنت أنت، وبالتالي لن يستمر الفن، فلكى يزدهر الفن يجب أن يكون هناك توافق بين شخصية الفنان وشخصية متلقى الفن، مثلاً أنت تقرض شعراً حديثاً يقرؤه قراء يستمتعون به، أى هناك توافق بينك وبينهم، ولكن لو صار لكل فرد شخصيته الخاصة التى تختلف عن الآخر لن تجد أى شخص يقرأ شعرك إلا أنت فقط، فمهما تقرض من شعر ولا يوجد قراء، فلا معنى لذلك كأنك لم تقرض شعراً، ولذلك يجب أن تشعر بالسعادة أنك ولدت فى هذا العصر، لأنك تجد كثيراً من القراء الذين يحبون قراءة شعرك..."

"رياح الشرق:"

"أنت تبالغ، الواقع ليس هكذا بهذه الدرجة."

البروفيسور الفشار:

"إذا كنت تعتقد أن ما أقوله لا ينطبق على الواقع الحالى، فسوف ينطبق على الواقع فى المستقبل، فبعد أن ظهر الفيلسوف

الكبير الذى أعلن نظريته، نظرية عدم الزواج، لن تجد من يتزوج أو يقرأ فى المستقبل، ولن يقرأ شعرك أحد، ليس بسبب موقف شخصى ضدك، ولكن لأن كل شخص سوف تكون له شخصيته المختلفة عن الآخرين، أنا أنا وأنت أنت، الإفراط فى الفردية، سوف يجعل الشخص لا يحب أن يقرأ شعرك أو شعر الآخرين، وفى الواقع لقد بدأت تلك الظاهرة الآن فى إنجلترا، فلقد بدأ يحدث هذا بالنسبة إلى بعض الروايات المشهورة للروائيين الإنجليز، وذلك بسبب ظهور الفردية لهؤلاء الروائيين فى روايتهم هذه. انظر إلى الروائى والشاعر جورج ميريديث، وانظر أيضاً إلى الروائى هنرى جيمس، قراؤهما قليلون جداً، فعلاً قليلون للغاية، لو لم تكن أعمالهما تعبيراً عن فردية شخصية كل منهما كثيراً عن الآخرين لما رأت الغالبية أنها أعمال غير مشوقة ولم يقرؤوها. للأسف إن فردية شخصيتيهما تسببت فى أن يكون قراؤهما قليلين جداً، وباستمرار هذه الظاهرة وتطورها سوف يأتى الوقت الذى يعتقد فيه الناس أن الزواج عمل غير أخلاقى وكذلك الفن غير مفيد وبالتالي سوف يفنى الفن وسوف تفنى فكرة الزواج، وأنا أعتقد أن هذا ما سوف يحدث، سوف يأتى اليوم الذى يصير ما تقرضه من شعر غير مفهوم لى، وما أكتبه أنا غير مفهوم لك، ولا يكون بيننا ما يجمعنا، سواء كان فناً أو أى شىء آخر".

"رياح الشرق":

"ولكن كلامك مبنى على الحدس، تصوّر وتوقّع وتخيل، ولذلك لا أستطيع الاقتناع به".

"أنت ترى كلامي مبنيًا على الحدس، ولكنني أراه مبنيًا على العقل والمنطق".

ففتح "الجدى" فاه وقال:

"فعلاً كلام البروفيسور مبني على العقل والمنطق، مما لاشك فيه أنك إذا أعطيت الإنسان الحق في أن يفكر في نفسه، سوف يفكر في نفسه، وكلما أعطيته حقًا أكثر أن يفكر في نفسه سوف يفكر أكثر في نفسه، إنه يفكر في نفسه على قدر ما هو مسموح له، وبالتالي سوف يُفطر في التفكير في نفسه وهذا سيؤدي إلى تآكل مساحة العلاقة بينه وبين الآخرين، أي أنه كلما زادت مساحة تفكير الشخص في نفسه قلت مساحة تفكيره في الآخرين، فلقد تحدث فريدريك نيتشه في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) عن الإنسان الخارق، والمقصود به الإنسان العظيم أو الإنسان غير العادي، أو البطل المنقذ، أو البطل الأسطوري، أو البطل المغوار، فلقد وصل إلى نظريته الفلسفية بناء على أن مساحة العلاقة الضيقة بين الإنسان والآخر قد تلاشت، فعندما نظر إلى الرجل الذي أطلق عليه الإنسان الخارق، ربما نرى أنه يدعو إلى أن يكون كل إنسان خارقًا، ولكنه في الحقيقة ينقد الإنسان، وإن كانت هناك زيادة في التفكير في النفس في القرن التاسع عشر، إلا أن تدخلات الآخرين في وجهة نظر نيتشه جعلته لا يشعر بالراحة حتى وهو نائم فيتقلب على جنبه من عدم الشعور بالراحة، وهذا جعله يغضب ويكتب كلامًا فظيماً عن البشر، فعندما تقرأ ما كتبه تشعر بالأسف والحسرة

عليه وأنه مسكين أكثر من شعورك بأنه إنسان خارق، إن صوته ليس صوت التعبير عن الاجتهاد والجهاد، ولكنه صوت التعبير عن الغضب الشديد النابع من الكراهية.

وقديماً عندما كان يظهر إنسان خارق كان يلتف حوله الناس، وهذا شيء يُسعد الجميع، وبما أن السعادة شيء تحقق في الواقع، فليست هناك أهمية أن يمسك بقلم ويكتب عن أفكاره هذه، وهوميروس وتشيف تشيز أيضاً صوراً شخصية للإنسان الخارق، ولكن طريقة تناول هوميروس وتشيف تشيز تختلف تماماً عن طريقة نيتشه، فكلاهما صورها شخصية متفائلة وسعيدة، وبما أن السعادة والتفاؤل واقع فقد صوراً تلك السعادة والتفاؤل على الورق بالكتابة، ولم يصوراً في كتاباتهما الكراهية والغل والمرارة كما فعل نيتشه.

عصر نيتشه كان هكذا، لم يخرج فيه أي إنسان خارق، وإذا خرج لم يكن يأبه به أحد ولا يعترفون به أنه إنسان خارق، ولكن في الزمن القديم ظهر الفيلسوف كونفوشيوس وكان إنساناً خارقاً، ما جعل أفكاره تنتشر على نطاق واسع، ولكن الآن يوجد كونفوشيوس كثيرون، وربما يعتقد كل شخص في هذه الدنيا أنه كونفوشيوس، ولكن عندما يقول شخص بتكبر أنا كونفوشيوس، لا يجد من يستمع إليه، وعندما لا يستمع إليه أحد يبدأ في الشكوى والنقد، ولشعوره بالضيق من عدم وجود من يستمع إلى أفكاره، يكتبها فوق الورق ويحولها إلى كتب، فهذه هي وسيلته الوحيدة للتعبير عن فكره.

كان الأوروبيون يسعون إلى الحرية، وحصلوا عليها، ولكن نتيجة أنهم حصلوا عليها شعروا أنهم ليسوا أحرارًا فغضبوا، ولذلك فإن الحضارة الأوروبية وإن ظهر عليها أنها حضارة جيدة، فهي ليست كذلك في محتواها، ولكن أبناء الشرق يفعلون عكس ذلك، منذ قديم الزمن يقومون بعمل تدريبات للتحمل النفسى والصبر، وهذه الطريقة هى الأفضل.

انظروا إلى نتيجة تطور الفردية، لقد صار الجميع يعانون من الضعف العصبى، وعندما لم يجدوا نهاية لضعفهم هذا، اكتشفوا أنهم عرفوا معنى كلمة:

شعوب الحكام الأخيار يعيشون فى سلام

ولذلك أدركوا ذلك متأخرًا جدًا بعد فوات الأوان، مثلهم مثل الشخص الذى صار مدمن خمر ويقول كان المفروض ألا أحتسى الخمر".

فقال "القمر البارد":

"كلام حضراتكم يدل على التشاؤم الشديد بشأن الزواج والأسرة إلخ فى المستقبل، ما جعلنى مندهشًا، سمعتكم تتحدثون عن أشياء كثيرة ولكنى لا أشعر بما تشعرون به، هل يمكن أن توضحوا لى أكثر لماذا تفكرون فى مستقبل الزواج والأسرة بهذا التشاؤم؟"

فرد البروفيسور الفشار بسرعة:

"أنت غير مقتنع بكلامنا لأنك ما زلت حديثًا فى الزواج".

وهنا قال سيدي الأستاذ "عطسة" فجأة الكلام التالي:

"إذا كنت تعتقد أن امتلاك زوجة شيء جيد، فأنت مخطئ خطأ كبيراً، سوف أقرأ عليك شيئاً مشوقاً سوف يكون عظة لك، فاسمع جيداً".

ثم أحضر كتاباً قديماً من فوق أقرب رف في مكتبته وقال:

"هذا الكتاب كُتب قديماً، ولكن الناس منذ قديم الزمن يعلمون بوضوح أن المرأة كائن شرير".

وهنا قال "القمر البارد":

"كلامك جعلني أتعجب، ومتى نُشر هذا الكتاب؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"مؤلفه الكاتب الإنجليزي توماس ناش في القرن السادس عشر".

"القمر البارد":

"شيء في منتهى العجب، كيف يكون هناك إنسان في هذا الزمان القديم ومع ذلك يهجو زوجتي!"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"في هذا الكتاب كلام سيئ كثير مكتوب عن النساء، وأكد بعضه ينطبق على زوجتك ولذلك استمع جيداً".

"القمر البارد":

"نعم سوف أستمع جيداً، وأكد سوف يكون كلاماً مفيداً".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أولاً مكتوب أنه سوف يتحدث في البداية عن آراء الفلاسفة والحكماء القدامى في المرأة، هل أنتم مستعدون لسماع ما سأقول؟"

"رياح الشرق":

"الجميع مستعد، حتى أنا الأعزب مستعد جيداً"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"قال أرسطو: كل النساء شيريات، وإن كنت مضطراً إلى الزواج أفضل لك أن تتزوج الضئيلة عن أن تتزوج الضخمة، لأن الشر الذي سوف يقع عليك من الضئيلة سوف يكون أقل من الذي يقع عليك من الضخمة".

البروفيسور الفشار:

"هل زوجتك يا قمر ضخمة أم ضئيلة؟"

"القمر البارد":

"إنها تنتمي بشدة إلى النوع الضخم".

ضحك البروفيسور الفشار ثم قال:

"هذا كتاب مشوق، استمر في القراءة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"سأل أحد الأشخاص حكيمًا: ما أهم شيء للرجل في الحياة؟"

فأجاب الحكيم قائلاً:

زوجة تقية".

البروفيسور الفشار:

"ما اسم الحكيم؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"لم يُذكَر".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"التالي الذي يتحدث عن المرأة في هذا الكتاب هو الفيلسوف اليوناني ديوجانس الكلبى، فقد سأله أحد الأشخاص:

ما الوقت المناسب للحصول على زوجة؟

فإذا به يرد هكذا:

عندما تكون شاباً، فما زال الزواج مبكراً لك، وعندما تكون متقدماً في السن، فإنك تأخرت عن الزواج".

البروفيسور الفشار:

"أؤكد كان يقول ذلك وهو جالس في داخل برميل".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أما الفيلسوف اليوناني فيثاجورس فقد قال:

يوجد ثلاثة يجب أن تخاف منهم، هم النار والماء والنساء".

فقال "الجدى":

"الفلاسفة اليونانيون يقولون أشياء غير مقنعة، فأنا أرى أنه لا يوجد ما تخشاه في هذه الدنيا، ممكن تدخل النار ولا تُحرق، وتغوص في الماء ولا تغرق، و..."

ثم تلعثم هنا ولم يستطع أن يستمر في كلامه، فتدخل البروفيسور الفشار محاولاً إنقاذه فقال:

"وتقابل امرأة ولا تضعف أمامها".

ولكن سيدى الأستاذ "عطسة" استمر في القراءة دون تعليق على هذا، فقال:

"أما سقراط فقال:

إن أصعب ما يواجهه الرجل هو كيف يتعامل مع النساء والبنات. والسياسى والخطيب اليونانى القديم ديموستينى (ديموستينيس) قال:

إذا أردت تعذيب عدوك أعطه امرأتك، لا وسيلة أشد قسوة من ذلك لتعذيب عدوك، سوف تحول حياته ليلاً ونهاراً إلى عذاب مستمر.

أما الفيلسوف الرومانى القديم لوكيوس سينيكا (لوكيوس أنايوس سينيكا) فقد قال:

أخطر شيئين في هذه الدنيا الجهل والنساء.

أما الفيلسوف الرومانى ماركوس أوريليوس فقد قال:

إن إدارة جنس المرأة صعب مثل صعوبة إدارة دفعة سفينة.

أما الكاتب المسرحى الرومانى القديم بلاوتوس فقد قال:

إن المرأة ترتدى الملابس الجميلة وتزين كى تخفى طبيعتها الشريرة.

أما المؤرخ الرومانى فاليريوس ماكسيموس فقد أرسل خطابًا إلى صديقه يقول عن المرأة:

مهما فعلت للمرأة لن تشعر بالرضى، وأنا أدعو الرب أن أصير مسكينًا كى لا أقع فى حبال مكائدهن.

ثم قال أيضًا:

ما هى المرأة؟ أليست هى عدو صديقى، أليست المعاناة التى يجب أن نتجنبها، أليست هى الضرر الذى لا نستطيع تجنب الإصابة به، أليست هى الإغراء الطبيعى، أليست هى السم الذى يشبه العسل؟ فإذا كان التخلص من المرأة عملاً غير أخلاقى، فإن الاحتفاظ بها عمل أكثر تأنيبًا للنفس".

وهنا قال "القمر البارد":

"كفى إلى هنا، لا أستطيع الاستماع أكثر إلى كلام سيئ عن زوجتى".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"باقى أربع صفحات، ما رأيكم أن تسمعوها؟"

فقال البروفيسور الفشار مداعبًا الأستاذ:

"لا هذا يكفى، فزوجتك على وشك الرجوع إلى المنزل."

وحينئذٍ سمعوا صوت زوجة الأستاذ تنادى:

"أيتها الخادمة، أيتها الخادمة."

فقال البروفيسور الفشار:

"يا لها من مصيبة، زوجتك موجودة في المنزل يا أستاذ!"

فضحك سيدى الأستاذ "عطسة" ضحكة دالة على الثقة
بالنفس ثم قال:

"وما المشكلة في ذلك! لا توجد أى مشكلة، لا يهمنى وجودها."

البروفيسور الفشار:

"سيدتى، سيدتى، متى رجعتِ إلى المنزل؟"

ولكن لم تكن هناك إجابة عن سؤاله، بل كان هناك هدوء تام.

فقال البروفيسور الفشار:

"هل سمعتِ حديثنا؟ أجيبينى."

ولكن لم تكن هناك إجابة.

البروفيسور الفشار:

"ما قاله زوجك الآن لم يكن رأيه في النساء، ولكن كانت
آراء كتاب من القرن السادس عشر للمؤلف الإنجليزي توماس
ناش، ولذلك لا يجب أن تغضبى."

فردت الزوجة من بعيد باختصار:

"لا أعرفه".

فضحك "القمر البارد" ولكنه كان يحاول أن يكتم ضحكته
حياءً، أما البروفيسور الفشار فقد ضحك عاليًا دون حياء وقال:
"وأنا أيضًا لا أعرفه".

وحينئذٍ فتح بوابة المنزل شخص دون تحية أو استئذان،
ودخل وسار وكانت أصوات قدميه عالية، ثم فتح بعنف باب
حجرة الضيوف، وأطل بوجهه داخل الحجرة، لقد كان السيد
"طاطارا".

وكان "طاطارا" اليوم على غير عادته، كان يرتدى قميصًا
ناصع البياض، ومعطفًا طويلًا على شكل عباءة، كان مظهره
رائعًا، مظهرًا يختلف عن مظهر كل يوم، وكان يحمل في يده
اليمنى أربع زجاجات جعة، وقد ربطها الأربع معًا بحبل وكان
يبدو أنها حمل ثقيل عليه، فوضعها بجانب الأسماك المجففة،
وفي الوقت نفسه جلس دون أن يحيى الجميع، جلس ممددًا
ساقيه كأنه ساموراي (محارب ياباني) عظيم، ثم قال:

"كيف حال معدتك يا أستاذ؟ ليس جيدًا لمعالجة مرض
معدتك الحساسة أن تظل طوال اليوم هكذا في المنزل".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"أنا لم أقل إن معدتي تؤلمني".

"طاطارا":

"حتى لو لم تقل، واضح على وجهك، لونه أصفر، صيد الأسماك في هذه الأيام ممتع، لقد ذهبت في رحلة صيد الأحد الماضي، استأجرت قاربًا من منطقة شينا جاوا".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"وهل اصطدت شيئًا؟"

"طاطارا":

"لا، لم أصطد ولا حتى سمكة واحدة".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"كيف لا تصطاد وتكون مستمتعًا؟"

"طاطارا":

"الصيد يريح الأعصاب، ما رأيك في الصيد؟ ألم تذهبوا للصيد سابقًا؟ الصيد شيء ممتع، أن تعتلي قاربًا فوق بحر واسع وتتنقل به هنا وهناك شيء مريح للنفس".

قال ذلك دون انتظار إذا كان هناك رد من الحضور أم لا. وهنا تدخل البروفيسور الفشار فقال:

"ولكني أريد أن أركب قاربًا كبيرًا وأتنزه به هنا وهناك فوق بحر صغير".

وقال "القمر البارد":

"أريد أن أذهب في رحلة صيد، ولكن كي يكون الصيد ممتعاً
أريد أن أصطاد حوتاً أو عروس البحر".

"طاطارا":

"هل ممكن أن يصطاد أحد عروس البحر؟ يبدو لي أن
الأدباء غير واقعيين".

"القمر البارد":

"أنا لست أديباً".

"طاطارا":

"أهكذا! إذاً من تكون؟ كي تكون رجل أعمال مثلي يجب
عليك أن تكون واقعياً، الواقعية أهم صفة يجب أن يتحلى بها
رجل الأعمال، وفي هذه الأيام لقد تحولت أنا إلى شخص واقعي
جداً، طبعي أن أتأثر بمن حولي في العمل".

"القمر البارد":

"كيف تتأثر بهم؟"

"طاطارا":

"مثلاً بالنسبة إلى السجائر، لن يحترمك الآخرون إذا كنت
تدخن سجائر رخيصة من ماركة أصاهي، أو شيكي شيما".

ثم أخرج سيجارة صناعة مصرية والجزء الملامس للفم
مغلف بلون ذهبي، وبدأ في إشعالها وتدخينها.

"القمر البارد":

"هل أنت غنى لدرجة أن تدخن سجائر مرتفعة الثمن مثل هذه؟"

"طاطارا":

"أنا الآن لست غنيًا، في القريب العاجل سأصير غنيًا، ولكنى بسجائر مثل هذه ممكن أجدب الأغنياء وأكتسب ثقتهم".

البروفيسور الفشار:

"السجائر طريقة مشوقة للحصول على ثقة الناس، إنها أفضل من نحت كرة زجاجية، إنها طريقة غير متعبة، الثقة ذات الطريقة اليسيرة".

سمع ذلك "القمر البارد"، ولكن قبل أن يرد قال "طاطارا":

"هل أنت السيد القمر البارد! أنت الذى لن يأخذ درجة الدكتوراه، لقد سمعت أنك لن تأخذ درجة الدكتوراه، ولذلك قررت أن آخذها أنا".

"القمر البارد":

"تأخذ الدكتوراه؟"

"طاطارا":

"لا، كريمة السيد أبو الذهب، أنا آسف لك، ولكنها ظلت تتوسل إليّ أن أتزوج بها، ولذلك قررت أخيرًا أن أتزوج بها، وإني أكرر اعتذارى لك".

فقال "القمر البارد":

"لا تعتذر ولا تتردد أن تتزوج بها، تفضل تزوج بها أرجوك".

ثم أضاف سيدي الأستاذ "عطسة" كلامًا غامضًا، إذ قال:

"إذا كنت ترغب في زواجها تزوج بها".

البروفيسور الفشار:

"هذا كلام جميل، كما قلت منذ قليل، عندما تكون عندك بنت لا يجب أن تقلق، إذا لم يتزوج بها شخص معين سوف يتزوج بها شخص آخر، سوف يتزوج بابنة أبو الذهب هذا الشاب العظيم، تستطيع الآن أن تقرض شعرًا حديثًا بمناسبة زواجها يا رياح الشرق، هيا أسرع في قرض الشعر".

"طاطارا":

"أنت السيد رياح الشرق! كنت أسمع عنك، لو سمحت اكتب بعض الشعر بمناسبة زواجى والآنسة غنية كريمة أبو الذهب، سوف أنشره في مجلة وأوزعه على الناس، سوف أنشره في مجلة الشمس".

"رياح الشرق":

"حقًا! حسنًا، سوف أفكر في كتابة ما يناسب ذلك، ولكن متى تريد أن تتسلمه؟"

"طاطارا":

"أنا مستعد أن أتسلمه في أى وقت، حتى لو أردت تسليمه لى الآن، أنا مستعد أن أتسلمه، وفي مقابل ذلك سوف أدعوك

على احتفال العرس حيث تتناول وليمة طعام وشراب، سوف أسقيك شمبانيا، هل سبق لك أن احتسيت الشمبانيا؟ إن مذاقها خلاب، وسوف أحضر فرقة موسيقية في احتفال العرس، هل يمكن أن تلحن شعر رياح الشرق يا أستاذ؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أفعل ما تريد أنت فعله".

"طاطارا":

"هل تتكرم وتلحن شعره يا أستاذ؟"

سيدي الأستاذ "عطسة":

"مستحيل".

"طاطارا":

"ألا يوجد بينكم من يستطيع التلحين؟"

البرفيسور:

"راسب الدكتوراه القمر ممتاز في عزف القيثارة، توسل إليه كي يوافق، ولكنى أعتقد أنه لن يوافق مقابل الدعوة على احتساء شمبانيا فقط، أكيد سوف يرفض".

"طاطارا":

"لن أدعوه إلى احتساء قنينة شمبانيا من النوع الرخيص، أنا أتكلم عن نوع فاخر جداً، ولذلك أرجو أن تقوم بعمل لحن لي، هل توافق يا سيد قمر؟"

"القمر البارد":

"طبعًا موافق، حتى لو دعوتنى على احتساء أرخص قنينة شمبانيا سوف ألحّن لك، وحتى لو طلبت منى التلحين لك دون أى مقابل سوف أفعل".

"طاطارا":

"لا أقبل أن تفعل ذلك دون مقابل، سوف أعطيك مقابلًا، إذا كنت لا تريد شمبانيا، ما رأيك فى هذا؟"

ثم أخرج من جيبه نحو ثماني صور لشابات ووضعها على الحصيرة أمامه، منهن من تظهر بنصفها العلوى، أو تظهر من رأسها إلى قدميها، أو واقفة، أو جالسة، أو ترتدى تنورة، أو بتصفيف شعر بطريقة حديثة.

ثم استرسل فقال:

"لقد تم ترشيح كل هؤلاء العرائس لى، يمكن لك يا سيد قمر أو يا سيد رياح أن تختار التى تعجبك كي تتزوجها وسوف أقو بدور الخاطبة بينك وبين أسرتها لإتمام الزواج".

ثم أمسك بصورة إحداهن وقال للسيد "القمر البارد":

"ما رأيك فى هذه؟"

"القمر البارد":

"جميلة، تحدث إلى أسرتها".

"طاطارا":

"وما رأيك في هذه؟"

"القمر البارد":

"وهذه أيضًا جميلة، تحدث إلى أسرتها".

"طاطارا":

"أيهما تفضل؟"

"القمر البارد":

"كلتاهما جميلة، موافق على كلتاهما".

"طاطارا":

"واضح أنك تحب الجنس الناعم، هذه حفيدة دكتور".

"القمر البارد":

"حقًا! شيء جميل".

فقال "طاطارا" كأنه يتحدث على نفسه، أو يتحدث ولكن

غير منتظر تعليق:

"إنها ذات شخصية جيدة جدًا وأيضًا شابة صغيرة، سنها سبعة عشر عامًا فقط، وسوف تعطيك مهرًا ألف ين، أما هذه فهي ابنة المحافظ".

"القمر البارد":

"أليست هناك طريقة كي أتزوجهن جميعًا؟"

"طاطارا":

"ماذا؟ تتزوجهن جميعًا! هذا طمع شديد، هل أنت ممن يؤمنون بمذهب زواج أكثر من زوجة؟"

"القمر البارد":

"لا، لست كذلك ولكنى مؤمن بمذهب أكل اللحوم".

فقال سيدي الأستاذ "عطسة" بطريقة توحى بأنه يعنفه
لفعل ذلك:

"بصرف النظر عما يقوله القمر، يكفى هذا، من فضلك
ضع هذه الصور في جيبك بسرعة".

فقال "طاطارا" كأنه يتأكد من نتيجة المحادثة مع "القمر البارد":

"هذا يعنى أنك لن تتزوج بأى منهن".

ثم جمع الصور ووضعها في جيبه.

سيدي الأستاذ "عطسة":

"هل أحضرت هذه الجعة هنا لمناسبة معينة؟"

"طاطارا":

"إنها هدية، احتفاءً بمناسبة زواجى، لقد ابتعتها من المتجر
الذى على ناصية الشارع، تفضلوا تناولها".

فصق سيدى الأستاذ "عطسة" على يديه كى تأتى الخادمة وتفتح زجاجات الجعة، ثم رفع كل من هؤلاء الخمسة، سيدى الأستاذ "عطسة" والبروفيسور الفشار و"الجدى" و"القمر البارد" و"رياح الشرق" كئوس الجعة باهتمام شديد، احتفاءً بزواجه متمنين له السعادة فى حياته الجديدة، وحينئذٍ شعر "طاطارا" بسعادة شديدة فقال:

"أدعو جميع من هنا لحضور حفل عُرسى، فهل تحضرون؟
أکید سوف أنتظر حضوركم"

فأجاب سيدى الأستاذ "عطسة" على الفور:

"أنا أرفض الحضور".

"طاطارا":

"لماذا؟ إنه أهم احتفال فى حياتى ولا يحدث إلا مرة واحدة،
ألن تحضر؟ حضرتك قاس".

سيدى الأستاذ "عطسة":

"ليست مسألة قسوة، ولكنى لن أحضر".

"طاطارا":

"هل ليس عند حضرتك زى مناسب؟ إذا كان كذلك سوف
أجلب لحضرتك الزى المناسب، المعطف والسراويل، الاختلاط
بالناس شىء جيد، سوف أقدمك لمشاهير يا أستاذ".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"أرجو أن تتقبل اعتذاري عن عدم الحضور."

"طاطارا":

"سوف تُشفى من مرضك إذا حضرت".

سيدي الأستاذ "عطسة":

"حتى لو لم أُشفَ لن أحضر".

"طاطارا":

"إذا كنت مصممًا على عدم الحضور هكذا، فليس أمامي إلا الاستسلام، وماذا عنك يا بروفييسور، هل ستحضر؟"

البروفيسور الفشار:

"طبعًا أنا متشوق للذهاب، لو أمكن أريد أن أحظى بشرف أن أكون مقدم احتفال الزواج وشاهدًا على عقد القران، وأدعو إلى قرع كئوس الشمبانيا وإلقاء قصيدة الربيع الجميل، ماذا؟ حال وجهك يقول إن هناك شخصًا آخر سوف يفعل ذلك، هل هناك شخص آخر سوف يفعل ذلك! هل هو السيد سوزوكي! نعم، فهمت، كنت أتوقع حدوث ذلك، للأسف سوف أحضر كأى فرد آخر فى الحفل".

"طاطارا":

"وماذا عنك يا سيد جدى، هل ستحضر؟"

"الجدى":

"أنا!

نعيش على الصيد بسنارة واحدة أنا وصديقى

نستمتع بالصيد وحولنا على الشاطئ

نباتات طيور البط بزهورها البيضاء

ونباتات البطباط بزهورها الحمراء"

"طاطارا":

"ما هذا؟ هل هو شعر صينى؟"

"الجدى":

"لا أعرف".

"لا تعرف! هذه مشكلة، وأكد أنك سوف تحضر يا سيد
قمر، فأنت على صلة بهم".

"القمر البارد":

"أكد سوف أقرر أن أذهب، لأنه مؤسف ألا أستمع إلى
الموسيقى التى سوف أَلحنها".

"طاطارا":

"نعم، أنت محق، وماذا عنك يا رياح، هل ستحضر؟"

"رياح الشرق":

"نعم أريد أن أحضر وألقى شعرى أمام العروسين".

"طاطارا":

"هذا عظيم، هذه المرة الأولى التي أشعر فيها بسعادة غامرة هكذا يا أستاذ، ولذلك سوف أحتسى مزيدًا من الجعة".
ثم احتسى كل الجعة التي اشتراها بمفرده، فصار وجهه شديد الاحمرار.

وجاء مغرب هذا اليوم بسرعة، فأيام الخريف قصيرة، وبقايا السجائر في المطفأة تدل على أنه تم تدخين الكثير منها، وواضح أن النار قد انطفأت من مدة طويلة، وأن مجموعة الأصدقاء هذه الذين يعيشون على راحتهم قد استنفدت ما عندها من أحاديث، وإذا بالسيد "جدي" يقف ويقول:
"لقد صرنا في وقت متأخر، سوف أعود إلى منزلي".

وقال الآخرون واحدًا تلو الآخر:
"وأنا أيضًا".

انتهت المسرحية الهزلية وغادر الجميع المسرح متجهًا إلى بوابة الخروج، أما سيدى الأستاذ "عطسة" فقد أنهى عشاءه ثم دخل مكتبته، وأما سيدتى فكانت ترتب ياقة رداؤها الداخلى الشتوى، ثم قامت بإصلاح رداء لها يستخدم فى الأيام العادية وكان قد تمزق من كثرة الاستعمال، فكانت تحيك الأجزاء الممزقة.

أما البنات فقد أخلدن إلى النوم.

وأما الخادمة فقد ذهبت إلى الحمام العام للاستحمام.

ويبدو أن هؤلاء الأصدقاء يعيشون على راحتهم، ولكن لو نظرنا إلى ما في أعماق قلوبهم، سوف تجد أحزانًا ما دفينة فيها.

فإن "الجدى" الذى يتصور أنه "مكشوف عنه الحجاب"، وأنه يفهم بواطن الأمور، يسير مثل الجميع على قدميه على الأرض.

ويبدو على البروفيسور الفشار أنه يعيش حياة هادئة وهنيئة، ولكن حياته ليست كما يصورها لنا.

وأما "القمر البارد"، فإنه قد ترك نحت الكرة الزجاجية، وفي النهاية تزوج من مسقط رأسه ويبدو هذا عين العقل، ولكن بعد مرور وقت طويل أكيد سوف يشعر بالملل.

وأما "رياح الشرق" فسوف يعى بعد مرور عشر سنوات أن قرض الشعر بهدف إهدائه إلى الناس خطأ.

وأما "طاطارا"، لا نستطيع أن نعرف إذا كان سيعيش فى الماء أو على جبل، كل ما يطمح إليه أن يسقى أصدقاءه شمبانيا، وهذا يجعله يشعر بالفخر.

وأما السيد "سوزوكى" سوف يتدحرج من مكان إلى آخر إلى ما لا نهاية، وعندما يتدحرج سوف يلتصق به الطين، ورغم أنه عالق فى الطين فإنه أكثر تأثيرًا فى مَنْ حوله من الذى لا يتدحرج.

مضى عامان منذ أن وُلدت كقط وعشت مع الإنسان، وكنت أعتقد أننى ذكى جدًا، ولكن منذ عدة أيام سمعت عن

قط الكاتب الألماني إرنست هوفمان واسمه "القط مير"، ولم أكن قد قابلته أو سمعت عنه سابقًا، وكان الحديث عنه حديثًا حماسيًا وجذابًا، وعندما سألت عنه جيدًا علمت أنه مات منذ مئة عام من قبلي، ويبدو أنه من فضولي في مقارنة نفسي ببقية القطط، قد جاءتني روحه من عالم الموتى البعيد كي تبهرني، ولقد علمت أنه ذات مرة حمل سمكة في فمه وذهب كي يهديها إلى أمه، ولكن لم يتحمل عدم أكل السمكة حتى يصل إلى أمه، فأكلها، يا له من عاق، وعلمت أنه لا يقل ذكاءً عن الإنسان، فقد كان يقرض الشعر لسيده، وبما أن قطًا عظيمًا مثله كان موجودًا منذ قرن مضى، فإن قطًا غيبًا مثلي يجب أن يذهب إلى منطقة جدباء ويعتزل الناس ويظل هكذا إلى الأبد. أما سيدي الأستاذ "عطسة" فسوف يموت بسرعة بسبب حساسية المعدة.

وأبو الذهب ميت مسبقًا بسبب الطمع.
وغالب أوراق أشجار الخريف قد سقط.

جميع المخلوقات سوف يموت، وإذا كان الشخص الحي غير مفيد، فمن الذكاء أن يموت بسرعة، وكما قال البروفيسور الفشار في نظريته، إن البشر سوف ينتحرون، وإذا لم نأخذ حذرنا نحن القطط، سوف يتحول عالمنا إلى عالم ضيق يؤدي إلى احتكاكنا ببعض مثل عالم البشر، شيء مخيف أن نصير مثلهم.

لقد شعرت اليوم من أحاديث سيدي الأستاذ "عطسة" وأصدقائه بكآبة، وسوف أحتسى البقايا التي تبقت في أكواب "طاطارا" وأصدقائه، كي أنسى تلك الكآبة وأحسن مزاجي.

فاستدرت وذهبت إلى المطبخ، وكانت رياح الخريف تضرب الباب بشدة فتفتحه قليلاً وتدخل منه داخل المنزل، وقد أطفأت الرياح المصباح، ولكن نور القمر كان يدخل من النافذة.

وكانت فوق الصينية ثلاثة أكواب متراسة، وفي اثنين منها كان الشاي ما زال باقياً حتى منتصفهما، والمفترض أن يكون الشاي ساخناً ولكنه كان بارداً، وكان ضوء القمر ساقطاً على إناء وضع الرماد وسائل بجانبه، وبما أنه كان يبدو عليه أنه سائل بارد، فلم أكن أرغب في أن أشرب منه، ولكن إنها الرغبة في التجربة، بعد أن شرب "طاطارا" ذلك السائل احمر وجهه بشدة وبدا عليه ارتفاع في درجة حرارة جسمه وصعوبة في التنفس، فهل لو شربته سوف أنسى الكآبة وأشعر بسعادة؟ عموماً كل حياة لها نهاية في يوم ما، ولذلك يجب أن نجرب كل شيء في أثناء الحياة، فالندم بعد الممات لا يفيد، لا أريد أن أقول لنفسي بعد أن أموت يا ليتني جربت أن أشرب ذلك السائل.

وعليه فقد عزمت على الشرب من ذلك السائل، فوضعت لساني فيه وحملت ما أستطيع إلى داخل فمي فأصابتنى الدهشة، شعرت كأن إبراً توخزني في مقدمة لساني، فقلت لنفسي أنا لا أستطيع أن أعى ما المبهج في أن يشرب الإنسان

سائلاً عَفَنًا مثل هذا! هذا السائل لا يمكن لقط أن يشربه أبدًا، لا يوجد أى انسجام بين القطط والجعة.

شعرت أن طعم ذلك السائل فظيع، فأخرجت لساني من السائل ووضعتَه في فمى، ولكن فكرت مرة أخرى، فقلت لنفسى:

إن الإنسان دائماً يقول:

الدواء الجيد مر المذاق.

فإذا أصيب الإنسان ببرد، فإن وجهه يصير سيئ الملامح، ثم يشرب شيئاً غريباً، كنت دائماً أسأل نفسى ماذا يشرب وما مذاقه، ولا أعرف إذا كان يُشفى لأنه يشرب ذلك الشيء الغريب، أو يصير غريباً لأنه يشرب ذلك الشيء، ولكن الآن أمامى فرصة أن أجرب بنفسى، إنها فرصة جيدة للتجربة، ربما أحل مشكلة مزاجى السيئ بشرب ذلك السائل الغريب الذى يسمونه جعة، سوف أشرب وإذا شعرت بمذاق مر فى داخل معدتى فسوف أتوقف عن الشرب، ولكن إذا شعرت مثل "طاطارا" بنسيان ما يضايقنى والشعور بالسعادة، فأكون قد اكتشفت اكتشافاً كبيراً، وسوف أخبر بقية قطط الحى عن ذلك، وعلى كل حال سوف أترك نتيجة التجربة للحظ، وقررت أن أشرب ذلك السائل، فأخرجت لساني مرة أخرى، ولكن شربه وعيناي مفتوحتان أنظر إليه بهما شىء صعب على نفسى، ولذلك سوف أغلقهما، فأغلقت عينى جيداً وبدأت فى شرب ذلك السائل.

وكان مذاقه غريبًا ولكنى تحملت بشدة وضغطت على
نفسى أن أستمر في الشرب، إلى أن انتهيت من ملء كوب،
وحينئذٍ شعرت بشعور غريب، في البداية شعرت بوخز في لساني،
ثم ضغط من خارج فمى إلى داخله جعلنى أشعر بألم، ولكن
مع استمرار الشرب شعرت في النهاية براحة، وبعد الانتهاء من
الكوب الأول لم أشعر بأن شيئًا فظيماً قد حدث لى، فشربت
الكوب الثانى دون أى صعوبة، ثم لعقت ما سقط من ذلك
السائل على الصينية إلى أن انتهى تمامًا.

وظللت فترة ساكنًا لا أتحرك كى أعرف بنفسى تأثير السائل
الذى شربته فى، فشعرت بأن الدفء يزداد فى جسدى شيئًا
فشيئًا، وجفونى بدأت تتحرك ببطء، وأذناى احمرتا، وشعرت
برغبة فى الغناء، وشعرت برغبة فى الرقص على الأغنية المشهورة
"القطط"، وشعرت برغبة فى أن أقول لسيدى الأستاذ "عطسة"
والبروفيسور الفشار و"الجدى":

"اللعة عليكم".

وأن أخربش بأظفارى "أبو الذهب"، وأن أمضغ بأسنانى
منخار زوجته إلى أن يتمزق ويصبح فتافيت، وأن أفعل أشياء
كثيرة، وفى النهاية أردت أن أقف على قدمى الخلفيتين وأن أسير
أتمايل يمينا ويسارًا، وشعرت برغبة فى الذهاب إلى خارج المنزل،
وأن ألقى التحية على القمر، يا له من إحساس جميل.

شعرت بالنشوة، أكيد هذه هى النشوة التى يقولون عنها
والتي يشعر بها الإنسان بعد احتساء الخمر، وشعرت بأننى
أريد أن أذهب للتنزه فى كل مكان، وشعرت بأننى لا أريد

الذهاب إلى أي مكان، بل أظل في مكاني، وشعرت أن قدمي لا تستطيعان حملي للوقوف والسير، وشعرت برغبة جامحة في النوم، ولم أعد أستطيع أن أعرف إذا كنت مستيقظاً أم نائماً، أريد أن أفتح عيني ولكن أشعر أن جفني ثقيلان جداً، ولا أستطيع فتح عيني، ثم شعرت بأنني في بحر أو على جبل، فتعجبت من ذلك الشعور، فمددت قدمي الأماميتين إلى الأمام، فسمعت صوتاً كأنه صوت سقوط في ماء، فقلت لنفسي:

"ماذا؟"

وشعرت بأنني وقعت في مشكلة، ولم يكن أمامي وقت للتفكير في كيف وقعت في تلك المشكلة، بل لم أستطع الانتباه جيداً إذا كنت وقعت في مشكلة أم لا، ولكني شعرت بمصيبة.

وعندما أفقت مما كنت فيه من نشوة، وتنبهت إلى ما حولي، وجدتنى أطفو فوق ماء، شعرت بقلق فحركت أظفاري كي أمسك في شيء، ولكن لم يكن هناك إلا الماء فقط، فحركت أظفاري أكثر ولكن شعرت بأنني سوف أغرق فوراً في الماء، فحاولت الصعود على الماء بتحريك ساقّي الخلفيتين كي أطفو إلى أعلى، مع تحريك ساقّي الأماميتين، وساعدني ذلك أن أطفو لعدة ثوانٍ، فطفأ رأسي فقط فوق الماء، فشاهدت ما هو حولي، فعرفت أنني سقطت في داخل حوض كانت تعيش فيه حتى الصيف الماضي نبتة مائية كبيرة ذات زهور زرقاء اسمها "مونوشوريا كورساكوفي"، لكن الغربان السوداء جاءت وأكلت النبتة عن آخرها ولم يتبق منها شيء، ثم بعد ذلك استخدموا الحوض للاستحمام، وعندما يستحمون يقل الماء داخل الحوض،

وحينذاك لا يأتون، وفي الأيام الأخيرة قل الماء كثيراً، ولذلك لم تعد الغربان تأتي، ولكنى لم أتوقع قط أننى سوف أستحم في هذا المكان بدلاً من الغربان.

والمسافة من سطح الماء إلى حافة الحوض خمسة عشر سنتيمتراً، ولو مددت سيقانى فلن أصل إليها، حتى لو قفزت لن أستطع الخروج من الحوض، ولو استسلمت سوف أغرق، وعندما أحرك سيقانى تصل أظفارى إلى الحوض من الداخل ولكنها تلامسه فقط، فأشعر قليلاً بأننى أطفو، ولكنها تنزلق فأغرق في الماء على الفور، فأحرك سيقانى كي أطفو مرة أخرى، ولكنى شعرت بأن جسدى صار منهكاً. روى تقول لى أصبح بسرعة ولكن سيقانى لا تستطيع طاعة روى، ولم أعد أعرف ماذا أفعل، هل أنا أحرك سيقانى كي أصبح تحت الماء، أم أصبح تحت الماء كي أحرك سيقانى.

وحين ذاك شعرت بأننى منهك، ولكن خطرت لى الفكرة التالية، إن ما يحدث لى الآن معاناة بسبب أننى أتمنى أن أصعد إلى أعلى الحوض، أريد أن أصعد إلى أعلاه بأى طريقة مهما كانت، ولكنى أعرف أن هذا مستحيل، لأن طول ساقى لا يزيد على تسعة سنتيمترات، وأننى عندما أطفو فوق سطح الماء فلن تصل أظفارى إلى حافة الحوض لأن المسافة بين سطح الماء وحافة الحوض خمسة عشر سنتيمتراً، وإذا لم تصل أظفارى إلى حافة الحوض، فمهما بذلت من مجهود فى تحريك سيقانى، لن تصل أظفارى إلى حافة الحوض. حتى لو قطعت نفسى إرباً أو ظللت أجتهد مئة عام، لن تصل أظفارى إلى حافة الحوض.

أنا أعلم جيدًا أنني لا أستطيع الخروج من الحوض، ولذلك فإن محاولة الخروج من الحوض فكرة مستحيلة، والتفكير في تحقيق المستحيل جعلنى أشعر بالمعاناة، تعبت ومللت من الشعور بالمعاناة، ما أفعله يعنى أنني أسعى إلى المعاناة، وأنى أعذب نفسى برغبتى، وحب تعذيب النفس غباء.

ثم قلت لنفسى:

"سوف أتوقف، سوف أترك نفسى على سجيتها، من الآن لن أحرك سيقانى كي أحاول الصعود، آسف يا نفسى".

ولم أحرك ساقى الأماميتين، ولم أحرك ساقى الخلفيتين، ولم أحرك رأسى ولم أحرك ذيلى، توقفت عن المقاومة وتركت نفسى لنفسى.

أشعر بالراحة شيئًا فشيئًا.

لا أعى إن كنت أشعر بألم أم راحة.

لا أعى إذا كنت فى داخل الماء أم فى داخل المنزل.

لن يوجد فارق أن أكون فى أى مكان.

المهم الشعور بالراحة.

لا، أنا لا أستطيع الوصول إلى الشعور بالراحة.

سوف أترك عالم الأرض والسماء والشمس والقمر وأدخل العالم السحرى، عالم السلام.

أنا أموت.

سوف أموت وأنال السلام.
إن لم نمت لن نستطيع الوصول إلى السلام.
سوف أعود إلى خالقي.
سوف أعود إلى خالقي.
شعور جميل.

النهاية

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

نبذة عن المؤلف

الأديب الياباني (نتصومييه صوسيكي/natsume souseki)،
واسمه الحقيقي (كين نو سوكيه/kin no suke)، ولد في طوكيو
عام 1869م
أهم رواياته:

- "الفتى طائش/botchan" عام 1905 - "الوسادة العشبية / kusamakura" عام 1906
- "سانشيرو/sanjirou" عام 1908 - "بعد ذلك/sorekara"
- عام 1910 - "البوابة/mon" عام 1911 - "قلب الأستاذ/kokoro"
- عام 1914 - "المسافر/koujin" عام 1914 - "النور والظلام/meian" عام 1916
- كما أنه ترجم عن الإنجليزية رواية "هوجوكي/houjouki" التي تحكي عن حياة راهب.

نبذة عن المترجم

أ.د. ماهر أحمد محمد الشربيني، أستاذ بجامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة اليابانية، تخصص في نحو اللغة اليابانية الحديثة، بجانب تخصصه في علم تعليم اللغة والثقافة والأدب الياباني، وعلم السلام.

التاريخ الأكاديمي:

تخرج في جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة اليابانية وأدبها عام 1981، ثم أصبح طالب

باحث في جامعة تسوكوبا تخصص لغة يابانية عام 1985، ثم حصل على درجة الماجستير ثم الدكتوراة في جامعة هيروشيما كلية الآداب قسم علم لغة تخصص لغة يابانية عام 1989-1992 -أهم الكتب التي ترجمها إلى اللغة العربية عن اللغة اليابانية:

"مذكرات مصابي قنبلة هيروشيما" - "قصة حياة البطل الياباني طوكودا طوراؤ" - "الفتى الطائش" - "قلب الأستاذ" - "قطار المجرة" مع آخرون: "قوة أمي" - "الانطلاق من الصفر" - "لقد خلق جميع البشر متساوون" - "الغبي ينجح - سلسلة جن الحافي" "الترجمة إحدى أهم وسائل النهضة والترجمة الجيدة فن، والمترجم مبدع ومؤلف ثان"

أ.د. ماهر الشربيني